كلية الآداب
قسم التاريخ

النظم الحربية في دولة بني مرين (668 869هـ/1269- 1465م)

مقدمة من الطالب
سالم أبوالقاسم محمد غومة
لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

تحت إشراف
أ .د / فتحي عبد الفتاح أبوسيف
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
أ .د / بشير رمضان التليسي
أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة طرابلس

القاهرة
2011- 2012م

جامعة عين شمس
كلية الآداب

اسم الطالب : سالم ابوالقاسم محمد غومة
عنوان الرسالة : النظم الحربية في دولة بني مرين
(668 869هـ\1269 1465م)
الدرجة العلمية: رسالة دكتوراه
لجنة الإشراف : أ. د/ فتحي عبد الفتاح أبوسيف
أستاذ التاريخ الإسلامي – كلية الآداب جامعة عين شمس
أ.د بشير رمضان التليسي
أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الفاتح
تاريخ البحث2009/3/16 م

الدراسات العليا
أجيزت الرسالة بتاريخ20112l/9/25

جامعة عين شمس
كلية الآداب

اسم الطالب: سالم أبوالقاسم محمد غومة

الدرجة العلمية : رسالة دكتوراه

القسم التابع له: التاريخ

اسم الكلية : الآداب

الجامعة : عين شمس

سنة التخرج:

إهـــــــــداء

إلى روح أمي و إلى والدي.
إلى روح أستاذي الدكتور عبدالمحسن طه رمضان.
إلى زوجتي وأبنائي عبدالمؤمن وملاك.
إلى أساتذتي، وإخوتي، وأصدقائي.

الباحث

ملخص الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان أجمعين،أما بعد..

هذا البحث عبارة عن دراسة للنظم الحربية في دولة بني مرين (668 869هـ\1269- 1465م) ، ولقد اشتمل على مقدمة وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول رئيسية، وخاتمة وملاحق.

تناولت المقدمة وصف لفصول الرسالة، ودراسة لأهم المصادر والمراجع.أما الفصل التمهيدي، فهو بعنوان لمحات عن العلاقة الحربية للدولة المرينية مع دول المغرب والأندلس والممالك الاسبانية.وقد اشتمل على تمهيد وثلاث مباحث.

فبالنسبة للفصل الاول فهو بعنوان العلاقة الحربية للدولة المرينية مع دول المغرب والأندلس والممالك الإسبانية،ويتكون من ثلاث عناصر هي:

أولا: قيام الدولة المرينية وتثبيت دعائمها،وفيه تم تناول أصل قبائل بني مرين وموطن سكنهم،وظروف معيشتهم،وبداية ظهورهم على مسرح الأحداث ببلاد المغرب،وبداية صدامهم مع دولة الموحدين، وأسباب هذا الصراع،واهم المعارك بين الطرفين،وما ترتب على ذلك،كما تناول الفترة التي بداء فيها المرينيون ببناء دعائم دولتهم، واهم خطواتهم في هذا الشأن.

ثانيا:العلاقة الحربية بين الدولة المرينية ودول المغرب والأندلس،وفيه تم تناول ثلاثة عناصر، هي:

1. : دولة بني عبدالواد،وفيه تم تناول جذور النزاع بين الدولتين،ومراحله وتطوره عند كلا الدولتين،كما تم إبراز الدور الخفي لدولة الموحدين في تغذية هذا النزاع، وكيفية استغلاله لصالحها لكي تحافظ على نفوذها ببلاد المغرب، كما تم تناول خاتمة هذا النزاع الذي انتهى بحصار المرينيون لتلمسان عاصمة بني عبدالواد، وسقوطها بأيديهم سنة 737هـ\1336م.
2. : الدولة الحفصية، وفيه تم تناول العلاقة الحربية بين الدولتين، والتي غلب عليها طابع التعاون بينهما، كما تم توضيح كيفية استغلال كلتا الدولتين لهذا التعاون لمصلحتيهما الشخصية،وكذلك تم إبراز العوامل التي ساعدت على قوة التحالف بينهما،.وإضافة لما سبق تم تناول المساعدات المتبادلة بين الدولتين في المجال الحربي،واهم الفترات التي تخللها النزاع بينهما،والتي كان سببها تدخل كلاهما في شؤون الأخرى، مما ترتب على ذلك ثورات عديدة وخاصة ضد الدولة المرينية.
3. : مملكة بني الأحمر بغرناطة.هنا تم تناول أهمية مملكة بني الأحمر كموطن للمسلمين بالأندلس، ودور الدولة المرينية كقوة إسلامية في تقديم المساعدات الحربية لها للوقوف في وجه زحف النصارى.

ثالثا: العلاقة الحربية المرينية مع الممالك النصرانية باسبانيا، فلقد تم فيه تناول العلاقة المرينية مع مملكة قشتالة ومملكة أراجون ومملكة البرتغال،وهي كما يلي:.

1. : بالنسبة لمملكة قشتالة فقد تم تناول دورها في دعم حركة الاسترداد، وابرز الأحداث الحربية بينها وبين الدولة المرينية، كما تم توضيح أبرز أسباب الصراع مع الدولة المرينية.
2. : مملكة أراجون: فقد تم تناول علاقتها مع الدولة المرينية والتي تميزت في البداية بالتعاون بينهما،ومن بعد انقلبت إلى عداء،بسبب دخول أراجون في حلف الممالك النصرانية.
3. : مملكة البرتغال: كانت هذه المملكة منطوية على نفسها ولم تدخل في صراع مع المرينيين إلا بعد مناشدة مملكة قشتالة لها، ولقد ظهرت مطامعها في الدولة المرينية بعد أن لاحظت ضعفها في شتى الجوانب،وبالطبع انتهت هذه المطامع بسيطرة البرتغال على العديد من القواعد البحرية المرينية وكان ذلك بداية من سنة 818هـ\1415م.

أما فيما يخص الفصل الثاني فقد كان بعنوان النظم الحربية للجيش المريني،وتم تقسيمه إلى ثلاث عناصر،أولها عناصر وفرق الجيش المريني وقيادته العسكرية.وفيه تم بالتفصيل تناول العناصر المقاتلة وغير المقاتلة.أما ثانيا التنظيمات التعبوية والإدارية للجيش،أي ما يخص نظم الجيش على ارض المعركة وخارجها، وثالثا عدة الجيش من أسلحة، وزى للجند، وطبول، ومزامير، وألوية، ورايات.

وبالنسبة للفصل الثاني فهو بعنوان النظم الحربية للأسطول المريني،ويتكون من ثلاث عناصر أولها القواعد البحرية ودور صناعة السفن،وفيه تم تناول أهم تلك المراكز، وما اشتملت عليه من موارد طبيعية ساهمت في بناء الأسطول.ثانيا سفن الأسطول ومعداته والمواد المستخدمة في صناعته،.ثالثا قيادة الأسطول وفنونه القتالية،فلقد تم التركيز فيه على قيادة الأسطول، وأشهر قادته، وكذلك تم فيه تناول الفنون القتالية للأسطول.

أما الفصل الثالث بعنوان النظم الحربية للمنشآت المرينية،وتم تقسيمه إلى ثلاث عناصر،أولا المنشآت الحربية المرينية، وفيه تم تناول أهم المدن والقلاع والحصون المرينية التي قاموا ببنائها أو ترميمها، والدور الحربي لها.وثانيا التحصينات الدفاعية لهذه المنشآت،مثل الأسوار والأبراج والمداخل وغيرها،وثالثا المواد المستخدمة في البناء.

وأخيرا ختمت الرسالة بالخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

إهـــــــــداء

إلى روح أمي و إلى والدي.

إلى روح أستاذي الدكتور عبدالمحسن طه رمضان.

إلى زوجتي وأبنائي عبدالمؤمن وملاك.

إلى أساتذتي، وإخوتي، وأصدقائي.

الباحث

شكر وتقدير

نحمد الله حمدا كثيرا مباركا فيه على نعمائه،وعلى توفيقه لنا على انجاز هذا العمل حتى وصل إلى هذا الحال، وندعو الله العلى القدير ان يتقبل برحمته وبمغفرته أستاذي الدكتور الفاضل عبدالمحسن طه رمضان، واسأل الله أن يسكنه فسيح جنانه، فقد كان لى نبراس يضئ لى طريق العلم،لقد كان لي مع استاذي تاريخ، درسنى في بداية المرحلة الجامعية بكلية الآداب بمصراته، وقدر الله أن ألتقيه بقسم التاريخ بآداب عين شمس ويكون المشرف عليا في رسالة الدكتوراه ونهلت منه العلم الكثير.

كما أتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور فتحى أبوسيف الذي أخذ بيدى وساندنى من اجل انجاز هذا البحث، فلقد كان تطوعه في قبول استكمال الاشراف على هذه الرسالة وفاء لصديقه العزيز الدكتور عبدالمحسن ،فلقد قال لى بالحرف الواحد: "وفاء للدكتور عبدالمحسن ولكى لاتتعرقل في الكتابة سوف اقبل متابعة الإشراف عليك"، ولا أبالغ أو امدح لكسب رضاه فقد كان نعم الأستاذ ،واستسمحه عذرا إن قلت نعم الأخ والصديق، وإليه أتقدم بشكري وتقديري على وقفته الحنونة بجانبي، وعلى كل مابذله في سبيل أن تخرج الرسالة بهذا الشكل، رغم انه لم يكن متخصصا في تاريخ المغرب والأندلس، جعل الله كل ذلك في ميزان حسناته.

واننى لا اشك في أن استاذي الدكتور فتحي سيخالفنى القول في ان الشكر والتقدير والعرفان موصول لأستاذي في مرحلة الدراسات العليا ومناقشى في رسالة الماجستير والمشرف الثاني لرسالتى الدكتوراه الاستاذ الدكتور بشير التليسي،الذي كان جهده من وسائل تقويم وتقييم الرسالة للوصول بها الى هذا المستوي، فملاحظته سواء كانت بخصوص المادة العلمية او المنهجية كانت ومازالت دليلي في مسيرة البحث العلمي، جزاه عنا الله كل الخير وجعله في ميزان حسناته.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والاحترام للعالمين الجليلين الأستاذ الدكتور عفيفى محمود إبراهيم والأستاذة الدكتورة محاسن محمد على الوقاد على قبولهما مناقشة هذه الرسالة،فهو شرفا لي،فجزاهم الله على ذلك كل الخير

كما اتقدم بجزيل الشكر لكل زملائى الذين جمعتنى بهم صحبة ورفقة العلم، كما اتواجه بالشكر والتقدير إلى السادة بقسم الدراسات العليا واخص بالذكر المدام حنان والمدام هناء،وكذلك الشكر موصول للسادة بمكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس، والسادة بدار الوثائق والمخطوطات بالقاهرة، والسادة بمكتبة الدومينيكان بالقاهرة، والى كل من قدم لى يد العون او نظر إليا بنظرة إحسان.

الباحث

المقدمـة

تسعى الدول قديما وحديثا ليكون لها قوة حربية قادرة على مواجهة أعدائها لتأكيد وجودها واستمراره،فالدول ذات النظم الحربية القوية هي بالتأكيد دولا عاشت أيامها قوية مرهوبة الجانب،ويُحسب لها ألف حساب،ويُخشى بأسها،والعكس تماما لتلك الدول ذات النظم الحربية الضعيفة،فهي من المؤكد أنها واجهت في أيامها، ويلات الحروب وذاقت طعم الذل والهوان،وأصبحت هدف يطمع فيه الصديق قبل العدو،وبالطبع هذا ما جعل الدول تسعى منذ ظهور الحضارات الإنسانية إلى الاهتمام ببناء وتطوير النظم الحربية لدولهم في شتى المجالات سواء كان في الجيش أو الأسطول أو المنشآت الدفاعية.

وتُعتبر الدولة المرينية من ضمن الدول الإسلامية ببلاد المغرب التي حرصت على بناء نظمها الحربية،فقبل أن تؤسس قبائل بني مرين دولتها،وأثناء تجوالها ببلاد المغرب الأقصى لاحظت إهمال دولة الموحدين لشؤونه،وبالتالي استغلوا تلك الأوضاع من أجل بناء دولتها،وإصلاح هذا الإهمال،ولتحقيق ذلك اهتم المرينيون ببناء نظمهم الحربية.

لقد جاء بناء المرينيون لنظمهم الحربية متماشيا مع مراحل تأسيس دولتهم،وكان بداية ذلك عند قيامهم بعمليات إخضاع أقاليم بلاد المغرب والتي كان أبرزها إسقاط دولة الموحدين.

اعتمد المرينيون عند بناء قوتهم الحربية على تلك الإمكانيات البشرية والطبيعية المتوفرة ببلاد المغرب كما أنهم استفادوا من الخبرات الحربية للدول المجاورة لهم،كما حرص المرينيون على الاستفادة مما تتمتع به بلاد المغرب الأقصى من منشآت حربية قاموا بترميمها،إضافة إلى بناء العديد مثلها،وبالفعل بعد هذه الجهود تمكن المرينيون من بناء نظم حربية،أصبحت على مر الأيام تتميز بتطورها،تمكنوا بفعلها من تحقيق أهدافهم في القضاء على الفساد ببلاد المغرب وبسط أيديهم عليه،والجهاد ببلاد الأندلس،وهكذا ظلت الدولة المرينية طيلة فترة حكمها مرهوبة الجانب من دول المغرب ،وممالك اسبانية.

وانطلاقا من أهمية دراسة النظم الحربية للدولة المرينية باعتبارها تسهم في إبراز تاريخ هذه الدولة ظهرت الرغبة في الكتابة عن هذا الموضوع.

لقد واجهت الباحث عند قيامه بإنجاز هذا البحث عدة صعوبات منها ندرة المادة العلمية،وتناثرها بين المصادر، فأغلب مصادر المرينيين ركزت على الأحداث السياسية للدولة، ونزاعاتها وحروبها مع جيرانها من الدول الإسلامية والممالك النصرانية دون التطرق لتفاصيل النظم الحربية في موضوع مستقل، ومن هنا رأى الباحث أن يقوم بجمع شُتات المادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث من بين تلك الأحداث والحروب والنزاعات والقيام بصياغتها وتحليلها واستنباط الحقائق منها، وينوه الباحث هنا إلى أن المعلومات التي لم يعثر عليها في المصادر المرينية تم استكمالها مما هو موجود في مصادر الدول المجاورة للمرينيين أو تلك التي عاصرتهم في بلاد المشرق،على أساس انه لاتوجد فروق كبيرة في النظم الحربية للدول في تلك الفترة،وإضافة لما سبق واجهت الباحث مشكلة في الحصول على المصادر والمراجع الاسبانية،حيث لم يحصل منها إلا على الشيء اليسير.

أما بالنسبة لأهم الدراسات السابقة التي تناولت النظم الحربية المرينية فهي تتمثل في: رسالة دكتوراه غير منشورة للبارودي بعنوان (الحياة الحربية للدولة المرينية)،وفي الحقيقة فإن هذه الدراسة أفادت الباحث في الإلمام بالعديد من جوانب البحث،كما انها ارشدته للعديد من مصادر ومراجع البحث،غير انها لم تتناول النظم الحربية بشكل مفصل،وكذلك استفاد الباحث من رسالة ماجستير بعنوان الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديدة والمنصورة بتلمسان،لمحمد عياش،فهي رغم انها انحصرت في مدينتين مرينيتين فقط،الا انه وجد فيها الكثير من المعلومات القيمة التي غذت فصل المنشآت الدفاعية،كما يضيف الباحث إليها ما كتبه المنونى في ورقات عن نظم الدولة المرينية فهي تناولت العديد من النقاط المهمة لموضوع البحث،ولكنها كانت مركزة على جوانب بعينها.أما عدا ذلك مما وقعت عله يد الباحث فهو دراسات تتناول جزئيات بسيطة من النظم الحربية المرينية.

أما فيما يتعلق بالمنهج المتبع في الدراسة، فهو المنهج الوصفي التحليلي، القائم على أساس جمع المعلومات، وتحليلها واستنباط الحقائق منها.

تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة تناول الباحث فيها عرض لفصول الرسالة ،ودراسة لأهم المصادر والمراجع ،ثم أربعة فصول،إضافة إلى الخاتمة،ثم الملاحق والتي اشتملت على العديد من الخرائط والصور والأشكال والمخططات.

الفصل الأول، فهو بعنوان العلاقة الحربية للدولة المرينية مع دول المغرب والأندلس والممالك الاسبانية.وقد اشتمل على ثلاث عناصر وهي:.

قيام الدولة المرينية وتثبيت دعائمها،وفيه تناول الباحث أصل قبائل بني مرين وموطن سكنهم،وظروف معيشتهم،وبداية ظهورهم على مسرح الأحداث ببلاد المغرب،وبداية صدامهم مع دولة الموحدين وأسباب هذا الصراع،واهم المعارك بين الطرفين،وما الذي ترتب على ذلك،كما قام الباحث بإبراز الفترة التي بداء فيها المرينيون ببناء دعائم دولتهم ،واهم خطواتهم في هذا الشأن.ومن بعد حاولنا تناول مراحل توسيع حدود الدولة المرينية،وفي الحقيقة توسع الباحث في الحديث عن فترة يعقوب بن عبدالحق وهى الفترة التي يمكن القول أنها ظهرت فيها معالم بناء الدولة المرينية.

والعلاقة الحربية بين الدولة المرينية ودول المغرب والأندلس،فقد تناول فيه الباحث ثلاث جوانب وهي:

أولا: دولة بني عبدالواد،وهنا تناول الباحث جذور النزاع بينهم وبين الدولة المرينية،وكيف تطور نتيجة لرغبة التوسع والسيطرة عند كلا الدولتين،كما حاول الباحث إبراز الدور الخفي لدولة الموحدين في تغذية هذا النزاع، وكيفية استغلاله لصالحها للحافظ على نفوذها ببلاد المغرب، كما ذكر الباحث أهم مراحل النزاع بين الدولتين في هذه الفترة، والذي كان خاتمته حصار المرينيون لتلمسان عاصمة بني عبدالواد، وسقوطها بأيديهم سنة 737هـ\1336م.

ثانيا: الدولة الحفصية، تناول فيه الباحث العلاقة الحربية بينهم وبين الدولة المرينية، والتي غلب عليها طابع التعاون بينهما، كما وضح الباحث كيفية استغلال هذا التعاون لمصلحة الطرفين،كما قام الباحث بإبراز العوامل التي ساعدت على قوة التحالف بينهما،والتي كان على رأسها مخطط القضاء على بني عبدالواد ودولة الموحدين، ثم تناول الباحث المساعدات المتبادلة بين الطرفين وخصوصا في المجال الحربي،كما تحدث عن تلك الفترات التي تخللها النزاع بين الدولتين،والتي كان سببها تدخل كلاهما في شؤون الأخرى، وما ترتب على ذلك من ثورات عديدة وخاصة ضد الدولة المرينية.

ثالثا: مملكة بني الأحمر بغرناطة.هنا تناول الباحث أهمية مملكة بني الأحمر كموطن للمسلمين بالأندلس، ودور الدولة المرينية كدولة إسلامية في تقديم المساعدات الحربية لها للوقوف ضد زحف النصارى.لقد تميزت هذه العلاقة بالمد والجزر، وذلك لتخوف بني الأحمر من سيطرة الدولة المرينية على أملاكهم، فكلما تعرض بني الأحمر لخطر الممالك النصرانية، طلبوا المساعدة الحربية المرينية، وعند قدوم المساعدات لتأدية مهامها بالأندلس، يقف منها بني الأحمر موقف المتخاذل ، وهذا التخاذل كان منبعه الخوف المتكرر من السيطرة المرينية على بلاد الأندلس،ولقد كان المرينيون كثيرا ما يتجاوزا لملوك بني الأحمر تخاذلهم وذلك حرصا على وحدة الإسلام والمسلمين.ولكن عقب فترة حكم السلطان المريني أبا سالم بدأت تظهر سيطرة وزراء الدولة المرينية على شؤون الحكم، وهذا بالطبع سمح لتدخل بني الأحمر في الشؤون الداخلية للدولة المرينية،مما ترتب على ذلك العديد من الثورات المرينية.

وأخيرا العلاقة الحربية المرينية مع الممالك النصرانية باسبانيا، فلقد تناول الباحث فيه العلاقة المرينية مع مملكة قشتالة ومملكة اراجون ومملكة البرتغال.

أولا: بالنسبة لمملكة قشتاله فقد قام الباحث بالتعريف بها، ودورها في دعم حركة الاسترداد، ثم عرض ابرز الأحداث بينها وبين الدولة المرينية، هذه الأحداث التي ساهمت في تشكيل العلاقة الحربية بينهما، كما ذكر الباحث أبرز أسباب الصراع، والتي في الغالب كانت أما لتهديد هذه المملكة لشواطئ الدولة المرينية أو تهديدها للمسلمين بالأندلس.

ثانيا: مملكة أراجون: بعد التعريف بهذه المملكة، تناول الباحث علاقتها مع الدولة المرينية والتي تميزت في البداية بالتعاون بينهما،ومن بعد بدأت مملكة اراجون تنخرط في حلف النصارى ضد الدولة المرينية،بتحريض مسبق من باقي الممالك النصرانية.

ثالثا: مملكة البرتغال: كانت هذه المملكة منطوية على نفسها ولم تدخل في صراع مع المرينيين إلا بعد مناشدة مملكة قشتالة لها، غير أن بعض المؤشرات هي التي أدت إلى أطماع البرتغال في أملاك المرينيين، فعندما بدأت تعانى الدولة المرينية من الضعف في شتى جوانبها، وفي المقابل ظهرت نهضة برتغالية وخاصة في المجال الحربي، أدى ذلك إلى سيطرة البرتغال على العديد من القواعد البحرية المرينية وكان ذلك بداية من سنة 818هـ\1415م.

أما فيما يخص الفصل الثاني فقد تناول فيه الباحث نظم الجيش ،والتي توزعت على ثلاث عناصر،أولها عناصر وفرق الجيش المريني وقيادته العسكرية. وفيه تناول الباحث بالتفصيل

العناصر المقاتلة ودورها، والتي كان على رأسها القبائل المغربية،كما تناول الدور البارز للقبائل العربية في الجيش المريني،ثم باقي العناصر.كما لم يغفل الباحث العناصر غير المقاتلة ودورها مثل الفعَّلة والجواسيس وغيرهم من العناصر.

لقد كانت كل هذه العناصر تدخل ضمن الفرق الحربية، هذه الفرق التي من المرجح أن يكون لها دور كبير في بناء هيكلية الجيش وفنونه القتالية. ولقد تم تسمية هذه الفرق على أساس انضمامها للجيش، يعنى هناك منها النظامية ومنها المطوعة، وتندرج تحتها فرق سُميت بناء على تخصصها الحربي، وبالطبع هذه الفرق كانت لها قيادات حربية، وهذا ما جعل الباحث يفرد لها جزئية في هذا الفصل تتناول القيادة الحربية للجيش، باعتبارها جزء من نظم الجيش.لقد تدرجت هذه القيادة في شكل هرمي من القيادة العليا وتنتهي بقيادة الجند في شكل منظم.وثانيا التنظيمات التعبوية والإدارية للجيش،أي ما يخص نظم الجيش على ارض المعركة وخارجها، وثالثا عدة الجيش، ونظرا لتعددها وتنوعها تم تقسيمها إلى عدة أقسام، فمثلا الأسلحة وجد الباحث منها الوقائي والقتالي، وكل نوع تحته العديد من الأصناف، كما أن زى الجند حاول الباحث بقدر الإمكان تفصيله حتى يضع في مخيلة كل قارئ صورة للجندي المريني وهو بالزى الحربي، بداية من الرأس حتى القدمين،وحاول الباحث هنا أن يوضح مدى دقة تنظيم الجيش المريني، واهتمامه بالزى الحربي للجند،كما أدخل الباحث ضمن عدة الجيش الطبول والمزامير والألوية والرايات، وحاول إبراز أهميتها الحربية باعتبارها من نظم الجيش.

وبالنسبة للفصل الثالث فقد تناول نظم الأسطول، ويقع في ثلاث عناصر أولها القواعد البحرية ودور صناعة السفن،وهنا يرى الباحث انه من الصعب الفصل بين القواعد الحربية ودور الصناعة؛ فالقاعدة تجد بها دار صناعة، ودور الصناعة بها قواعد بحرية. لذا خلال الدراسة حاول الباحث حصر القواعد ودور الصناعة الممتدة على طول سواحل الدولة المرينية ببلاد المغرب وتونس وسواحل بلاد الأندلس، كما أوضح أهمية موقعها الجغرافي،(والذي اكسبها إستراتيجية حربية)، وما تشتمل عليه من موارد طبيعية تساهم في تطور الأسطول.أما ثانيها سفن الأسطول ومعداته والمواد المستخدمة في صناعته،فقد اشتمل الأسطول المريني على العديد من أنواع السفن، ذات الوظائف الحربية المتنوعة، حيث كان لهذه السفن معدات حربية خاصة بها أفادت المرينيين في حروبهم، والتي تعكس مدى تطور نظم الأسطول،ولكي يستكمل الباحث الحديث عن السفن تناول المواد المستخدمة في صناعتها، والتي كانت متوفرة ببلاد المغرب، حيث كان نادرا ما يتم استيراد هذه المواد من مناطق بعيدة.أما ثالث هذه العناصر تمثل في قيادة الأسطول وفنونه القتالية،فلقد تم التركيز فيه على قيادة الأسطول ومراتبها، وأشهر قيادته التي كان له دور بارز في تحقيق الانتصارات البحرية المرينية،وكذلك تناول الباحث الفنون القتالية لهذا الأسطول والتي كانت ذات صلة بنوعية السلاح المحمول على السفن.

أما الفصل الثالث النظم الحربية للمنشآت المرينية،فقد تم تقسيمه إلى ثلاث عناصر،أولا المنشآت الحربية المرينية، وفيه حاول الباحث حصر المدن والقلاع والحصون المرينية التي قاموا ببنائها أو ترميمها،كما تناول الدور الحربي لهذه المنشآت، والذي كان يعتمد في الكثير من الأحيان على الموقع الاستراتيجي لها.أما ثانيا فقد اشتمل على التحصينات الدفاعية لهذه

المنشآت،والتي تمثلت في الأسوار والأبراج والمداخل والمحارس والمناظر والمرامي والجلسات، ولقد عكست هذه التحصينات تطور النظم الحربية للمنشآت الدفاعية، وثالثا ركز فيه الباحث على المواد المستخدمة في بناء هذه المنشآت، وطرق بناء هذه المنشآت الحربية.

دراسة تحليله لأهم المصادر والمراجع

اعتمد الباحث في كتابة هذا البحث على العديد من المصادر المخطوطة والمطبوعة،والتي عددا منها ألفه شخصيات عاشت داخل الدولة المرينية، بل وتقلدت مناصب بها، والبعض كُتبت على يد شخصيات من دول معاصرة للمرينيين،كما أن هناك مصادر أخرى كُتبت في فترات زمنية ليست بعيدة عن عهد الدولة المرينية، كما اعتمد الباحث على كم من المراجع ذات الصلة بموضوع البحث.وينوه الباحث هنا إلى أنه اقتصر على ذكر بعض هذه المصادر والمراجع، لان الحديث عنها كاملة لا يمكن اجماله في هذه الصفحات القليلة.

فبالنسبة للمخطوطات منها مخطوط منطق الطير لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبدالواحد بن أبي حجله التلمساني، ولد بالمغرب ونزل بدمشق ثم القاهرة (725-776هـ\1374-1324م)، احتوى هذا المخطوط على معلومات تخص السفن المرينية وأنواعها وذلك من خلال أبيات الشعر التي وصفت الأسطول المريني،.وكذلك مخطوط الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية لمحمد بن منكلي (ت 784هـ\1382م) وهو يبحث في فن القتال ويحتوي على 122 بابا، وتحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة منه آخرها العاشر بعد المائة،فرغم أن المؤلف كان مقيما بدولة المماليك بمصر إلا انه كان معاصرا للدولة المرينية، وذكر بعض الأسلحة والسفن المستعملة في بلاد المغرب، كما انه قدم وصفا لدار صناعة السفن بسبته.وكذلك استعان الباحث بمخطوط آثار الأول في ترتيب الدول للحسن بن عبدالله بن محمد العباسي،والذي فرغ منه سنة 708هـ\1308م ،والنسخة التي رجع إليها الباحث تلك الموجودة بدار الكتب المصرية، ورغم أن صاحب المخطوط عاش بالمشرق الا انه من المعاصرين للدولة المرينية، وبالتالي فقد ذكر العديد من المعلومات المهمة بخصوص الفنون القتالية للعناصر المقاتلة من القبائل المغربية، والنصارى، كما انه أورد تفصيلات عن العديد من الأسلحة التي استخدمت في المشرق والمغرب في تلك الفترة، كما انه تناول بالتفصيل العديد من الرتب الحربية، والتي لا يستبعد الباحث أنها كانت موجودة داخل النظم الحربية المرينية.

كما استفاد الباحث من الوثائق العربية الدبلوماسية من أرشيف ملك أراجون،وهي مجموعة من الوثائق العربية الدبلوماسية ضمن مخطوطات مكتبة أراغون والتي للامانة لم يطلع الباحث عليها مباشرة، ولقد احتوت على مراسلات جرت بين سلاطين الدولة المرينية وملوك مملكة أراجون.

أما بالنسبة للمصادر المطبوعة،فقد استعان الباحث كثيرا بكتاب فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب لإبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن موسي (ابن الحاج النميري)(713-768هـ\1313-1366م)،الذي عمل في بلاط بني مرين،مما جعله على دراية بالعديد من الأمور داخل دولتهم، ويعتبر كتابه هذا، والذي يمثل سجل لرحلة صاحب فيها السلطان المريني أبا عنان ،مصدرا مهما للعديد من تفاصيل العلاقة الحربية للدولة المرينية

بجيرانها، ومصدر للنظم الحربية المرينية وخاصة الجيش والأسطول،حيث أورد فيه معلومات ساهمت في إثراء موضوع البحث.كما استفاد الباحث من كتاب الإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية لمحمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندرانى (ت 775هـ\1372م)، فقد أمد الباحث بمعلومات مهمة عن الأسطول المريني وعن دار صناعة سبته، وطريقة خروج السفن منها. كما يعتبر كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون والذي يقع في سبعة أجزاء من المصادر المهمة،.فقد شارك ابن خلدون في أحداث المغرب في القرن الثامن الهجري، وذلك لخدمته في بلاط الدولة المرينية، كما عمل داخل الدولة الحفصية، وبالتالي أصبح على دراية بالعديد من الأحداث السياسية.ومن أهم أجزاء هذا المصدر التي استعان بها الباحث الجزء الأول (المعروف بالمقدمة) والجزء السابع، وفيهما معلومات عن النظم الحربية المرينية، وتفاصيل دقيقه عن قبيلة زناته أصل بني مرين، والعناصر المقاتلة داخل الجيش المريني وأسلحتها، وخاصة الأسلحة النارية،التي اثبت هذا المصدر أن المغاربة استخدموها قبل الأوربيين،كما أفاد الباحث بإعطاء معلومات بخصوص العلاقة الحربية للمرينيين مع الحفصيين وبني عبدالواد والممالك النصرانية.

كما أن ابن مرزوق التلمسانى (711- 781هـ\1311- 1379م) وهو من الذين عملوا داخل البلاط المريني، خلف مصدرا ذا قيمة كبيرة وهو المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن،والذي يعتبر تمجيدا للسلطان أبى الحسن.والمسند به معلومات ذات قدرا كبيرا من الأهمية، فقد تناول العلاقة بين الدولة المرينية ودولة بني الأحمر بغرناطة، كما انه تناول بعض المعلومات عن النظم الحربية المرينية التي تخص الجيش وعناصره القتالية وأسلحته والمنشآت الدفاعية من مدن ومحارس ومناور وخاصة تلك المنتشرة على سواحل المغرب والأندلس.

وكذلك يعتبر الوزير الأديب لسان الدين بن الخطيب،من المؤلفين لمجموعة من المصادر ذات القيمة العلمية، وذلك لمشاركة ابن الخطيب في أحداث الأندلس وبلاد المغرب، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثامن من الهجرة،فلقد كان وزيرا لبني الأحمر،ولذا كان مطلعا على المراسلات الموجودة بقصرهم،ولقد وظف هذه المراسلات في انجاز مؤلفاته، ولقد استفاد الباحث من مؤلفاته في الحصول على معلومات تخص العلاقة الحربية بين المرينيين وبني الأحمر، ومعلومات عن المنشآت الحربية المرينية، ومن هذه المؤلفات :نفاضة الجراب، ومعيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، ومفاخرات مالقه وسلا، وخطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف.وغيرها من المؤلفات التي يطول تعدادها وذكر ما تحويه من معلومات.

ومن المصادر ذات الأهمية الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية لمؤلف مجهول، ولقد ركز هذا المصدر على أصل بني مرين ونشأتهم ، ونزاعهم مع دولة الموحدين، كما انه تناول العلاقة الحربية بين المرينيين والأندلسيين، وذكر بعض العناصر القتالية، وأسلحتها.كما أن ابن عذارى المراكشي (كان حيا سنة 712هـ\1312م) في كتابه البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب[1] ـ الجزء الثالث والقسم الخاص بالموحدين ،زود الباحث بمعلومات عن الصراع بين الموحدين والمرينيين،وكذلك شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل العمري في كتابه مسالك

[1] ويجب التنويه هنا إلى أننا رجعنا لطبعتين مختلفتين من هذا الكتاب.

الأبصار، وهو في مجموعة أجزاء، وما استفاد منه الباحث هنا الجزء الخاص ببلاد المغرب، وذلك أثناء البحث عن معلومات تخص قبائل بني مرين، ونظم الجيش المريني، وعناصره، وطرق التدريب، والمنشآت المرينية وخاصة مدينة فاس.

كما استعان الباحث بكتاب أبي العباس احمد القلقشندى(ت821هـ\1418م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،وخاصة الجزء الخامس[2]،كما أن ابن بطوطة[3] في رحلته المعروفة باسم تحفة النظار وعجائب الأسفار ذكر معلومات عن المنشآت المرينية ودور سلاطين بني مرين في بنائها وصيانتها، وخاصة جبل الفتح.كما أن جعفر بن احمد الناصري في كتابه سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية،وهو يتكون من ستة أجزاء ويعتبر الجزء الثاني ذا معلومات مهمة بخصوص القواعد البحرية ودور الصناعة المنشآت الدفاعية المرينية، وخاصة سلا ورباط الفتح.

أما المراجع التي تناولت النظم الحربية للدولة المرينية،والتي أفادت الباحث ،نذكر منها:المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني لمحمد عيسى الحريري، حيث تناول تاريخ الدولة المرينية من بداية أمرها ،وتناول علاقتها بالدول المجاورة ،ودراسته لجوانبها الحضارية،وبدون تخصيص الكتاب بكل فصوله أفاد الباحث.

أما كتاب السلاح في الإسلام لعبدالرحمن زكى،والذي تميز بتفاصيله الدقيق عن الأسلحة القتالية والدفاعية في الإسلام،ويعتبر مرجع حربي مهم لكل من يتناول النظم الحربية في الدول الإسلامية،وكتاب مدينة المنصورة المرينية بتلمسان دراسة تاريخية أثرية في عمرانها وعمارتها وفنونها لعبدالعزيز محمود الأعرج،الذي ركز في فصله الأول على العلاقة الحربية المرينية مع بني عبدالواد،أما باقي الفصول فهي تتكلم بشكل مركز عن مدينة المنصورة، تأسيسها وعمارتها الدينية ،وعمليات التنقيب على الحفريات التي أجراها المؤلف،ويعتبر الفصل الخامس الاستحكامات العسكرية للمدينة من أهم الفصول التي أفادت الباحث كثيرا وخاصة عند تناول المنشآت الدفاعية المرينية.

أما كتاب اللباس المغربي من الدولة المرينية الى الدولة السعدية لمحمد مقر،فقد أفاد الباحث وخاصة الباب الثالث منه لتناوله زى الجيش المريني بشكل مفصل.ومن المراجع المهمة ورقات عن حضارة المرينيين* لمحمد المنوني،فهو فعلا مرجعا مهما في الحضارة المرينية ،ومادته العلمية مركزة وبعيده عن التفاصيل الجانبية أي كلها تحكى في صلب العنوان، وما أفاد الباحث منها الفصل الأول والثاني والثالث من الباب الأول، لتناولهم مدينة فاس وعمارتها الحربية، وكذلك الفصل الثاني من الباب الثاني،والذي تناول النظام العسكري (الجيش والأسطول وآلات الحصار والدفاع) .

---

[2] نلاحظ أن القلقشندى كان ينقل بشكل واضح من العمري.

[3] لقد تم استخدام طبعتين مختلفتين من هذه الرحلة.

* وفيه تم الاستناد إلى طبعتين.

وكذلك استفاد الباحث من بعض البحوث المنشورة في الدوريات ،مثل الارتزاق المسيحي في الدولة المرينية بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،ومن خلال هذا البحث تعرف الباحث على بداية دخول عناصر النصارى في جيوش المغرب وخاصة أيام الدولة المرينية .

وكذلك الرسائل العلمية تعتبر من المراجع التي أفاد الباحث كثيرا واخص بالذكر رسالة دكتوراه بعنوان الحياة الحربية في الدولة المرينية لأحمد البارودي،لقد احتوت على معلومات تخص موضوع البحث، الأمر الذي جعل الباحث يستفيد منها في وضع هيكلية البحث،كما أنها كانت مرشدا للعديد من المصادر والمراجع،وهذا بالطبع لم يمنع الباحث من توجيه النقد لها كلما وقف على ذلك.وكذلك رسالة ماجستير الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد والمنصورة بتلمسان لمحمد عياش،فهي أفادت الباحث كثيرا في فصل النظم الحربية في المنشآت الدفاعية المرينية،والأهمية تأتى في كونها دراسة أثرية وبها ملاحق متعددة استعان بها الباحث في ملاحق هذه الرسالة.كما أن رسالة الدكتوراه المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، لعبدالعزيز محمود الاعرج تعتبر من ضمن الرسائل المفيدة،وربما هذه الرسالة تكون قد نُشرت في شكل الكتاب الذي سبق ذكره لعبدالعزيز لاعرج .

كما أن الباحث استفاد من عدد من المراجع الأجنبية غير المترجمة والمترجمة وسوف يقتصر الباحث على ذكر الأخيرة، فبالنسبة للمراجع المترجمة ،فهي:كتاب وصف إفريقيا للحسن بن محمد الوزان والذي ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، وكتاب فاس في عصر بني مرين لروجيه لوتورنو، ترجمة نقولا زياده، وكتاب مع شعراء الأندلس والمتنبي لجارثيما جومز،ترجمة الطاهر احمد مكي،وماركوس ملر يوزف،وبحثه عن مفاخرة سلا ومالقه لأبن الخطيب،وألمانى خوسي،وبحثه الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة،ترجمة احمد مدينة،وأخيرا دوزي في كتابه تكملة المعاجم العربية،ترجمة مجموعة من الأساتذة.

الفصل الأول: العلاقة الحربية للدولة المرينية مع دول المغرب والأندلس والممالك الاسبانية.
أولا:قيام الدولة المرينية وتثبيت دعائمها.

ثانيا : العلاقة الحربية مع دول المغرب والأندلس.

1. دولة بني عبدالواد.
2. الدولة الحفصية.
3. دولة بني الأحمر بغرناطة.

ثالثا: العلاقة الحربية مع الممالك الاسبانية.

1. مملكة قشتالة.
2. مملكة أراجون.
3. مملكة البرتغال.

العلاقة الحربية للدولة المرينية مع دول المغرب والأندلس والممالك الاسبانية

أولا: قيام الدولة المرينية وتثبيت دعائمها:

تأسست الدولة المرينية على يد القبائل المرينية التي ترجع في أصولها إلى قبائل زناتة المغربية[1] [2]. ويقول ابن خلدون: إن المرينيين عرفوا بحسبهم ونسبهم بين الزناتيين[3]. ويحاول بعض المؤرخين إرجاع المرينيين للأصل العربي، وذلك عند نسبهم زناتة إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ومن الواضح أن المرينيين يفتخرون بهذا النسب، ونفهم ذلك من خلال ما أورده شعرائهم[4]

يعتبر مرين بن ورتاجن بن ماخوخ ابن واسين[5] الجد الأعلى للمرينيين، ولقد تزوج من ابنة عمه يتكتور بنت عيسى بن نوح بن وجديج، وأنجب منها ولدان هما ورتاجن وهو الأكبر وجرماط وهو الأصغر ومن هاذين الابنين ظهرت قبائل بني مرين[6].

أما عن موطن القبائل المرينية، فهو مرتبط بموطن زناتة التي انتشرت في عدة مناطق فنجد منها من استوطن المنطقة الساحلية الممتدة ما بين طرابلس وافريقية، ومنها من استقر في المنطقة الصحراوية التي تمتد من غدامس إلى السوس الأقصى[7] جنوب مراكش، والأغلبية منها سكنت بالمناطق الداخلية للمغربين الأوسط، والأقصى[98].

---

[1] ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تحقيق ونشر: دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1972م، ص14.

[2] زناتة تُعد من اكبر القبائل البربرية القديمة، وإضافة إلى مرين فهي تتكون من العديد من القبائل الزناتية ومنها: مغراوة وبنو يفرن، وزواغة، وجديجة، وبوفاتن، ومغيلة، ومطغرة، ومديونة، وكشاته، وملزوزة، ومطماطة، وولهاصة، ولواتة، ومرنية، وبنودمر، ونفوسه، وبنو يطفوت، وبنو يخفش، وبطوية، وكزناية، وبنو ورطغير، وبنويزونت، وملكيشة،وعشعاشة، وسدريكة، ونفزة، وجراوة، ولماية، وبنو مسارت، وسدراتة، وبنو واسين، وزحيلة، وسوماتة، وورسيفة، وبنو تاجرة، وبنو عبدالواد، وإخوتهم بنو تاجين.ابن أبي زرع، المصدر السابق،ص15.

[3] عبدالرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة :سهيل زكار، ج7، دار الفكر ، بيروت، 1421هـ\2000م، ص83.

[4] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص14. ففي أبيات لمالك بن المرحل يمدح السلطان يوسف بن يعقوب بن عبدالحق (685 706هـ\1286- 1306م) يقول:

انتم لأبناء عبدالحق كلهم ***فخر وهم للورا فخرا إذا افتخروا

فحسبكم شرفا أن كان جدكم ***بر بن قيس وقيس جده مضر.

[5] ابن خلدون،العبر، ج7، ص221. محمد بن مرزوق التلمساني.المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، المكتبة الوطنية الجزائرية، الشركة الوطنية الجزائرية الجزائر، 1401هـ\1981م، ص107.

[6]إسماعيل بن الأحمر، روض النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ\1991م ، ص19.

[7] السوس الأقصى، إقليم خصب يقع جنوب مدينة مراكش وراء جبال أطلس، يحده غربا المحيط الأطلسي، يخترقه وادي السوس، وشمال هذا الإقليم إقليم السوس الأدنى.مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبدالحميد،دار الشؤون الثقافية العامة. أفاق عربية،بغداد، ص211، أبي عبيدالله ،محمد بن محمد بن عبدالله بن أدريس، الملقب بالإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،مج 1مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، ص221.

[8] المغرب الأقصى: يسمى أيضا بر العدوة لسهولة الجواز منه إلى الأندلس.احمد بن علي القلقشندى،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،ج5، المطبعة الأميرية ،القاهرة،1333هـ\1915م ،ص152- 211.

[9] ابن خلدون،العبر،ج7،ص3.أحمد بن خالد الناصري المعروف بـ(السلاوي)،الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،تحقيق وتعليق احمد الناصري،ج4، منشورات وزارة الثقافة والاتصال ،المغرب،2001م،ص12.

كان نصيب المرينيين من هذا الانتشار الزناتي أن استقروا بالأجزاء الجنوبية للمغرب الأوسط في المنطقة المعروفة قديما ببلاد الزاب[21]. غير أنهم تركوها وتوجهوا إلى صحراء جنوب المغرب الأوسط، وذلك بسبب الضغط الذي مارسته عليهم قبائل العرب الهلاليين في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)[3]. ويكاد يجمع المؤرخون والجغرافيون العرب العرب أن المرينيين قبل استيلائهم على بلاد المغرب الأقصى كانوا يقيمون بصحرائه الجنوبية الممتدة بين فكيك[4] أو فجيج إلى سجلماسة[5] ووأدي ملوية[6].

نفهم مما سبق أن المرينيين استقروا بصحراء بلاد المغرب، ونظرا لقلة أسباب المعيشة اضطروا لتنقل بين أقاليم المغرب سعيا وراء رزقهم، ولقد استعملوا الإبل والخيل في تنقلهم، كما أنهم اتخذوا من الخيام سكنا لهم[7]، وكانوا لا يدخلون تحت حكم معين، ولا يعرفون تجارة أو أو حرثا، ففي فصل الصيف يتجهون صوب سهول المغرب الشرقية عند نواحي جبال تازة[8] ووجدة، حيث تكون مناسبة لهم لرعى حيواناتهم، وفي منتصف الخريف يرجعوا إلى الصحراء[9].

كان بداية ظهور المرينيون على مسرح الأحداث ببلاد المغرب في فترة مبكرة، أي قبل قيام دولتهم سنة 668هـ\1269م، وذلك عند مشاركتهم كعناصر مقاتلة ضمن جيوش حكام دول المغربين الأوسط والأقصى مثل بني حماد الصنهاجيين، والموحدين أو عند حروبهم ضد هذه الدول كما حدث بينهم وبين الموحدين، فمثلا استخدمهم حكام بني حماد الصنهاجيون لصد خطر غزو قبائل العرب الهلاليين لأفريقية في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، كما أنهم دخلوا كعناصر مقاتلة ضمن الجيش الموحدي منذ أيام عبدالمؤمن بن علي الموحدي(524-558هـ\1129-1162م)، كما أنهم شاركوا في عمليات الجهاد بالأندلس زمن الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب، وساهموا كذلك في موقعة الأرك[10] سنة 591هـ\1195م

---

[1] الزاب:تقع بلاد الزاب على طرف الصحراء مقابل بلاد الجريد وأنها تشتهر بكثرة نخيلها،وهى مدن كثيرة وعمائر متصلة،وبلاد الزاب عبارة عن القسم الجنوبي لولاية قسنطينة بالجزائر جنوب جبل الأوراس.ومن أهم مدن الزاب مدينة بسكرة.مؤلف مجهول،الاستبصار،ص171.ابن الخطيب،الأعلام،القسم 3،هامش ص66.

[2] تقع بلاد الزاب على طرف الصحراء مقابل بلاد الجريد المعروفة بكثرة نخيلها وهى عبارة عن مدن كثيرة عامرة بالسكان ،وتمثل الزاب القسم الجنوبي لولاية قسنطينة بدولة الجزائر ،ومن أشهر مدن الزاب مدينة بسكرة ذات واحات النخيل وحمامات المياه الساخنة.مؤلف مجهول،الاستبصار،ص171، لسان الدين ابن الخطيب،أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام،تحقيق:مختار العبادي،محمد إبراهيم الكتاني،القسم 3،دار الكتاب،الدار البيضاء،1964م،القسم 3،ص66.

[3] ابن خلدون،العبر،ج7،ص84.

[4] فكيك:عبارة عن ثلاثة قصور في الصحراء في منطقة المغرب الأوسط تحيط بها غابة نخيل،وهي على بعد مائتين وخمسين ميلا شرقي سجلماسة. الحسن بن محمد الوزان،وصف إفريقيا،ترجمه عن الفرنسية:محمد حجي محمد الأخضر،ج2،ط2،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1983م،ص132- 133.

[5] سجلماسة:مدينة بنيت سنة 140هـ\757م، وهي مدينة سهلية أرضها سبخة،ولها بساتين كثيرة وهي في أول الصحراء لا يعرف في غربها وقبليها عمران،ومنها تدخل إلى بلاد السودان ثم إلى غانة وبينها وبين غانة مسيرة شهرين في الصحراء. البكري،المصدر السابق،ص148- 149.

[6] وادي ملوية:وهو نهر كبير معروف في المغرب الأقصى،يصب إليه نهر سجلماسة ،ويشكلان نهر واحد يصب في البحر المتوسط.القلقشندى،المصدر المصدر السابق،ج5،ص175.

[7] ابن خلدون،العبر ،ج7،ص3 7.ابن أبي زرع،الذخيرة،ص15

[8] جبال تازة:تعتبر جبال وبلاد تازا إضافة إلى ملوية الحد الفاصل بين المغربين الأوسط والأقصى،ويقع رباط تازة في احد جبالها ،وبني سنة 586هـ\1172م،أما المدينة ذاتها تازة فلقد بناها عبدالمؤمن المؤمن بن علي الكومي الموحدي سنة 529هـ\1234م،وقام بتحصينها..الحميري،المصدر السابق،ص128، ابن أبي زرع،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،مراجعة: عبدالوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية ،الرباط،1999م ،ص262.

[9] نزهة المشتاق،ص222.ابن خلدون،العبر،ج7،ص84.القلقشندى،المصدر السابق،ج5 ،ص194.ابن أبي زرع،الذخيرة،ص25.

[10] الأرك:حصن منيع قرب قلعة رباح بالأندلس.الحميري،المصدر السابق،ص27.

تحت قيادة محيو بن أبي بكر المريني[1]. كما خاض المرينيون حروب ضد تلك الدول التي حاربوا في يوما من الأيام إلى معها كما حدث زمن زعيمهم المخضب بن عسكر بن محمد بن وزيز عند حربه ضد دولة الموحدين[2]، هذه الحرب التي كان سببها قيام المرينيين بالاستيلاء على قافلة[3]للموحدين كانت متجهة من وهران[4] إلى تينملل[5]، وعند قيام الجيش الموحدي ـ والذي والذي كان اغلبه من بني عبدالواد ـ بمحاولة استردادها وقعت الحرب عند مكان يسمى فحص مسون[6]، وقتل فيها المخضب بن عسكر سنة 540هـ\1146م، مما أدى إلى تراجع القبائل المرينية إلى الصحراء[7]. ونعتقد أن كل تلك الأحداث لم تسهم في بروز المرينيين في أحداث بلاد المغرب فحسب، بل كان له اثر في بناء نواة نظمهم الحربية وذلك من خلال اقتباسهم نظم تلك الدول.

لقد بدأ المرينيون منذ تولى عبدالحق بن محيو بن حمامة (592 614هـ\1195 1217م) رئاستهم[8]، يستغلون ضعف دولة الموحدين، وزاد هذا الاستغلال عقب هزيمة الموحدين في موقعة العقاب[9]سنة 609هـ\1212م، فعند توافد المرينيون على سهول المغرب الأقصى بحثا عن الكلأ والماء كعادتهم، وجدوا أحواله تبدلت نظرا لضعف حكم الموحدين به، فتوغلوا في مناطقه الخصبة، وأرسلوا إلى إخوتهم للمجيء فأقبلوا مسرعين، وانتشروا في نواحيه، يشنون الغارات عليها، مما ترتب عليه شكوى السكان منهم للخليفة الموحدي المستنصر(610 620هـ\1213\1224م)، فأرسل جيش للقضاء عليهم، وعند سماع المرينيون بذلك وهم بجهات الريف[10]، خبئوا أملاكهم في حصن تازوطا[11]، وفي سنة 613هـ\1216م وعند

---

[1] ابن خلدون،العبر،ج7،ص222.ابن أبي زرع،الذخيرة،ص23.

[2] دولة الموحدين:قامت على أنقاض دولة المرابطين(454 543هـ\1062 1148م)،ويعتبر المهدي محمد بن تومرت (ت 524ـ\1130م الزعيم الروحي والمؤسس لهذه الدولة،وعبدالمؤمن بن علي الكومي (ت 558هـ\1163م) المؤسس لدعائمها.ابن أبي زرع،القرطاس،ص173 174 175.

[3] كانت هذه القافلة محملة بأموال وكنوز المرابطين التي استولى عليها الخليفة الموحدي عبدالمؤمن بن علي الكومي بعد فتحه لمدينة وهران سنة 539هـ\1145م. ابن خلدون،العبر،ج7،ص222.السلاوي،المصدر السابق،ص17.

[4] وهران:مدينة شمال المغرب الأوسط على ضفة البحر المتوسط ،وتبعد مسير ليلة عن مدينة تلمسان،الحموي،المصدر السابق،ج5،ص385.

[5] تينمل اوتينملل:وهو حصن منيع على جبل درن جنوب المغرب الأقصى، ولا يمكن الوصول إليه إلا بصعوبة ، وبه ظهر المهدي بن تومرت الموحدي(ت524هـ\1130م)، وزاد من تحصينه ودفن فيه، وبه أشجار مثمرة من مختلف الأصناف.الإدريسي،المصدر السابق، ج1، ص230. الحميري، المصدر السابق، ص235.

[6] فحص مسون:منطقة قرب نهر ملوية بالمغرب الأوسط،ابن الأحمر روض،ص22

[7] ابن خلدون،العبر،ج7،ص222.السلاوي،المصدر السابق،ص17.

[8] هذه الشخصية التي يفضل البعض تسمية دولة بني مرين باسمها بأن يطلقوا عليها اسم الدولة العبدالحقية، تمييزا لها عن الدولة الوطاسية التي خلفتها في حكم بلاد المغرب ابن أبى زرع،القرطاس ،ص278. والعبدالحقية :نسبة إلى الأمير عبدالحق بن محيو (592 614هـ\1195 1217م)،ابن أبي زرع،الذخيرة،ص12 24. وبنو وطاس:قبيلة من قبائل بني مرين،يعود سبب دخولهم معهم إلى خروج جدهم وطاس بن المعز بن تاشفين إلى بلاد الزاب لاجئا إليهم بعد سيطرة الموحدين على أملاك بني وطاس،فأصبح وذريته منهم،وعملوا في عدة مناصب داخل الدولة المرينية،ولقد كان بني وطاس يتواجدون بقلعة تازوطه ويتحينون الفرص من أجل الرياسة وربما هذا ما جعل الدولة المرينية تولى اهتمام خاص بهذه القلعة وذلك بوضع حامية بها.ابن أبي زرع،الذخيرة،ص22.السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص73.

[9] العقاب:أسم موضع بالأندلس بين جيان وقلعة رباح .الحميري،المصدر السابق،ص416.

[10] تطلق كلمة الريف في بلاد المغرب والأندلس على الأراضي المتاخمة للبحر أو المحيط.وهنا هي عبارة عن سلسلة جبال في شمال المغرب تمتد في شكل هلال من سبته إلى مليلة وتنحدر منها عدة أودية تصب في البحر المتوسط.ابن الخطيب،أعمال الأعلام،القسم 3،ص171

[11] حصن تازوطا:حصن منيع يقع في المنطقة الفاصلة بين بلاد الريف شمال شرق المغرب الأقصى وصحراء المغرب الأوسط.خير الدين الزر كلى،الأعلام،ط15،بيروت،دار العلم للملايين،أيار\مايو 2002م.ص282.

توسعهم شمال المغرب الأقصى عند نواحي الوادي القريب من مدينة نكور[1]، اصطدم المرينيون المرينيون مع جيش الموحدين وهزموه، وفر جنده وهم يضعون أغصان نبات المشعلة فوق رؤوسهم للاختباء عن أعين المرينيين، ولقد أُطلق على هذه المعركة اسم المشعلة نسبة لهذا النبات[2] [3].

تعتبر معركة المشعلة سنة 613هـ\1216م، فاتحة عهد المرينيين، وبداية النهاية للموحدين، فلقد اندفعت جموع المرينيين صوب شمال المغرب الأقصى تشن الغارات على أملاك دولة الموحدين، ومحاولة تطويق فاس ـ العاصمة المنتظرة للمرينيين ـ عن طريق محاولة ضم بعض المراكز المحيطة بها،مثل مدينة تازة وواجرمان ـ الموضع القريب من نهر سبو[4]ـ وذلك في سنة سنة 614هـ\1217م، ولكنهم عند التوجه للموضع الأخير تعرضوا لهزيمة على يد قبائل بني رياح المؤيدة للموحدين، وقُتل أميرهم عبدالحق وابنه إدريس[5]، ولكن عندما تولى أبو سعيد عثمان بن عبدالحق بن محيو (614 637هـ\1217 1240م) أمور بني مرين، قرر الثأر لأبيه من قبائل رياح، وقام بشن العديد من الغارات عليهم، وأجبرهم على دفع إتاوة سنوية[6]، ولكنهم سرعان ما نقضوا العهد مما جعله في سنة 621هـ\1224م يعاود حربهم، ويلحق بهم اشد الهزائم[7].

إن ما حققه المرينيون من انتصارات جعل العديد من القبائل والمدن المغربية تدخل في طاعتهم مثل هوارة، ورجراجة، وفشتاله، ومديونه، وفاس، ومكناسة[8]، وتازة، وقصر، كتامة (قصر عبدالكريم)[9]، وليس هذا فحسب بل أصبحت بعض تلك المدن تدفع ضريبة مقابل حماية المرينيين لها[10]. وبالطبع هذا ساهم في توسيع مساحة الأرض التي سيطر عليها المرينيون، كما أنه وفر لهم عناصر قتالية، ومنشآت حربية، مما أسهم في بناء نظمهم الحربية.

ونظرا لأن بعض تلك المدن التي أعلنت ولائها للمرينيين حاولت نقض عهدها معهم بمحالفتها للموحدين، قام الزعيم أبي معرف محمد بن عبدالحق المريني بالتصدي لها، وذلك مثل ما فعله مع مكناسة حيث حاول حصارها، ولكن الخليفة الموحدي الرشيد (630

---

[1] وادي نكور :وهو نهر يقع قرب مدينة نكور الواقعة قرب مدينة مندرسة شمال المغرب بينها وبين ثغر المزمة (الحسيمة حاليا) خمسة أميال،أسسها سعيد بن إدريس حفيد صالح بن منصور الحميري.البكري،المصدر السابق،ص90 91. محمد عبدالمنعم الحميري،الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق:إحسان عباس،ط2،بيروت،مكتبة لبنان،1984م ،ص576 577.المختار العبادي،دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،الإسكندرية،مؤسسة شباب الجامعة،ص266 ،293.

[2] ابن خلدون،العبر،ج7،ص225.

[3] لمزيد من المعلومات عن هذه المعركة انظر ابن أبي زرع،الذخيرة،ص32 33.ابن أبي زرع،القرطاس،ص283.ابن خلدون،العبر،ج7،ص225،224.

[4] نهر سبو:يقع على بعد ثلاثة أيام من فاس وفيه يصب وادي فاس وهو من أعظم أنهار المغرب.الحميري،المصدر السابق،ص606.

[5] ابن خلدون،العبر،ج7،ص225 226.

[6] .ابن أبي زرع ،القرطاس،ص288. ابن مرزوق،المصدر السابق،ص112

[7] ابن أبي زرع،الذخيرة،ص36. 37.

[8] مكناسة:مدينة في بلاد البربر بينها وبين مراكش أربعة عشرة مرحلة نحو المشرق،وهي عبارة عن مدينتين صغيرتين،واحدة قديمة والأخرى من بناء يوسف بن تاشفين(453 500هـ\1061 1106م)،وتبعد عن فاس مرحلة واحدة.الحموي،المصدر السابق،ج5،ص181.

[9] قصر كتامة أو قصر عبدالكريم:مدينة تقع غرب مدينة مكناسة بثلاثة مراحل،الحميري،المصدر السابق،ص476.ابن أبي زرع،الروض،ص193.

[10] ابن أبي زرع،الذخيرة،ص36. 37.

640هـ\1232- 1242م)، جهز جيش، لفك الحصار عليها، ولقد ترتب على ذلك اشتباك بين الطرفين، هُزم فيه الجيش الموحدي ، كما أن المرينيين تراجعوا عن حصار مكناسة[1].

لقد أصبح المد المريني فعلا يثير مخاوف الموحدين، لذا حاولوا جاهدين القضاء عليه، ففي عهد الخليفة الموحدي السعيد (640 646هـ\1242- 1248م) تم تجهيز جيش بلغ تعداده عشرين ألف، والتقى مع المرينيين عند مكان يسمى صخرة أبي بياش بالقرب من مدينة فاس، وذلك سنة 642هـ\1244م فكانت بينهم حرب انتهت بهزيمة المرينيين ومقتل زعيمهم الأمير أبي معرف[2].

وأمام محاولات الموحدين لإجهاض التوسع المريني لم يجد الأمير أبي بكر بن عبدالحق المريني (642 656هـ\1244- 1258م) عقب مقتل أخيه أبي معرف؛ إلا التعجيل بإقامة الدولة المرينية، حيث قام بتجنيد الجند وضرب الطبول ونشر البنود وملك الحصون والبلاد[3]، كما قام بإعطاء حوافز إلى القبائل المرينية المقاتلة، فكل قبيلة لها الحق في ما تتغلب عليه من بلاد[4]، كما قام بالسيطرة على بعض المدن المهمة مثل مكناسة في شوال سنة 643هـ\1246م، 643هـ\1246م، ومن الناحية الدبلوماسية قام بإعلان بيعته للسلطان الحفصي أبي زكريا يحيى بن عبدالواحد (627 647هـ\1230- 1249م)، بهدف كسب تأييد الدولة الحفصية، حتى تصبح له الشرعية في تحركاته ونشاطاته الحربية[5].

من الواضح أن الموحدين كانوا يراقبون عن كثب السياسة المرينية، لذا قام الخليفة الموحدي السعيد بتجهيز جيش قوى، وانطلق به من العاصمة الموحدية مراكش[6] إلى مكناسة المحاصرة من قبل المرينيين، مما اضطر الأمير المريني أبي بكر إلى ترك مكناسة لجيش الموحدي، وكنوع من الدهاء السياسي لكسب الوقت قام بإعلان بيعته للخليفة الموحدي السعيد ـ التي جعلته في حل من بيعته للحفصيين ـ، كما أرسل فرقة من العناصر المرينية المقاتلة للموحدين يقودها عياد بن أبي يحيى[7].

ورغم بيعته للموحدين استغل الأمير أبو بكر بن عبدالحق مقتل الخليفة الموحدي السعيد سنة 646هـ\1248م ـ أثناء حربه مع بني عبدالواد[8] بتلمسان[9] ـ، وقام بتوجيه عدة ضربات قوية

---

[1].ابن أبي زرع،الذخيرة،ص60. ابن مرزوق،المصدر السابق،ص112

[2] ابن أبي زرع،القرطاس،ص290.

[3] المصدر السابق،ص291.

[4] ابن أبي زرع،الذخيرة،ص65.

[5] أبوعبدالله محمد،الملقب بابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،قسم الموحدين،تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون،بيروت،دار الغرب الإسلامي،1985م،ص 373.العبادي،دراسات،ص126.

[6] مراكش:من أعظم مدن المغرب واجلها،تقع شمال جبل درن الذي يبعد عنها ثلاثة فراسخ (تقريبا الفرسخ يساوي ثلاث أميال،والميل يساوي 1340 متر)،ومراكش تعنى بلغة قبائل المغرب (أسرع المشي).شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي،معجم البلدان،مج 5،بيروت،دار صادر،1977م،ص94.

[7] ابن عذارى،المصدر السابق،قسم الموحدين،ص377.ابن أبي زرع،القرطاس،ص292.ابن أبي زرع،الذخيرة،ص71. 72.

[8] بنو زيان:أسرة بربرية من ملوك تلمسان،حكمت المغرب الأوسط من سنة 633هـ\1235م حتى سنة 962هـ\1554م ،وينتسب هؤلاء إلى الشريف إدريس،ويسمون أيضا بنو عبدالواد نسبة إلى أحد أجدادهم،وكان،أول ملوكهم يغمراسن بن زيان (633 681هـ\1235- 1282م) وهو أشهرهم ألفريد بل:زيان،دائرة المعارف الإسلامية،ج10،ص474.

[9] تلمسان:وصفها الإدريسي (ت560هـ\1165م) بأنها مدينة أزلية وهى عبارة عن مدينتين يفصل بينهما سور،لها نهر يأتيها من جبلها يسمى الصخرتين.الإدريسي،المصدر السابق،مج 1،ص248.كما يشير البكري (ت 487هـ\1094م) إلى أن تلمسان لها سور

للموحدين، منها مهاجمته لفلول الجيش الموحدي المنسحب من أمام تلمسان صوب ناحية الجنوب الغربي عند بلدة أجرسيف[1]، والقيام باسترجاع فرقة المقاتلين التي سبق وأن أرسلها للمشاركة مع الجيش الموحدي في حروبه، كما سيطر في سنة 646هـ\1248م على العديد من المراكز المهمة للموحدين، مثل تازة ومكناسة وجميع الحصون الواقعة على نهر ملوية. ثم زحف على فاس وحصارها حتى خضعت له، ونصب السعود بن خرباش الجشمي عليها وكان ذلك في 26 ربيع الأخر سنة 646هـ \18 أغسطس 1248م[2].

غير أن أهالي فاس استغلوا خروج الأمير أبي بكر من المدينة لاستكمال إخضاع القبائل الزناتية، وقاموا بقتل عامله عليها السعود بن خرباش، في 20 شوال سنة 647هـ\27 يناير 1250م، وساعدهم في ذلك قائد فرقة النصارى بالجيش الموحدي شريد الفرنجي، كما أعلنوا بيعتهم للخليفة الموحدي المرتضى (646 665هـ\1248- 1266م)[3]. وعند سماع أبي بكر بذلك عاد إلى فاس وحاصرها لمدة ستة أشهر، ولكنه اضطر إلى ترك حصارها نظرا للغارات المتكررة من بني عبدالواد على أملاك بني مرين ـ والتي كانت بتحريض من الموحدين بهدف تخفيف شدة الحصار على فاس ـ وتوجه[4] لقتال بني عبدالواد الذين يتزعمهم يغمراسن بن زيان(600 681هـ\1203- 1282م)، وبعد قضائه على خطر بني عبدالواد رجع مرة أخرى لحصار فاس وتمكن من اقتحامها في جمادى الأخر سنة 648هـ\سبتمبر 1250م.كما قام كذلك بالسيطرة على مدينة سجلماسة سنة655هـ\1257م[5].

بعد ما حققه المرينيون من انتصارات في أنحاء المغرب الأقصى والأوسط، أصبح شغلهم الشاغل كيفية إسقاط دولة الموحدين، وبالطبع هذا ما تميزت به فترة ما بعد وفاة الأمير أبي بكر بن عبدالحق في رجب 656هـ \يوليو 1258م. فعند تسلم يعقوب بن عبدالحق(656 685هـ\1258- 1286م) الحكم المريني ـ بعد صراع مع ابن أخيه الأمير أبي علي عمر بن أبي بكر ـ [6] بدأ في اتخاذ خطوات لإسقاط دولة الموحدين، وتثبيت دعائم الدولة التي سبق وأن وضعها الأمير أبي بكر. فلقد بدأ بعمليات حربية صوب مراكش بهدف تضييق الخناق عليها، كما قام بالسيطرة على بلاد تامسنا[7] ومدينة آنفا[8] (الدار البيضاء)، حتى أصبح وأدي أم الربيع[9]

عليه خمسة أبواب وهي قاعدة المغرب الأوسط ودار مملكة زناتة، منصور الحميري.أبي عبيد البكري،المسالك والممالك،قسم المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب،القاهرة،دار الكتاب الإسلامي،ص76.

[1] أجرسيف:تسمى الآن جرسيف،وهى بلدة تقع على نهر ملوية،وتبعد 70 كلم شرقي مدينة تازة.البكري،المغرب،المصدر السابق،ص88.

[2] ابن أبي زرع،الذخيرة،ص72.

[3] السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص20- 21.

[4] هنا نلاحظ بداية تحرك حربي جديد للمرينيين وهو الاتجاه صوب المغرب الأوسط.

[5] المصدر السابق،ج4،ص20- 21.

[6] ابن عذارى،المصدر السابق،قسم الموحدين،ص415.

[7] تامسنا:كلمة بربرية زناتية تعنى البسيط الخالي،وهى تشمل الأراضي من ساحل المحيط الأطلسي من الرباط إلى ما وراء الدار البيضاء حتى مصب وادي أم الربيع.وهي الآن تكسوها المزارع والعمارات ،بينما كانت في الماضي أرضا من سدر وعليق ترعى فيها الأغنام.ابن الخطيب،أعمال الأعلام،القسم الثالث،ص180 والهامش رقم 3.

[8] أنفا:مدينة أسسها الأفارقة الرومان على شاطئ المحيط الأطلسي على نحو ستين ميلا شمال الأطلس ونحو ستين ميلا شرق آزمور، الوزان،المصدر السابق،ج1،ص196.

[9] وادي أم الربيع:يقع بين سلا ومراكش وينبع من درن في إقليم تادلا ويصب عند أزمور في المحيط الأطلسي.محيى الدين أبى محمد عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي،المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ليدن،مطبعة بريل،1881م ص365

هو الفاصل بين دولة الموحدين وأملاك المرينيين[1]، ثم انطلق يعقوب بن عبدالحق إلى جبل إيجليز[2]، ومن هناك قام برصد أحوال عاصمة الموحدين، وبعد تأكده من ملائمة الظروف للهجوم عليها انطلق سنة 659هـ \1260م، (حسب رواية ابن أبي زرع في الذخيرة[3]) وسنة 660هـ\1261م (حسب رواية ابن خلدون[4])، وقام بحصارها، ولكن هذا الحصار فشل لعدة أسباب أبرزها مصرع ابنه عبدالله. وعند رجوعه إلى فاس اصطدم بحامية تابعة للموحدين في موقعة تسمى أم الرجلين[5] (659هـ\)انتهت بهزيمة الموحدين[6].

رغم تعرض الموحدين لعدة هزائم على يد المرينيين فإنهم استمروا في الدفاع بشدة عن عاصمتهم مراكش للحيلولة دون سقوطها، مما أدى إلى توقف العمليات المرينية ضدها لفترة، ولم تستأنف إلا بعد قيام الأمير الموحدي أبو العلاء إدريس الملقب بأبي دبوس ـ المعارض للخليفة الموحدي المرتضى ـ بعرض المساعدة على السلطان يعقوب بن عبدالحق للهجوم على مراكش مقابل أن يمده بالعناصر المقاتلة، بالطبع لقي هذا العرض ترحيب كبير من السلطان المريني، وقام بمده بنحو خمسة ألف مقاتل من بني مرين، إضافة إلى عشرين ألف دينار لتغطية مصاريف الحملة،وقد استطاع أبي دبوس في السبت 22 من محرم سنة 665هـ\23 أكتوبر 1257م من اقتحام مراكش، مما اجبر الخليفة الموحدي المرتضى على الفرار منها ومقتله، واستقل أبو دبوس بحكم الموحدين، ولم يلتزم بشروطه مع السلطان يعقوب بن عبدالحق،في دفع مال كانا متفقان عليه، لذا قرر السلطان المريني القضاء عليه، وقام بالتوجه إلى مراكش، في هذه الأثناء قام أبي دبوس بعقد حلف مع يغمراسن بن زيان، وطلب منه شغل المرينيين عن مهاجمة مراكش، مما اضطر المرينيون لترك مراكش، والتفرغ لحرب بني عبدالواد، وفي وادي تلاغ التقى الطرفان ووقعت بينهما حرب انتصر فيها المرينيون وهرب يغمراسن بفلول جيشه إلى تلمسان[7].

كرر المرينيون حصار مراكش في شعبان 666هـ \1268م، مما اضطر الخليفة الموحدي أبي دبوس لتجهيز جيش وخرج لفك الحصار المفروض عليها، وهنا قام المرينيون بوضع خطة حربية للنيل من جيش الموحدين، تمركزت على قيامهم بتصنع الفرار ليلحق الموحدين بهم، وبالفعل بلع الخليفة الموحدي الطعم وقام بملاحقتهم، وعند خروجه وابتعاده عن مراكش، كر المرينيون على جيشه، وألحقوا به أشد الهزائم، وعند محاولته الرجوع لعاصمته للاحتماء بها، قام الجند المريني بقطع الطريق عليه وقتله في يوم الأحد محرم 668هـ\أول سبتمبر 1269م، وهكذا تمكن المرينيون من دخول مراكش[8].

---

[1] السلاوي،المصدر السابق ج4،ص24.

[2] جبل إيجليز:جبل يقع عند مدخل مدينة مراكش،ويعتبر موقع استراتيجي هام لأنه يشرف على مراكش. رضوان محمد رضوان البارودي "رسالة دكتوراه الحياة الحربية في عصر الدولة المرينية" (أطروحة دكتوراه،غير منشورة، جامعة الإسكندرية كلية الآداب،قسم التاريخ ،1979م) ص 16،هامش رقم 3.

[3] ص95.

[4] العبر،ج7،ص237.

[5] أم الرجلين:سميت كذلك بسبب موقع الذي وقعت فيه،،حيث دارت على ضفاف وادي أم الربيع في منطقة تكثر بها الجزر ويخترقها الوادي وفروعه الصغيرة فيما يشبه الأرجل،ابن أبي زرع،الذخيرة،ص95.ابن خلدون،العبر،ج7،ص237.

[6].ابن أبي زرع،الذخيرة،ص95. ابن خلدون،العبر،ج7،ص237

[7] ابن أبي زرع،الذخيرة،ص110- 115.

[8] ابن خلدون،العبر،ج7،ص241.

بعد سقوط عاصمة دولة الموحدين كثف يعقوب بن عبدالحق عملياته الحربية على نواحي بلاد المغرب بهدف إخضاعها وتثبيت دعائم الدولة المرينية، حيث قام بتوجيه ابنه أبي مالك عبدالواحد صوب الجنوب للسيطرة على إقليم السوس الأقصى، ودرعة[1] في رمضان 669هـ\ابريل 1271م، كما قام وزيره فتح الله بن عمر السدراتي في شوال 671هـ\ابريل 1273م بغزو عرب المعقل، كما أعاد في سنة 673هـ \1274م سيطرته على سجلماسة. ولم تقتصر العمليات الحربية ليعقوب بن عبدالحق على المناطق الجنوبية لبلاد المغرب بل أرسل حملات إلى الأجزاء الشمالية للمغرب الأقصى للسيطرة على المراكز البحرية هناك وخاصة تلك المطلة على مضيق جبل طارق[2] مثل سبته وطنجة[3]، وبالفعل تم السيطرة على طنجة بعد حصار دام ثلاثة أشهر في ربيع الأول 672هـ\1273سبتمبر 1273م، كما تم السيطرة على سبته مع الاحتفاظ باستقلال ذاتي بمقابل مالي ويبقى حاكمها أبي القاسم العزفي[4]، إن كل ذلك ساهم في ضم قواعد بحرية ودور صناعة استغلها المرينيون في بناء أسطول قوي لصد الأخطار الخارجية والجهاد بالأندلس.

وإلى جانب العمليات الحربية هناك خطوات أخرى تنوعت بين الدبلوماسية والعمرانية قام بها السلطان يعقوب بن عبدالحق بغرض تثبيت دعائم دولته، وإظهار استقلاليتها، وهى إلغاء الدعاء للحفصيين على منابر المساجد، وهذا يعتبر استقلال عن الدولة الحفصية، كما تلقب يعقوب بن عبدالحق بلقب أمير المسلمين،وإضافة لما سبق تم في سنة 674هـ\1275م البدء في بناء مدينة جديدة ملاصقة لمدينة فاس أطلق عليها فاس الجديدة أو البلد الجديد أو البيضاء تمييزا لها عن فاس العتيقة ـ التي أسسها إدريس بن عبدالله سنة 172هـ\788م ـ ، والهدف من ذلك إقامة مقرا يختص بسكن السلطان المريني، كما انه يعتبر مركزا لتنظيم شؤون الدولة، به الدواوين والبريد، وسكن العناصر المقاتلة.ولقد أصبحت هذه المدينة جاهزة للسكن في ذي الحجة 677هـ\مارس 1279م[5].

* * *

[1] درعة:مدينة صغيرة تقع جنوب المغرب تبعد عن سجلماسة أربعة فراسخ.الحموي،المصدر السابق،ج2،ص451.

[2] جبل طارق: فيه خرج طارق بن زياد (ت 102هـ\720م)، ومنه افتتح الأندلس مقابل الجزيرة الخضراء، الحميري، المصدر السابق، ص382.

[3] طنجة: تعرف باللغة القبائل المغربية باسم (وليلي)،وبينها وبين سبته ثلاثون ميلا في البر،وتقع على شاطئ بحر الزقاق (مضيق جبل طارق)،الحميري،المصدر السابق ،ص396.

[4] ابن أبي زرع،الذخيرة،ص122.ابن أبي زرع،القرطاس،ص305 307- 312.

[5].ابن أبي زرع،الذخيرة،ص90. السلاوي،المصدر السابق ج4،ص34

ثانيا: العلاقة الحربية مع دول المغرب والأندلس.

1. دولة بني عبدالواد.

ساهمت عدة عوامل في صنع العلاقة الحربية بين الطرفين، ومنها التنافس على رئاسة قبيلة زناتة[1]، التي هي أصل المرينيين وبني عبدالواد، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: "كان بين هذين الحيين ـ يقصد بني مرين وبني عبدالواد ـ من المناغاة والمنافسة منذ الآماد المتطاولة بما كانت مجالات الفريقين بالصحراء متجاورة "[2]، "ولما انتقلوا إلى التلول وتغلبوا على المغرب الأقصى والأوسط، لم تزل فتنتهم وأيام حروبهم فيها مذكورة"[3].

كما أن علاقة دولة الموحدين ببني مرين من جهة وبني عبدالواد من جهة أخرى كانت سببا في تطور العلاقة الحربية بين بني مرين وبني عبدالواد، حيث سعى كلا الطرفين لكسب ود الخليفة الموحدي، ففي سنة 540هـ\1145م بدأت تظهر محاولات بني مرين وبني عبدالواد للتقرب من دولة الموحدين، الأمر الذي جعل الأخيرة تستغل الوضع في إشعال نار الفتنة بينهما.

فالموحدين هم من حرض بني عبدالواد على المشاركة في حرب المرينيين عند فحص مسون وقتل شيخهم المخضّب بن عسكر[4]، ومن جهة أخري فإن الموحدين بزعامة الخليفة السعيد هم من شجع المرينيين على القضاء على بني عبدالواد عند خروجهم عن طاعة الموحدين[5]، كما أن الخليفة الموحدي المرتضى قام بتحريض بني عبدالواد ضد ما سماه الخطر المريني، مما تسبب في حرب بين الطرفين في موقعة إيسلي[6] بجوار وجدة[7] سنة 647هـ\1249م[8] انتهت بهزيمة الموحدين وبني عبدالواد[9]. ولقد ظلت دولة الموحدين تتحكم في صنع العلاقة الحربية بين بني مرين وبني عبدالواد إلى أخر أيامها في زمن الخليفة الموحدي إدريس الملقب بأبي دبوس،الذي استنجد ببني عبدالواد لإنقاذ ملكه من أيدي المرينيين،وأدخلهم في حرب ضد بعضهم عند وادي تلاغ سنة 666هـ\1268م انتهت بني عبدالواد[10].

وكذلك من العوامل التي ساهمت في تطور العلاقة الحربية بين بني مرين وبني عبدالواد نذكر تلبية المرينيون لاستغاثة أمراء القبائل التي طالها ظلم بني عبدالواد،مثل استغاثة محمد بن عبدالقوي أمير قبيلة بني توجين[11] بالسلطان يعقوب بن عبدالحق لرد ظلم يغمراسن بن زيان،

---

[1] مبارك بن محمد الميلي،تاريخ الجزائر في القديم والحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب،ج2،ص422.

[2] ابن خلدون،العبر،ج7،ص111.

[3] المصدر السابق،ج2،ص282.

[4] يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبدالواد، الجزائر، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، 1321هـ\1903م، ج1، ص189.

[5] ابن خلدون،العبر،ج7،ص229.

[6] إيسلي:مدينة في بسيط وجده وبها نهر يحمل نفس الاسم،وهي على مقربة من وهران.الحميري،المصدر السابق،ص58.

[7] وجدة:مدينة ببلاد البربر بالمغرب،وهي من بناء الأفارقة،وتقع في سهل فسيح على بعد نحو أربعين ميلا جنوب البحر المتوسط،وهي محاذية لصحراء أنكاد.الإدريسي،المصدر السابق،ج1،ص222.الوزان،المصدر السابق،ج2،ص12 13.

[8] إسماعيل بن يوسف الخزرجي الغرناطي،المعروف بـ(ابن الأحمر)،تاريخ الدولة الزيانية،تحقيق:هانى سلامة،ط1،القاهرة،مكتبة الثقافة الدينية، 1421هـ\2001م،ص65 66.

[9] ابن خلدون،العبر،ج7،ص112.

[10] ابن أبي زرع، القرطاس،ص305.

[11] تعتبر قبيلة بني توجين من القبائل الزناتية التي سكنت نواحي جبل ونشريس، وخدمة فترة تحت إمرة بني عبدالواد،ولما قوى أمر بني مرين أصبح بني توجين المؤيدين لهم،وعلى ما يبدوا أن مقر سكن بني توجين كان متاخما لبني عبدالواد ،ويشكل خطر

وكان ذلك سنة 670هـ\1271م[1] وتكرر سنة680 هـ\1281م، وما كان على السلطان المريني إلا أن قام بحصار تلمسان عاصمة بني عبدالواد ، وتسليح بني توجين، كما انه ظل مقيما بالقرب من سكن بني توجين بجبل ونشريس بالمغرب الأوسط، يترقب أحوالهم وذلك خوفا من أن يغدر بهم يغمراسن[2].

كما أن علاقة بني عبدالواد ببني الأحمر بغرناطة، لعبت دورا في تطور العلاقة الحربية بين بني مرين وبني عبدالواد، لقد كان التوسع المريني هاجس بني عبدالواد وبني الأحمر على حدا سواء.ولقد سعا كلا الطرفين لتوحيد سياستهما لوقف هذا التوسع، فعندما ساءت العلاقة بين ابن الأحمر والمرينيين بسبب عدم تخلى الأول عن مالقة للمرينيين كما كان متفقا عليه بين الطرفين، تخوف ابن الأحمر رد فعلهم وخاصة بعد علمه بتخطيطهم للعبور للأندلس، لذا قام سنة 678هـ\1280م بتحريض ملك بني عبدالواد يغمراسن على إثارة الفتن بالمغرب الأوسط، وخاصة على الحدود المرينية، حتى يشغل السلطان يعقوب عن فكرة العبور، وبالفعل قام يغمراسن بما طلب منه، وعندما علم المرينيون بتلك المؤامرة، قاموا في سنة 680هـ\1281م بمهاجمة بني عبدالواد والقضاء على ما أثاروه من فتن[3]. كما أننا لا نستبعد أن ابن الأحمر كان يثير اضطرابات بالأندلس بالاتفاق مع النصارى حتى يتراجع المرينيون عن حصار تلمسان،.لذا ومن هذا المنطلق حرص المرينيون على تفكيك أي تحالف بين بني عبدالواد وبني الأحمر.وهناك من الباحثين من يشكك في وجود مثل هذه التحالفات، بحجة أن يغمراسن ليست له فائدة من تحالفه مع بني الأحمر، وأن دولته لا محالة من تعرضها للهجوم المريني، وكذلك قولهم أن ما أورده ابن خلدون لمثل هذه التحالفات ما هو إلا تبريرا لحملة المرينيين على تلمسان[4]. وما نراه هنا أنه لا يمكن استبعاد مثل هذه التحالفات ، فأبن الأحمر تحالف مع النصارى الذين هم أعداء الإسلام والمسلمين،ضد الدولة المرينية، فما المانع من وجود تحالف مع بني عبدالواد، وربما هناك علاقة بين بني الأحمر وبني عبدالواد غير أن المصادر لم تعثر على دليل لها، أما القول بأن ابن خلدون يبرر فهذا مستبعد تماما؛ لأنه لم يكن هناك شيء يجبره على ذلك وخاصة أن المرينيين سبق وأن هددوا تلمسان، قبل ذلك التحالف السابق.

ومن العوامل كذلك المراكز المهمة في المغربين الأوسط والأقصى، فلقد حاول بني مرين وبني عبدالواد السيطرة عليها، فمدينة سجلماسة كانت من تلك المراكز، ضمتها الدولة المرينية إليها في سنة 653هـ\1255م، وفي سنة 655هـ\1275م حاول بني عبدالواد استعادتها، لكن الأمير أبي بكر بن عبدالحق حال دون ذلك، ويقول ابن خلدون في هذا الشأن: "لما رجع الأمير أبو يحيى - أبي بكر بن عبدالحق (642 656هـ\1245 1258م) - من حرب يغمراسن بسجلماسة، أقام أياما بفاس .ثم نهض إلى سجلماسة متفقدا ثغورها"، ولكن على ما يبدوا أن الأوضاع اختلت قليلا داخل الدولة المرينية مما أدى إلى سيطرة بني عبدالواد على سجلماسة

عليهم،إضافة لكونهم أنصار المرينيين،ابن خلدون،العبر،ج7،ص208 209.لذا من الطبيعي أن تواجه هجمات من طرف بني عبدالواد.

[1] ابن خلدون،العبر،ج7،ص245.

[2] العبر،ج7،ص245. 270.

[3] ابن زرع،المصدر السابق،ص235.،237،236.

[4]بسام كامل عبدالرزاق شقدان،تلمسان في العهد الزياني 633هـ- 962هـ\1235م – 1555م، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس ، فلسطين، سنة1422هـ\2002م)، ص 95.

سنة 663هـ\1265م وبقيت فترة بيدهم إلى أن قام السلطان يعقوب بن عبدالحق المريني باسترجاعها في سنة 673هـ\1274م بعد حصارها بجيش مجهز بمختلف الأسلحة الخفيفة والثقيلة[1].

كما أن العلاقة الحربية بين المرينيين وبني عبدالواد زادت تطورا نتيجة لإيواء كلا الطرفين لعناصر مناهضة للأخر، واستخدامها في استفزازه أو الإطاحة به،فقد احتضنت دولة بني عبدالواد ابنا يحيى الوزير الوطاسي عمر وعامر، الثائران بحصن تازوطا ببلاد المغرب الأوسط ضد المرينيين سنة 691هـ\1291م، وكذلك استقبلت المعارضين للحكم المريني من أولاد الأمير أبي بكر بن عبدالحق. كما أنهم استقبلوا في سنة 688هـ\1289م أبا عامر الذي خرج عن أبيه السلطان يوسف بن يعقوب سنة 687هـ\1288م وذهب إلى مراكش وسانده في ذلك واليها محمد بن عطو البربري الجناتي، وعند شعورهما بالخطر توجها إلى بني عبدالواد وطلبا الحماية، في هذه الأثناء أرسل السلطان يوسف بن يعقوب في طلب هاتين الشخصيتين من يغمراسن بن زيان، لكن الأخير رفض تسليمهما، مما جعل المرينيون يوجهوا في سنة 689هـ\1290م جيش لغزو تلمسان عاصمة بني عبدالواد. كما أنهم استضافوا الوزير عبدالرحمن بن يعقوب وابن رحو وقائد الروم غنصالو الذين خرجوا عن السلطان سليمان بن عبدالله بن يوسف بن يعقوب (708- 710هـ\1308- 1310م) سنة 710هـ\1310م وطلبوا منهم الحماية[2]. كما انه ولأول مرة نجد دولة بني عبدالواد تقدم دعم حربيا لشخصية مرينية، وكان ذلك زمن أبا تاشفين بن عبدالرحمن، الذي قدم كتائب مقاتلة لأبي علي الذي خرج عن أخيه السلطان أبا الحسن علي بن عثمان بن عبدالحق (731- 749هـ\1331- 1348م) سنة 733هـ\1332م، وانفرد بحكم سجلماسة.

نهج المرينيون السياسة نفسها، فقد استقبلوا رموزا من المعارضين لبني عبدالواد، وقاموا بإيوائهم، ومساعدتهم على الثورة ضد الحكم، فمثلا في سنة 761هـ\1359م قدم السلطان المريني أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن (760- 762هـ\1359- 1361م) دعم معنوي وحربي إلى المعارض أبا زيان محمد بن عثمان بن عبدالرحمن الزياني، لتولى عرش دولة بني عبدالواد، واستبعاد السلطان أبا حمو الزيان[3]، وفي سنة 774هـ\1372م قام المرينيون بمساندة الأمير الزياني إبراهيم أبا تاشفين ـ الذي تربى عندهم من بعد هلاك أبيه ـ للوصول إلى حكم دولة بني عبدالواد[4].

إن كل تلك العوامل على اختلافها كانت قد لعبت دورا في تطور العلاقة الحربية بين الدولتين، وانتقالها من الدبلوماسية والصدام المسلح إلى مرحلة حصار المدن، الذي تنوع ما بين الحصار القصير والطويل. ويعتبر الجانب المريني هو المسيطر في هذه المرحلة، مما يعكس لنا تطور النظم الحربية للجيش المريني في أسلحته وخططه الحربية، وطرق الحصار.

---

[1] ابن خلدون،العبر،ج7،ص249.
[2] ابن زرع،القرطاس،ص381- 382.،378- 379.394.
[3] ابن خلدون،العبر،ج7،ص146- 147،147- 167.
[4] ابن خلدون، العبر،ج7،ص179.

لقد كان حصار تلمسان عاصمة بني عبدالواد خير مثال على هذا التطور في العلاقة الحربية التي أطلقنا عليها مرحلة حصار المدن، ولقد انتهج المرينيون سياسة لتحقيق ذلك، فكانت البداية بإخضاع مختلف المنشآت الواقعة على المنافذ المؤدية لتلمسان، ثم قاموا بإعادة ترميمها مثل مدينة ندرومة[1] وتاوانت ووجدة وهنين[2] ووهران ومزغران ومستغانم وتنس وشرشال وبرشك والبطحاء ومازونة ونشريس ومليانة والقصبات والمدية وتازجدت[3]، ومن بعد قاموا بحصار تلمسان لفترات قصيرة كما حدث في سنة 670هـ\1271م بعد موقعة أيسلي، وفي سنة 680هـ\1281م بعد موقعة بخرزوزة، وكان الهدف من هذا النوع من الحصار إنذار بني عبدالواد لكف أيديهم عن التدخل في شؤون الدولة المرينية، ومحاولة ضرب اقتصادهم، وذلك لقيامهم بحرق وتخريب الحقول والمزارع.وبعد ذلك بدأ المرينيون بحصار تلمسان لفترات أطول، تتراوح مدتها من شهور إلى سنوات، مثل حصار سنة 689هـ\1290م الذي استمر فترة تقارب من الثلاثة شهور بداية من 25 جمادي الأخر إلى 20 رمضان من نفس السنة، أثناء حصار الجيش المريني لتلمسان عند موضع يطلق عليه ذراع الصابون[4]، كما تم في سنة 697هـ\1297م إعادة حصار تلمسان ثلاثة شهور أخرى وأقاموا حولها سور[5]، وبالتدريج زادت فترة الحصار لتلمسان حتى بلغت السنوات، ففي سنة 698هـ\1298م حاصر المرينيون تلمسان، وامتد ذلك إلى سنة 706هـ\1306م، وخلاله أمر السلطان يوسف بن يعقوب ببناء مدينة حربية مجاورة لتلمسان لزيادة الحصار قوة وشده[6]، حيث بني سكن الجند وقصر السلطان، وفي سنة 702هـ\1302م تم بناء سور حول المدينة الجديدة لحمايتها، ثم استكمل المرينيون بناء باقي المنشآت، وقد أطلقوا عليها اسم المدينة المنصورة[7] أو تلمسان الجديدة، ولقد.أصبح السلطان المريني يستقبل فيها الوفود القادمة من الحجاز ومصر والشام وافريقية.

استمرت المحاولات المرينية للإطاحة بتلمسان ما يقارب قرن من الزمن، وأخرها كان عند حصارها سنة 735هـ\1334م، والذي انتهى بسقوطها سنة 737هـ\1336م[8]. وهكذا اضمحلت دولة بني عبدالواد، وضعف دورها في المشاركة في أحداث بلاد المغرب، وخاصة في الفترة من 737هـ 749هـ\1336- 1348م والفترة من 754- 759هـ.\1353- 1357م.

وعلى ما يبدوا أن العلاقة الحربية بين الدولتين لم تكن كلها نزاعات وحروب بل تخللتها فترات سلمية تم فيها تبادل الهدايا والسفارات، ففي سنة 762هـ\1360م أرسل السلطان أبو

---

[1] ندرومة:مدينة بالجزائر تقع شمال غرب تلمسان بينها وبين الساحل ثمانية كيلو متر.ابن خلدون،العبر،ج1،ص76.

[2] هنين:مدينة تقع شمال غرب تلمسان على ساحل البحر المتوسط.ابن خلدون،العبر،ج1،ص76.

[3] ابن أبي زرع،القرطاس،ص386.

[4] يحيى بن خلدون،بغية،ج1،ص119.

[5] ابن خلدون،العبر،ج7،ص126.

[6] Roland Oliver: The Cambridge History Of Africa,.(Vol.3, Cambridge: Cambridge, University Press, 1977): 356; Abun Nasin Op. Cit, 196-197

[7] ربما سميت بهذا الاسم تفاؤل بالنصر على بني عبدالواد.

[8] ابن خلدون،العبر،ج7،ص341.أبي العباس احمد الخطيب المعروف بـ(ابن قنفذ القسنطيني)،أنس الفقير وعز الحقير،اعتنى بنشره وتصحيحه:محمد الفاسى وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي ،الرباط،1965،ص70

حمو ابنه أبا تاشفين والشيخ أبي موسى عمران بن موسى ابرز مشايخ بني عبدالواد، ومعهم هدايا إلى نظيره المريني السلطان أبا سالم[1].

وكذلك بعث السلطان المريني أبو زيان بن أبي عبدالرحمن بن أبي الحسن (763-767هـ\1362-1365م) في سنة 764 هـ\1362م هدية إلى أمير بني عبدالواد أبا تاشفين[2].

2. الدولة الحفصية.

ظهرت العلاقة بين هاتين الدولتين في فترة مبكرة،فمنذ تنصَّيب الخليفة الموحدي الناصر (595-610هـ\1198-1213م)، لأبي محمد عبدالواحد ابن الشيخ أبي حفص على افريقية لإدارة شؤونها سنة 603هـ\1206م[3]، أصبح الحفصيون يتبادلون حكم افريقية، فبعد عبدالواحد عبدالواحد تولي ابنه أبو زكريا يحيى، ولقد كان من الطامعين في الانفصال نهائيا عن الدولة الموحدية، وزادت أطماعه في الانفصال بعد نكبة الموحدين في موقعة العقاب سنة 609هـ\1212م، ولقد تم الانفصال بشكل فعلى سنة 626هـ\1228م عندما تذرع أبو زكريا يحيى بخروج الخليفة الموحدي أدريس المأمون عن تعاليم المهدي بن تومرت وقيامه بقتل المعارضين له من قبيلة هنتاتة[4]، لذا بداء الخليفة الحفصي بالتوجه إلى التحالف مع قبائل زناتة وخصوصا بني مرين، وهنا بدأت تبرز العلاقة بين الطرفين، وفي المقابل قام المرينيون بزعامة الأمير أبي بكر بن عبدالحق بالدعوة لبيعة الحفصيين، وكانت بداية ذلك في مكناس وفاس ونواحيها سنة 646هـ\1248م، ثم تطورت هذه العلاقة إلى تقديم الحفصيون المساعدات الحربية لحلفائهم المرينيين[5]، فعند حصار السلطان يعقوب بن عبدالحق لمراكش سنة 665هـ \1266م أرسل للسلطان الحفصي المستنصر يطلب منه المدد لإعانته على فتحها، وأرفق طلبه مع وفد رفيع[6]. ولقد رد المستنصر بسفارة مماثلة سنة 669هـ\1270م. وعلى هذا النهج سار السلطان الحفصي الواثق بعد وفاة أبيه المستنصر في توطيد علاقته بالمرينيين سواء بالسفارات، أوالهدايا، أو المساعدات الحربية [7].

كانت العلاقة الحربية بين المرينيين والحفصيين مبنية على المصالح ، فمثلا عند استنجاد أمير بني عبدالواد عثمان بن يغمراسن بأمير[8] بجاية[9]، (المعارض للسلطان الحفصي محمد بن بن المستنصر أبي عصيدة) لفك الحصار المريني على تلمسان، نلاحظ بروز المصالح المشتركة المرينية الحفصية، وذلك بأن قام أبو عصيدة بتحريض المرينيين، للقيام بهجوم على

---

[1] السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص

[2] يحيى بن خلدون،بغية،ج1 ،ص131.

[3] ابن خلدون،العبر،ج6،ص334.

[4] هنتاتة: قبيلة بربرية إحدى بطون مصمودة، ومنها يتفرع الحفصيين. وموطنها الأصلي جبال أطلس الكبير أو درن.ابن خلدون، العبر، ج6، ص360.

[5] ابن خلدون، العبر، ج6،ص380. 381، ،ج7، ص228. 229. 240.

[6] يتكون الوفد من: عامر بن إدريس بن عبدالحق(ابن أخ يعقوب) وعبدالله بن كندوز(من بني عبدالواد وكبير قبيلة بني كمى) والكاتب أبا عبدالله الكتاني.ابن خلدون العبر،ج7،ص240.من هذا الوفد نفهم مدى أهمية ما يطلبه يعقوب من الحفصيين.وهذا يشير إلى الدبلوماسية العالية التي تميز بها المرينيين،وخاصة في المجال الحربي.

[7] ابن خلدون، العبر،ج7،ص240.

[8] أبو زكريا بن أبي إسحاق بن أبي محمد عبدالواحد.

[9] بجاية:مدينة تقع على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب،وتسمى الناصرية أيضا.الحموي،المصدر السابق،ج1،ص339.

بجاية، للإطاحة بأميرها. وفي موقف أخر قام السلطان يوسف بن يعقوب بطلب المساعدة من الأسطول الحفصي للإغارة على القواعد البحرية التابعة لبني عبدالواد على ساحل البحر المتوسط (البحر الشامي) مثل هنين، ووهران[1].

إن تلك العلاقة لم تكن دائما متواصلة بل تخللتها فترات انقطاع؛ وذلك لانشغال كلا الطرفين بأموره، وتعتبر الفترة التي عقبت وفاة يوسف بن يعقوب حتى عهد أبي سعيد عثمان الثاني أطول فترات الانقطاع.

بدأت العلاقة الحربية تعود لسابق عهدها بعد أن أصبحت الدولة الحفصية تعانى من الفتن الداخلية، حيث شهدت تدخل بني عبدالواد في شؤونها، والسيطرة على عاصمتها تونس، مما أدى إلى هروب السلطان الحفصي أبو يحيى أبي بكر، وقيامه بإرسال وفد من شخصيات[2] حفصية رفيعة المستوى إلى السلطان أبي سعيد عثمان يطلب منه المساعدة، وكان الرد بأن قال السلطان أبو سعيد لأبي زكريا ابن السلطان الحفصي: "والله لقد اكبر قومنا قصدك وموصلك والله لأبذلن في مظاهرتكم مالي وقومي ونفسي ولأسيرنا بعسكري إلى تلمسان فأنزلها"، وبالفعل في سنة 730هـ\1329م سير أبو سعيد جيشا استعاد به للحفصيين ملكهم في تونس[3].

ما قام به المرينيون لم يسهم في تطور علاقتهم مع الحفصيين في المجال الحربي فحسب؛ بل تجاوز ذلك إلى حد المصاهرة، وذلك عند زواج الأمير أبو الحسن (أبن السلطان المريني أبا سعيد) من فاطمة ابنة السلطان الحفصي أبي بكر[4]، ويمكن أن نطلق على هذا الزواج مصطلح (الزواج السياسي)، وهذا مؤشر على أن علاقتهم أصبحت علاقة مصيرية، فالسلطان الحفصي أصبح يعلم أن الضعف بداء يدب في دولته، لذا رأى من الواجب تقوية جانبه، وذلك بالموافقة على مصاهرة المرينيين. أما الدولة المرينية والتي مازالت في ريعان شبابها فهي لازالت تبحث عن التوسع والنفوذ،لذا أصبحت تبحث عن طريقة شرعية ترث بها أملاك الحفصيين التي يتربص بها بني عبدالواد، لذا اخذوا المصاهرة ذريعة.لقد حاول السلطان الحفصي أن يجني ثمار هذه المصاهرة، وذلك عندما قام بني عبدالواد بمهاجمة بجاية، حيث طلب النجدة من صهره السلطان أبا الحسن، والذي بدوره قام بفرض حصار على تلمسان سنة 732هـ\1331م بعد رفض بني عبدالواد التراجع عن مضايقة بجاية، وعند فشل الحصار المريني لتلمسان، قام السلطان أبا الحسن بإرسال جيش، وقطع بحرية بقيادة محمد البطوي، لنجدة بجاية، وفعلا تم لهم النصر[5]، أما السلطان أبا الحسن المريني فقد قام باستغلال هذه المصاهرة أحسن استغلال، فبعد هلاك ابنه أبا مالك في حربه بالأندلس سنة 740هـ\1339م، قام بتجهيز جيش لغزو النصارى بالأندلس جهادا في سبيل الله، وثأرا لابنه، وطلب من أصهاره الحفصيين إمداده بالسفن والجند

[1] ابن خلدون، العبر،ج7،ص297، 298.
[2] يتكون الوفد من ابنه أبو زكريا والشيخ ابن تافراجين أشهر الوزراء الحفصيين. أبي عبدالله محمد بن إبراهيم المعروف بـ(الزركشي)،تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،تحقيق:محمد ماضور،ط2، المكتبة العتيقة ،تونس،1966م،ص55 56.
[3] الزركشى،نفس المصدر والصفحات.
[4] الزركشي،المصدر السابق،ص56.
[5] ابن خلدون،العبر،ج7،ص335 336.

،فأرسلوا له قوة بحرية[1] تتألف من ستة عشر من أساطيل افريقية مع قائد أسطول بجاية زيد بن فرحون ، وخاض السلطان أبا الحسن حروبه بالأندلس وحقق انتصارات باهرة[2].

ظلت المصاهرة تلعب دورها في العلاقة بين الدولتين إلى أن جاءت، موقعة طريف[3] 741هـ\1340م بين المرينيين والقشتاليين التي قتلت فيها فاطمة الحفصية زوجت السلطان أبا الحسن، مما أدى إلى كساد العلاقة المرينية الحفصية، واستمر ذلك إلى سنة 746هـ \1345م التي عاودا فيها السلطان أبا الحسن مصاهرة الحفصيين، ولكن يبدوا أن السلطان الحفصي أبي بكر تأخر في الموافقة على تجديد المصاهرة، ونرجع ذلك لبعض الاحتمالات منها: ربما يرجع لتأثره بموت ابنته فاطمة، أو انه شهد تسلل نوعا من الضعف للدولة المرينية؛ والذي أثبتته موقعة طريف، أو أن ابنته كبر عليها أن تدخل بيت أختها. وعلى كل حال بعد اخذ ورد بين وفد السلطان أبا الحسن والسلطان الحفصي أبي بكر وافق على تجديد المصاهرة، وأُرسلت العروس من تونس مع الوفد المريني سنة 747هـ\1376م. ولكن قبل وصول العروس إلى السلطان أبا الحسن بأيام توفي أبوها السلطان أبي بكر[4]، وترتب على ذلك صراع على الحكم داخل البيت الحفصي، الأمر الذي فتح الباب أمام التدخل المريني، مما أدى إلى تدهور العلاقة المرينية الحفصية.

فبعد وفاة السلطان الحفصي أبا بكر ظهرت مشاكل بين أبو حفص عمر (السلطان الحفصي الجديد)، وأخوه أبي العباس احمد (ولي العهد الحفصي)، وسبب ذلك توثب الأول على العرش وقتل أخيه، مما فسح المجال أمام صهرهم السلطان أبا الحسن للتدخل ، ومعاتبته لآبا حفص عمر على فعله، وأن أخاه هو أولى بالعرش، وجهز جيش لغزو افريقية، وانطلق به من تلمسان سنة 748هـ\1347م، وتمكن من السيطرة على تونس، وقتل أبا حفص عمر في نفس السنة، وأصبح يدير شؤون افريقية مثلها كباقي أملاكه ببلاد المغرب[5]، هنا بدأت العلاقة تأخذ منحى جديد لم نعهده من قبل.

إن التدخل المباشر للسلطان أبا الحسن في شؤون افريقية، جعله يواجه اضطرابات في حكمه تسبب فيها جانبان هما:المعارضة الحفصية التي تزعمها أبا العباس الفضل ابن السلطان أبابكر الحفصي، والنكبة التي تعرض لها أسطوله بسبب العاصفة. ولقد استغل الأمير أبا عنان فارس

---

[1] فلا شك في أن هذه القوة البحرية سوف تساهم في تطور القوى الحربية للأسطول المريني من ناحية تنوع القطع الحربية،وقيادة الأسطول.

[2] هنا نلاحظ أن عمر الأمير أبا مالك يتراوح مابين 8 9 سنوات،ـ أي من سنة 731هـ وهي السنة التي تزوج فيها أبا الحسن إلى سنة 740هـ وهي السنة التي ولى فيها ابنه أبا مالك قيادة حروب الأندلس ـ،وهو صغير جدا على أن يكلف بقيادة جيوش للحرب على ارض النصارى،ولكن نتيجة هذا الخطأ تولية القيادة المرينية كان نتيجته بأن لقي أبا مالك حتفه.ابن خلدون، العبر،ج7،ص345.السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص133.

[3] طريف:جزيرة بها مدينة صغيرة تقع على البحر الشامي (المتوسط) في أول المجاز المسمى الزقاق ويتصل غربيها ببحر الظلمات (الأطلسي)،ويشقها نهر صغير،ومن طريف إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا،وسميت طريف بهذا الاسم نسبة إلى القائد طريف مولى موسى بن نصير (ت 97هـ\716م) الذي نزلها أول الفتح.الحميري،المصدر السابق،ص392.

[4] ابن خلدون، العبر ،ج7،ص347،354.

[5] الزركشي،نفسه،ص69.

بن أبي الحسن بن علي هذه الاضطرابات لينفرد بالحكم عن أبيه، وكان ذلك سنة 749هـ\1348م، إن كل هذا كان كفيلا بأن يخرج تونس السيطرة المرينية[1].

منذ التدخل العسكري المريني زمن أبا الحسن في شؤون الحفصيين، لم نعد نسمع عن تعاون بين الدولتين، وأصبحت العلاقة عدائية، ولا نستبعد أن بني عبدالواد لهم دور في تغذية حركات المعارضة الحفصية ضد المرينيين. كما انه في المقابل لم يعد سلاطين بني مرين ينظرون إلى الحفصيين أنهم أصهار أو طرف مؤيد لهم بل نظروا إلى افريقية كجزء من دولتهم، والواجب استرجاعها إلى طاعتهم، وهذا ما سار عليه السلطان أبا عنان (749- 759هـ\1348- 1358م) بعد وفاة أبيه سنة 749هـ\1348م، حيث قام بتجهيز جيش كثيف، وتوجه به إلى افريقية، وقام بالسيطرة على بجاية[2].

إن ما قام به السلطان أبو عنان أدى إلى ظهور العديد من الثورات بالمدن الحفصية،مثل ثورة سنة 753هـ\1352م ببجاية، بتحريض من احد موالى الحفصيين الحاجب فارح[3]، وتمثلت مطالب الثورة في عزل عامل المرينيين على بجاية عمر بن علي[4]، واسند حكمها إلى صاحب قسنطينة[5]، أبي زيان ابن السلطان الحفصي أبا بكر، ولقد كان رد المرينيين على الثوار أن قاموا قاموا بإرسال جيش إلى بجاية سنة 754هـ\1353م، وانتقم منهم.

وكذلك ظهرت بقسنطينة حركة لمساندة الثورة ببجاية، وقامت بتنصيب الأمير تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المريني (من معارضي أبا عنان) حاكما على قسنطينة، وهذا أسلوب اتبعه الحفصيون، لعلهم يفرقوا كلمة بني مرين[6] ويكسبوا جبهات مؤيدة لهم داخل الدولة المرينية.

إن تعدد الثورات وجبهات المعارضة في افريقية جعل المرينيين يكثفوا من حملاتهم الحربية للسيطرة عليها، وأهم هذه الحملات كانت سنة 758هـ\1356م، المتجهة إلى حصار قسنطينة وبجاية ومن بعد الزحف على باقي افريقية.

كانت هذه الحملة تسير في خطين بري وبحري، وتم تجهيزها بأسلحة ثقيلة وخفيفة أهمها الأنفاط الحارقة، وزودت بمعدات الحصار،كما شاركت فيها عناصر قتالية متنوعة تجيد العديد من فنون القتال، واستخدمت فيها الكثير من القطع الحربية مختلفة المهام. وفرض الحصار على قسنطينة فسقطت في أيديهم، وأسر السلطان الحفصي أبي العباس احمد ابن أبي عبدالله بن أبي

---

[1] الزركشى، المصدر السابق،ص66- 67 . 71- 72.

[2] ابن خلدون،العبر،ج7،ص383.أبي عبدالله الشيخ محمد الباجي،الخلاصة النقية في أمراء افريقية،ط2، مطبعة بيكار وشركائه ،تونس،1323هـ ،ص75.

[3] وهذا لم يحرض على الثورة حبا في الحفصيين بل لأنه كان له نفوذ على أبي عبدالله محمد ابن الأمير أبا زكريا الحفصي صاحب بجاية،وعند تسليم الأخير بجاية للمرينيين انتهى نفوذه ومصالحه التي يسعي لتحقيقها . ابن خلدون،العبر،ج7،ص384.

[4] لم تؤيد صنهاجة حبا في الموحدين أو الحفصيين،بل طمع في استعادة ملكهم ببجاية التي استقروا بها من زمن بعيد وعند مجي الموحدين والحفصيين اقطعوهم أملاك بجاية،وعند سيطرت المرينيين على بجاية نتقلص نفوذ صنهاجة ببجاية، لذا أشعلوا نار الثورة ضد المرينيين. ابن خلدون،العبر،ج7،ص384.

[5] قسنطينة: هي مدينة قديمة أسسها الفينيقيون، وخربت في العصر الروماني، وأعاد بنائها الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الأول، ومنذ ذلك الوقت سميت قسنطينة، تعاقب عليها دول إسلامية مثل الحماديين والحفصيين، وهي من امنع المدن بافريقية ولايناظرها في ذلك إلا مدينة رندة بالأندلس. مؤلف مجهول، الاستبصار، ص165- 166. الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص265- 266. ابن الخطيب، الإعلام، هامش ص70.

[6] ابن خلدون،العبر،ج7،ص384- 385- 387.

يحيى أبابكر الموجود فيها، وتم نفيه إلى سبته، ثم لحقت بها بجاية، ومن نفس السنة تم السيطرة على تونس بعد حصارها بالقطع البحرية واقتحامها[1].

بعد تحقيق أبا عنان النصر في حملته على افريقية، قام بالرجوع إلى فاس، وهنا استغل الوزير الحفصي أبو محمد عبدالله ابن تافراجين الوضع بالهجوم على تونس وطرد الحامية المرينية منها وإعادة السيطرة الحفصية عليها[2].

شهدت العلاقة بين الدولتين في سنة 761هـ\1359م نوعا من التحسن، وذلك عند قيام السلطان المريني أبا سالم إبراهيم بإعادة السلطان الحفصي أبي العباس احمد من المنفي، وتسليمه مقاليد الحكم بتونس[3]، كما أن هذه الفترة شهدت توقفا للتوسع المريني صوب افريقية.

هذه العلاقة الحسنة لم تدم طويلا، وذلك لتغير الحكام، فبعد وفاة السلطان أبا سالم إبراهيم. أصبحت العلاقة المرينية الحفصية ذات طابع عدائي، وسبب ذلك راجعا إلى إيواء المرينيون عناصر معارضه للسلطان الحفصي أبا فارس عزوز،مثل الأمير الحفصي أبا عبدالله محمد صاحب بونة (عنابه الحالية)، الذي لجاء للمرينيين بعد فشل ثورته على السلطان الحفصي، وكان ذلك زمن السلطان المريني المستنصر بالله عبد العزيز بن احمد بن أبي سالم (796-799هـ \1394-1397م)، والمستنصر بالله عبدالله بن احمد بن أبي سالم (799-800هـ \1397-1398م)، وأبي سعيد عثمان بن أبي العباس احمد بن أبي سالم (800-823هـ\1398-1420)، بل هذا الأخير قام بتسليح المعارضة من القبائل العربية بافريقية ضد الحكم الحفصي، والتي كادت أن تسيطر على بجاية. كان رد الحفصيين على ذلك قوي، حيث قام السلطان.الحفصي أبا فارس بالقبض على أحد رؤوس المعارضة وهو أبا عبدالله محمد وقطع رأسه وعلقه على احد أبواب فاس نكاية في المرينيين، كما انه تمكن من إقناع القبائل العربية بافريقية بالعدول عن استعانتهم بالمرينيين[4]. وهكذا قوى نفوذ الحفصيين وزحفوا على تلمسان سنة 827هـ\1423م، كما أنهم جهزوا جيش للزحف على فاس عاصمة المرينيين، الأمر الذي جعل السلطان المريني عبد الحق بن أبي سعيد عثمان بن أبي العباس احمد (823-869هـ\1420-1465م)، يرسل بيعته للسلطان الحفصي أبا فارس عزوز وقال له: "إن البلاد بلادكم والسلطنة سلطنتكم وجميع ما تأمروننا به نمتثله"[5]. ومن هذه الفترة لم تعد هناك أحداث ذات أهمية بين الدولتين .

3. مملكة بني الأحمر بغرناطة.

يعتبر موقع مملكة غرناطة، والظروف التي تمر بها سببا رئيسا في صنع العلاقة مع الدولة المرينية، فبني الأحمر هم من يمثل سلطة المسلمين في الأندلس، وهذا بالطبع جعلهم يتعرضوا

---

[1] ابن الحاج النميري،فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب،دراسة وإعداد د. محمد بن شقرون،ط1،،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م ،ص225،224. 72.

[2] النميري،المصدر السابق،357.

[3] أبو العباس أحمد بن الحسين بن علي بن الخطيب ابن قنفذ القسنطينى،الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية،تحقيق:محمد الشاذلي وعبدالمجيد التركي،الدار التونسية للنشر،تونس،1968م ص184،

[4] الباجي،المصدر السابق،ص79.

[5] الزركشي،المصدر السابق،ص125.

إلى كثيرا من المضايقات من الممالك النصرانية، لذا قام المرينيون الذين عُرفوا بحبهم للغزو والجهاد[1]؛ بتقديم المساعدة لبني الأحمر ونصرة الإسلام والمسلمين بالأندلس، وأغلب الظن أن هذا ما دأبت عليه الدول التي ظهرت ببلاد المغرب، مثل دولة المرابطين والموحدين، ولعل معاركهم في الزلاقة والأرك والعقاب[2] مؤشرا على ذلك.

أدرك المرينيون خطورة النتائج المترتبة على هزيمة الموحدين اثر موقعة العقاب، سواء من ناحية ضعف المسلمين بالأندلس أو من جهة استفحال خطر النصارى، كما أدرك بنو الأحمر انه من الخطأ قطع صلتهم ببلاد المغرب التي تمثل لهم قاعدة حربية تمدهم بالمجاهدين،.وهذا ما كان نصح به مؤسس مملكتهم الشيخ محمد بن يوسف بن نصر (629 671هـ\1232-1272م)، ففي أواخر أيامه أوصى ولى عهده محمد بن محمد (الملقب بالفقيه) بأهمية تقوية التحالف مع بني مرين وخاصة عندما يهدده أي خطر نصراني[3].

وهكذا كان بنو الأحمر كلما احتاجوا إلى مساعدات حربية بعثوا في طلبها من الدولة المرينية، وفي المقابل يُلبي المرينيون المطالب بصدر رحب، لقد كان هذا ابرز ما يميز العلاقة بين الدولتين وخاصة في الفترة من 656هـ- 731هـ\1258-1330م، هذه الفترة التي راعا فيها المرينيين عدم التدخل في الشؤون الداخلية لبني الأحمر.

بدأت تبرز العلاقة بين المرينيين وبني الأحمر عقب ضعف دولة الموحدين، حيث تعرضت الأندلس إلى حملة استرداد قوية، بزعامة ملك قشتالة ألفونسو العاشرAL fonso X [4](1252-1284م\651- 683هـ)، الذي بدأ بضم أراضي الأندلس لمملكته، مما جعل ملك بني الأحمر محمد الثاني (الفقيه) بن محمد بن يوسف بن الأحمر (671 701هـ\1272-1301م) يصطحب معه حاكم مالقة أبا محمد عبدالله بن أبي الحسن بن أشقيلولة[5] ويطلب النجدة من يعقوب بن عبدالحق المريني سنة 672هـ\1273م، وبدوره الأخير وافق على ذلك؛ولكنه اشترط على ابن الأحمر تسليمه بعض القواعد الحربية على السواحل الجنوبية للأندلس، مثل جزيرة طريف والجزيرة الخضراء[6] وجبل طارق ورندة[7]، لتسهيل عملية تقديم المساعدة[8].

---

[1] ابن خلدون،العبر،ج4،ص220.ابن أبي زرع،القرطاس،ص278.

[2] ابن خلدون،العبر،ج7،ص251.

[3] ابن خلدون العبر،ج4،ص220.

[4] ألفونسو العاشر: ابرز ملوك قشتالة في القرن الثالث عشر الميلادي ،سمى بالعالم والحكيم ،لكثرت اطلاعه بالعلم والشعر والأدب،وبعد وفاته سنة 1284م خلفه ابنه سانشو في الحكم،عبدالفتاح سعيد عاشور،أوربا في العصور الوسطي،التاريخ السياسي،ج1،ط6، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة،1975م،ص542- 543.محمد عبدالله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،ع4،ط4،مكتبة الخانجي،القاهرة،1987م،ص170.ابن زرع،القرطاس،ص323.

[5] يرجع إلى أسرة بني أشقيلولة:وهم أصهار محمد الشيخ ابن الأحمر مؤسس مملكة غرناطة،من أهل أرجونه،كان لهم مساهمة فاعلة في تأسيس مملكة غرناطة،وتكريما لزعيمهم أبي الحسن بن الحسن بن أشقيلولة فقد قام ابن الأحمر بإسكانه قصبته وتقديمه على الجيش،وعندما توفي أبو الحسن ترك ولدين ،أبا إسحاق،وأبا محمد فصاهرهما ابن الأحمر على ابنتيه وولى الأول مدينة وادي آش والثاني مالقة،وأنجبوا الذرية،فأصبح بنو الأحمر يضمرون لهم الحقد وخاصة عندما ولي محمد الفقيه ابن الأحمر (671 701هـ\1272-1301م) الحكم أبيه الذي اعتبر بني أشقيلولة منافسين له.ابن أبي زرع،القرطاس،ص328- 329.ابن خلدون،العبر،ج7،ص261.العبادي ،دراسات،ص402- 403.

[6] الجزيرة الخضراء:تقع جنوب غرب مملكة غرناطة،وهي قبالة سبتة،وتبعد عن المحيط الأطلسي ثمانية عشر ميلا ،وسميت جزيرة لإحاطة مياه الجداول بها من كل ناحية.الحموي،المصدر السابق،ج2،ص136.

[7] رندة: من مدن تاكرنا بالأندلس، وتقع على نهر ينسب إليها، يصب في وادي لكه، وهى من أهم قواعد الأندلس، الحميري ،المصدر السابق، ص269.

[8] ابن خلدون،العبر،ج7،ص254.

وأغلب الظن أن هذه الشروط المرينية، لم تكن نابعة من مطامع، فالغرض منها مجرد تسهيل عملية تقديم المساعدة بأسرع وقت إلى الأندلس، وبعد عبور الجيش المريني للأندلس في سنة 674هـ\1275م[1]، اجتمع السلطان المريني بالطرفين المستنجدين به (ابن أشقيلولة وابن الأحمر)، غير أنه هناك شكوك بدأت تظهر عند ابن الأحمر مفادها أن هناك تحالف مشترك في السر ضده بين المرينيين وابن أشقيلولة، وجاء في مخيلته ما لقاه المعتمد بن عباد[2] وغيره من ملوك الطوائف على يد المرابطين زمن يوسف بن تاشفين سنة 500هـ\1106م[3]. لذا فضل أن لا يشترك في دعم الجيش المريني الذي سيحارب ألفونسو العاشر ،بل تمنى فشل المرينيون في مهمتهم.

لم يكترث السلطان يعقوب بن عبدالحق لما فعله ابن الأحمر وسار مع ابن أشقيلولة في خطتهم لصد الخطر القشتالي، ونشبت معركة بين الطرفين المريني الأندلسي ضد القشتاليين، لقي فيها قائد النصارى (دنونه) دون نوني ودي لارا (Nunio lara) مصرعه. وفي هذه الأثناء زادت مخاوف ابن الأحمر، مما جعله يجرى اتصالات متعددة للتحالف مع ألفونسو العاشر[4].

يبدوا أن فشل ابن الأحمر في التحالف مع النصارى، والتخوف من أطماع بني أشقيلولة في الأندلس، جعله يعجل في المبادرة بإرسال تهنئة للسلطان يعقوب بن عبدالحق بالنصر[5]. ومن المرجح أن تصرفه هذا حد من غضب السلطان المريني، وساهم في تحسين العلاقة بين الدولتين.

حرص المرينيون على علاج تخوف بني الأحمر منهم، وذلك بأن قاموا عند دخولهم للأندلس بمحاولة إثبات حسن النية. فبعد استنجاد ابن الأحمر بهم مجددا، لبوا النداء وعبروا للأندلس العبور الثاني سنة 676هـ\1277م، حيث تم وقف الخطر القشتالي بموجب صلح طلبه ملك قشتالة، وهنا حرص السلطان يعقوب بن عبدالحق على أن يجعل الموافقة على الصلح مشروطة بموافقة ابن الأحمر، وذلك رفعا من مكانته أمام القشتاليين[6]. كما أعطى بني الأحمر كل الغنائم، الغنائم، وقال: نحن لنا من هذه الغزوة البر والثواب، ثم رجع إلى بلاد المغرب[7].

وللأسف كلما حاول المرينيون توحيد كلمة المسلمين في المغرب والأندلس، ومراضاة ابن الأحمر، نجده يصر على قطع العلاقة ولو كلفه ذلك تحالفه مع الممالك النصرانية، فقد قام

---

[1] ابن زرع ،القرطاس ،ص318.ابن زرع،الذخيرة،ص143.

[2] أمير أشبيلية ومن أشهر ملوك الطوائف بالأندلس،ومن أشهر شعراء عصره،عزله المرابطين عن الحكم سنة 484هـ،وتم نفيه لإغمات ببلاد المغرب وتوفي بها سنة 488هـ. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة،تحقيق عنان،ج4،ط2،مكتبة الخانجى، 1394هـ\1974م ،ص119.

[3] ابن الخطيب،الإحاطة،ج2 ،ص116.

[4] ابن زرع ،القرطاس ،ص318.ابن زرع،الذخيرة،ص143.

[5] ابن زرع ،القرطاس ،ص318.ابن زرع،الذخيرة،ص143.157.

[6] ابن خلدون،العبر،ج7،ص260.

[7] ابن زرع،القرطاس،ص328.

بالتقرب من ملك قشتالة ألفونسو العاشر وملك أراجون بيدرو الثالث[1] (1274- 1285م)، وعقد معهم حلف يهدف لمنع المرينيين من العبور إلى الأندلس[2].

بدأ هذا الحلف بمحاصرة الدولة المرينية، فقد رست سفنه عند مضيق جبل طارق، وتم تضييق الخناق على الحامية المرينية بالجزيرة الخضراء[3]. ونعتقد أن أطماع ابن الأحمر في امتلاك مالقة التابعة لابن أشقيلولة[54] التي تنازل عليها للمرينيين سنة 676هـ\1277م هي السبب في تحالفه مع النصارى. وفي النهاية تمكن ابن الأحمر سنة 677هـ\ 1278م من امتلاك مالقة، وذلك بشرائها من عاملها عمر بن يحيى بن محلي[6] بخمسين ألف دينار، وأعطاه معها المنكب[7] وحصن شلوبانية. ولم يكتف ابن الأحمر بمحالفة النصارى، واخذ مالقة من المرينيين، بل قام في نفس السنة بتحريض بني عبدالواد على شن الغارات وإثارة القلاقل على الحدود الشرقية للدولة المرينية [8]، لقد أدى ذلك إلى توتر علاقة المرينيين معه، وتعرض دولتهم دولتهم للعديد من الأخطار الخارجية والداخلية .

إن عدم اكتراث ابن الأحمر لخطورة ما يقوم به تجاه الدولة المرينية، ونكرانه لدورها في صد خطر النصارى على الأندلس، جعل السلطان المريني يعقوب بن عبدالحق، يعد العدة لحربه،كما جهز قوات برية وبحرية لفك الحصار على الجزيرة الخضراء، ويبدوا أن ابن الأحمر قد حصل له احد أمرين أما الخوف من بطش المرينيين،أو كما جاء عند ابن خلدون: تأثره لحال المسلمين بالجزيرة الخضراء الذين يعانوا من ظلم النصارى، مما جعله يرجع نادما ويقدم مساعدته الحربية للسلطان المريني[9].

وكعادة ابن الأحمر في التخوف من السيطرة المرينية، ففي سنة 681هـ\1282م عندما استنجد ألفونسو العاشر بالمرينيين ضد ابنه سانشو (شانجه).ارتاب ابن الأحمر من هذا التقارب، وبادر بالاتصال بسانشو، وتحالف معه ضد أبيه والمرينيين. ولكن فشل مخطط ابن الأحمر، نظرا لانتصار ألفونسو على ابنه. ومع كل ما بدر منه قام السلطان يعقوب بن عبدالحق بالعفو عنه لعل ذلك يسهم في وصل العلاقة بين الدولتين[10].

---

[1] بيدرو الثالث:من أقوي ملوك مملكة أراجون ،تزوج من ابنة ملك صقلية،ونتيجة لهذه المصاهرة كان من حقه وراثة عرش صقلية،وفي الأزمة التي حدثت بين البابوية وصقلية عند محاولة البابوية السيطرة على أملاك صقلية باعتبارها من الحقوق الشرعية للبابوية،نجد بيدرو الثالث يقف مع صقلية ،مما جعل البابا مارتن الرابع (1281- 1285م)،يصدر في حقه قرار حرمان سنة 1283م وعين مكان شارل فالو من ابن ملك فرنسا،وتفي بيدرو الثالث سنة 1285م.عاشور،المرجع السابق،ج1،ص547- 548.

[2] السلاوي ،نفسه،ج3،ص49.

[3] السلاوي ،المصدر السابق،ج3،ص49.

[4] ملك المرينيون مالقة بتنازل محمد بن أشقيلولة لهم عليها بعد جوازهم الثاني للأندلس ،وذلك بعد وفاة أبوه سنة 676هـ،وذلك نكاية في ابن الأحمر.ابن خلدون،العبر،ج7،ص261.

[5] ابن خلدون،العبر،ج7،ص262.

[6] ورد عند ابن أبي زرع في القرطاس،ص329. باسم عمر بن علي.

[7] المنكب: مرفأ وثغر صغير من ثغور جنوب شرق الأندلس يقع على بعد أربعين ميلا جنوبا من غرناطة ولها مرسى يسمى باسمها،وبها حصن كبير يقع على البحر المتوسط.الحميري،المصدر السابق،ص548- 549.

[8] ابن خلدون،العبر،ج7،ص267. ابن زرع،القرطاس،ص329.

[9] ابن خلدون، العبر،ج7،ص267.

[10] ابن زرع،القرطاس،ص338. ابن خلدون،العبر،ج7،ص270. 272..

حاول السلطان يعقوب بن عبدالحق أن يمد العلاقة مع ابن الأحمر وأن لا يضايقه أثناء عبوره للأندلس، ففي العبور الرابع إلى الأندلس سنة 684هـ \1285م والذي وصلت فيه القوات المرينية إلى نواحي مملكة قشتالة، اشبيلية[1] وشريش[2]، وإعلان سانشو (1284-1296م) ملك قشتالة استسلامه للمرينيين والرغبة في عقد السلم معهم، نجد السلطان المريني يوصي ابنه أبا زيان الذي ولاه على مسالح الأندلس بعدم التعرض لأملاك ابن الأحمر[3].

حاول السلطان يوسف بن يعقوب أن يسير على نهج أبيه في توطيد العلاقة مع دولة بني الأحمر، فبعد لقاء ابن الأحمر له وتعزيته في وفاة أبيه وتهنئته بالمنصب الجديد، تم تناول تطور العلاقة بين الدولتين، وتقرر في هذا اللقاء عدة نقاط منها: تنازل السلطان المريني على جميع ما يملكه من مدن أندلسية لابن الأحمر، ويحتفظ ببعض القواعد البحرية اللازمة عند تقديم المساعدات الحربية بين الدولتين مثل الجزيرة الخضراء وطريف ورندة ووأدي آش[4] وأحوازها[5].كما قام في سنة 687هـ\1288م بترحيل بني أشقيلولة منافسي بني الأحمر على حكم الأندلس، إلى مدينة القصر الكبير (قصر كتامة) بشمال المغرب الأقصى، وتولي المرينيون إدارة أملاكهم بوأدي آش[6]. وكان كل ذلك في سبيل مصالح المسلمين بالدولتين.

ظلت سياسة بني الأحمر تجاه المرينيين متذبذبة ومليئة بالمخاوف، رغم تلك المبادرات والتنازلات المرينية، ففي سنة 690هـ\1291م نقض ملك قشتالة سانشو الرابع اتفاقية السلام المبرمة سنة 684هـ\1285م مع السلطان يوسف بن يعقوب، وذلك عند تهديده للمدن الأندلسية، وعند تحرك المرينيون لصد هذا الاعتداء، قام ابن الأحمر بمهاجمة الحامية المرينية بمدينة أسطبونة، كما انه عقد حلف مع مملكة قشتالة ومملكة أراجون لحصار جزيرة طريف المرينية والسيطرة عليها، وبالفعل بعد حصار دام خمسة شهور سقطت الجزيرة في أيدي النصارى في أخر شوال سنة 691هـ\1291م، ورفض سانشو تسليم الجزيرة لابن الأحمر[7]، لذا سرعان ما اتجه إلى السلطان يوسف بن يعقوب سنة 692هـ\1292م يتودد إليه[8]، وتنازل له على الجزيرة ورندة وعشرين حصنا أخر، وفي المقابل قام السلطان المريني في سنة 694هـ\1294م بالسيطرة على بعض ثغور الأندلس وسلمها إلى ابن الأحمر[9]. نلاحظ هنا أن المرينيين امتلكوا العديد من المواقع المهمة بالأندلس، وفي الوقت نفسه حافظوا على علاقتهم ببني الأحمر.

---

[1] أشبيلية:وتبعد عن قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومعناها المدينة المنبسطة،بناها يوليوس قيصر ويطل عليها جبل الشرف وتشتهر بالزيتون والقطن وقصب السكر،سقطت بيد الأسبان سنة 646هـ\1248م،الحميري،المصدر السابق،ص85 60.

[2] شريش:أو شرش هي مدينة كبيرة من كورة شذونه بالأندلس.الحموي،المصدر السابق،ج3،ص340.

[3] ابن خلدون، العبر،ج7،ص278.

[4] وادي آش:مدينة قريبة تجود بالمياه والأنهار من حولها وينحط نهرها من جبل شلير الموجود شرقها وهي على ضفته.الحميري،المصدر السابق،ص604.

[5] ابن خلدون، العبر،ج7 ،ص279. ابن زرع،القرطاس،ص376.

[6] ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية،صححه ووضع فهارسه :محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ،القاهرة ،1347هـ ،ص44.

[7] ابن زرع،القرطاس،ص380 381.ابن خلدون،العبر،ج7،ص285.ابن الخطيب،اللمحة،ص45.

[8] ابن زرع،المصدر السابق،ص383.

[9] ابن خلدون،العبر،ج7،ص290. 287.

لم يأت ملك بني الأحمر محمد الثالث (المخلوع) بن محمد بن الأحمر (701- 708هـ\1301- 1308م) بسياسة جديدة لربط علاقته بالمرينيين، فلقد بقيت العلاقة بين مد وجزر، فمثلا نجده من جهة يحاول ربط علاقته بالسلطان المريني ويقدم له المساعدات الحربية كفرقة الناشبة؛ لإعانته على حصار تلمسان، ومن جهة أخرى قام بإثارة القلاقل للمرينيين، وذلك بتحالفه مع ملك قشتالة هرانده بن سانشو[1] سنة 703هـ\1303م[2]، وقيامه بتحريض صاحب مالقة الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل ، للاستيلاء على سبته، الذي فعلا أرسل قوات أندلسية بقيادة عثمان بن إدريس بن أبي العلاء بن عبدالله بن عبدالحق[3](ت 730هـ \1329م) تمكنت من دخول سبته سنة 705 هـ \1305م[4]، لقد غضب السلطان المريني مما حدث، وسرح فرقة الناشبة الأندلسيين[5]، كما قام سنة 706 هـ \1306م بإرسال قوات حربية لحصار سبته واسترجاعها ولكنها فشلت نظرا لحصانتها، ومقتل السلطان المريني[6].

ظلت مهمة تحرير سبته الشغل الشاغل لسلاطين بني مرين، فعند تولي أبو ثابت عامر بن عبدالله (706- 708هـ\1306- 1308م) حكم الدولة المرينية، حاول حصار سبته وذلك بأن بنا بالقرب منها مدينة تطوان[7] لتشديد عملية الحصار ولكن دون جدوى. وفي عهد السلطان أبي أبي الربيع سليمان، وتحديدا سنة 709هـ\1309م تمكن المرينيون من الاستيلاء على سبتة[8]، بعد التعاون مع أهلها الذين سئموا حكم بني الأحمر. لقد أثر هذا في العلاقة بين بني الأحمر والمرينيين، حيث قام أبو الجيوش نصر بن محمد بن الأحمر (708- 713هـ\1308- 1313م)، بالتودد للمرينيين وتنازل لهم على عدة مراكز هامة مثل الجزيرة والخضراء ورندة، وشجعهم على الجهاد بالأندلس، ولعل ذلك راجعا إلى تخوفه من خطر النصارى، وزادت العلاقة توطدا بعد زواج السلطان سليمان من أخت ابن الأحمر، وظلت العلاقة يسودها الود، وتقديم المساعدات المادية والمعنوية بين الدولتين حتى وفاة السلطان أبا ربيع سليمان سنة 710هـ\1310م[9].

أصبحت العلاقة أكثر تقاربا زمن السلطان أبا الحسن وابنه أبا عنان، وذلك لسعيهما لتوثيق العلاقة مع بني الأحمر، وكان نفس الشعور عند بني الأحمر، فلقد عرف السلطان أبا الحسن بحبه للجهاد وحرصه على امن وسلامة المسلمين في المغرب والأندلس، وذلك من خلال ما قام به من تحصين وأعمال حربية مختلفة. ومحاولة توحيد كلمة مسلمي المغرب والأندلس، وكانت

---

[1] هرانده بن سانشو: هو الملك القشتالي فرناندو الرابع (1296- 1312م)، ص543،استولي على جبل طارق سنة 709هـ\1309م وعندما توفي خلفه ولده الطفل ألفونسو الحادي عشر 1312م، عاشور:أوروبا،ج1،محمد عنان:دولة الإسلام في الأندلس،نهاية الأندلس ونهاية العرب المتنصرين،ط4،القاهرة،مكتبة الخانجي،ع1997،4م،ص171.

[2] ابن خلدون،العبر،ج7،ص301. السلاوي،المصدر السابق،ج3،ص82.

[3] وهو احد الشخصيات المرينية الطامعة في حكم الدولة المرينية، ولمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية انظر ابن خلدون ،العبر،ج4،ص221.

[4] ابن خلدون،العبر،ج7،ص302.ابن زرع ،المصدر السابق،ص388.

[5] ابن خلدون،العبر،ج7،ص301. السلاوي،المصدر السابق،ج3،ص82.

[6] ابن خلدون،العبر،ج7،ص302.ابن زرع ،المصدر السابق،ص388.

[7] تطوان:كانت مدينة تطوان عبارة عن حصن يقع جنوب شرق سبتة على بعد خمسة أميال من المتوسط،وكانت تسكنه قبيلة بربرية يقال لها مجسكة.الإدريسي،المصدر السابق،ج2،ص531.

[8] سبتة:هي تمثل القاعدة الثانية من قواعد المغرب الأقصى،وتقع على بحرين المحيط (الأطلسي) والروم (المتوسط)،ويقابلها من الأندلس الجزيرة الخضراء وبينهما الزقاق (مضيق جبل طارق).القلقشندى،المصدر السابق،ج5،ص157- 158.

[9] ابن زرع، المصدر السابق،ص393.394.

بداية توطيد العلاقة بعد قيام محمد (الرابع) بن إسماعيل بن فرج بن الأحمر (725-733هـ\1324- 1333م) سنة 732هـ\1331م بزيارة للسلطان أبا الحسن طالبا منه النجدة لصد خطر الممالك النصرانية، بالطبع استقبل السلطان المريني ضيوفه عند روض المصارة[1]، وتباحث معهم في عدة نقاط منها: سبل تقديم المساعدة لنصرتهم، وطرد النصارى من رباط الفتح[2] أو جبل طارق، وبالفعل قدمت المساعدات، وتم استرجاع جبل الفتح سنة 733هـ\1332م[3].

دفع محمد بن إسماعيل ثمن رد علاقته مع الدولة المرينية، وذلك بأن قتل على يد أبناء عثمان بن العلاء (مشيخة الغزاة المرينيين المعارضين للدولة المرينية). ونحن لا نستبعد أن ملك بني الأحمر عند اجتماعه مع السلطان المريني أبا الحسن سنة 732هـ \1331م، قد تناول عملية القضاء على نفوذ شيوخ الغزاة، الذين أصبحوا يتدخلون في حكم بني الأحمر، ويدبرون المؤامرات ضد الحكم المريني، كما أننا لا نستبعد أن شيوخ الغزاة قد علموا بهذه المؤامرة ضدهم لذا انتقموا من ابن الأحمر، ولكن بمجرد تولي أبا الحجاج يوسف بن إسماعيل بن الأحمر الحكم قام بالتخلص مشيخة الغزاة، وذلك بتغريبهم إلى تونس ثأرا لأخيه[4] وتنفيذا لبنود الاجتماع. وتعتبر حادثة تغريب مشيخة الغزاة من أهم الأحداث التي ساهمت في توطيد العلاقة بين الدولة المرينية وبني الأحمر؛ لأنها انتهت بتسليم عناصر مشيخة الغزاة إلى السلطان أبا الحسن المريني سنة 742هـ\1341م. مما أدى إلى توطيد العلاقة، وبقاء المراسلات بين الدولتين رغم ما مرت به كلا منهما من مشاكل داخلية، فلقد بعث الملك أبي الحجاج يوسف كتابا سنة 749هـ\1348م إلى السلطان أبا الحسن يطمئنه فيه عن حاله ويواسيه عما أصابه،ويعتذر له عن ضعف الحيلة في تقديم المساعدة بسبب تهديد النصارى لمملكته[5].

أصبحت علاقة المرينيين ببني الأحمر في عهد أبا عنان أكثر ترابط، وهذا ما نفهمه من المراسلات والسفارات[6] التي أوردها لنا ابن خطيب في كتابه كناسة الدكان[7]، والتي تنوعت بين بين إبداء الشكر والتهنئة، إضافة إلى تناولها الأوضاع الداخلية للممالك النصرانية،.وقد كانت أولى تلك المراسلات والسفارات سنة 752هـ\1351م، والتي أرسلها الملك أبو الحجاج يوسف بن الأحمر مع وزيره ابن الخطيب إلى أبي عنان، وأرفق معها هدايا، وفيها قدم التعازي

---

[1] المصارة:عند المغاربة والأندلسيين القدماء هو الفضاء الفسيح الواقع خارج أسوار المدينة ويعد من منتزهاتها،وروض المصارة الذي نتحدث عنه هو بستان كبير تكثر به الأشجار وتخترقه الجداول المائية،يقع بمدينة فاس الجديدة،تم إنشائه زمن السلطان المريني يوسف بن يعقوب سنة 685هـ،يستخدم لعقد الاجتماعات واستقبال الوفود المهمة،وبه لعرض الجند في المناسبات،والتمرن على الفروسية،.ابن زرع،القرطاس،هامش ص41. محمد المنوني،ورقات عن حضارة المرينيين،ط3، منشورات كلية الآداب ،الرباط، 2000م ،ص62 63، ابن مرزوق،المصدر السابق،ص37. Jaime Oliver Asin, Historia del nombre <<Madrid>>,op.cit.,pp342-347.

[2] رباط الفتح:مدينة كبيرة أسسها يوسف بن تاشفين (453 500هـ\1061- 1106م) ،عند مصب نهر أبي رقراق على ساحل المحيط الأطلسي،وهي على النهر من جهة وعلى البحر من جهة أخري،الوزان،المصدر السابق،ج1،ص201.

[3] ابن الخطيب،اللمحة،ص80.ابن خلدون،العبر،ج7،ص337.

[4] ابن خلدون،العبر،ج4،ص222.ج7،ص349.

[5]المصدر السابق،ج7،ص350، 365 ،ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان،تحقيق:محمد كمال شبانه،ط1،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2003م ،ص27.

[6] وما يميز هذه الوثائق أن طرف المبادرة بإرسال المراسلات والسفارات كان من قبل بني الأحمر،وهذا يمكن أن نفسره بمدى القوة الذي وصلت إليه الدولة المرينية في هذه الفترة من ناحية،والقيادة الحكيمة التي حكمت غرناطة،وتفاقم خطر النصارى بالأندلس.

[7] ص68- 99

للسلطان المريني في وفاة أبيه، وهنئه بتوليه الحكم،كما أنها تناولت أوضاع الأندلس، وما يعانيه مسلميها من اضطهاد نصراني، وانتهت بطلب المساعدة الحربية[1].

تلك السفارات المتبادلة وما ترتب عليها من علاقات طيبة بين الدولتين لم يعكر صفوها إلا حادثة إيواء بني الأحمر لعناصر معارضة للمرينيين. فبعد أن تولي السلطان أبا عنان حكم الدولة المرينية، نفى أخويه أبي الفضل محمد وأبي سالم إبراهيم إلى الأندلس ـ لكي لا ينافساه على الحكم ـ وأنزلهما بمدينة مربلة، تحت رقابة أبي الحجاج يوسف بن الأحمر، وبعد أن استقرت له الأمور، أرسل في طلبهما، ولكن ابن الأحمر رفض تسليمهما، لخوفه من غدره بهما، كما أوعز إلى أبا الفضل بالهروب واللجوء إلى ملك قشتالة بيدرو الأول الملقب بالقاسي[2](750ـ 768هـ\1350ـ 1368م)[3]. بالطبع هذا لم يرق للسلطان المريني وجعله يجافى ابن الأحمر، مما جعل الأخير يرسل سفارة سنة 753هـ\1352م يبرر فيها هروب أبي الفضل، بقوله: إن أبا الفضل هرب بنفسه إلى ملك قشتالة ولم يكن بإيعاز منه[4]. وعلى ما يبدو أن أزمة المعارضة انتهت بوفاة أبي الحجاج يوسف. وذلك لأننا نلاحظ تحسن العلاقة بين الدولتين مع تولى الحكم الغني بالله محمد (الخامس) بن يوسف بن الأحمر (755ـ 760هـ\1354ـ 1359م) الذي حمَّل في سنة 755هـ\1354م وزيره ابن الخطيب رسالة إلى السلطان أبي عنان يوضح له فيها ظروف مقتل أبا الحجاج يوسف،كما انه يطلب الدعم المريني لمملكته،ورحب أبو عنان بذلك وقبل تقديم المساعدة[5].

وعلى ما يبدو أن الضعف بدأ يتخلل للدولة المرينية بعد وفاة أبا عنان.759هـ\1385م مما جعل بنو الأحمر يعاودوا مساندة جبهات المعارضة المرينية محاولة منهم للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة المرينية، فقد قام ملك بني الأحمر الغني بالله سنة 760هـ\1359م بمساندة المستعين بالله أبا سالم إبراهيم بن الحسن (760ـ 762هـ \1359ـ 1362م) ـ الذي كان لاجئ عنده ـ على القيام بانقلاب ضد السلطان السعيد بن أبي عنان (759ـ 760هـ\1358ـ 1359م).وقام السلطان الجديد بجمع كل المرشحين لتولى حكم الدولة المرينية وسجنهم بالأندلس في مدينة رندة، وذلك بمساعدة بني الأحمر، حيث لم يفلت منهم إلا ابن أخيه محمد بن عبدالرحمن الذي فر إلى مملكة قشتالة[6].

ظلت عملية إيواء المعارضة تلعب دورا في تشكيل العلاقة بين الدولتين فقد قام السلطان المريني أبا سالم إبراهيم باستضافة الغني بالله، عندما انقلب عليه أخيه أبا الوليد إسماعيل بن يوسف (760ـ 763هـ\1359ـ 1362م).ولقد طلب أبو الوليد من أبي سالم تسليمه عمه الذي هرب إليه، ولكنه رفض، وردا على ذلك قام أبا الوليد بالإفراج على المرينيين ـ المعارضين لأبي سالم ـ المحتجزين برندة وكان على رأسهم الأمير عبدالحليم بن عمر بن عثمان المريني؛

---

[1] ابن الخطيب ،كناسة ،ص69.

[2] بيدرو الأول أو بطرس الأول ،تولى الحكم سنة 1350 م بعد والده ألفونسو الحادي عشر ،كان يلقب بالقاسي لمعاملته بقسوة للنبلاء،تولي عرش قشتالة بعد الملك هنري الثاني (1369ـ 1379م)، عاشور،المرجع السابق،ج1،ص544.

[3] ابن خلدون ،المصدر السابق،ج7،ص388.

[4] السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص179ـ 182.ابن الخطيب،كناسة،ص170.

[5] السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص182ـ 183.

[6] ابن الخطيب،الإحاطة،ج1،ص305ـ 308،السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص7ـ 8.ابن خلدون،العبر،ج7،ص405.

بهدف إشعال الثورة ضد السلطان المريني، وخلق جبهات معارضة ضده مدعومة من بني الأحمر، ولكن كان مصير هذه الثورة الفشل[1].

ظل الجانب المريني بعد سيطرة الوزراء[2]على شؤون الحكم يساند جبهات المعارضة لبني الأحمر، فقد كان للوزير المريني عمر بن عبدالله (ت768هـ\1366م) دورا في تسهيل عملية دخول الغني بالله إلى الأندلس، والذهاب إلى رندة ومن بعد إلى مملكة قشتالة، ومن هناك تمكن من استعادة ملكه بغرناطة سنة 763هـ\1362م، وذلك بعدما استغل مقتل أخيه الملك إسماعيل بن يوسف[3]، وكان رد الغني بالله على هذا المعروف للمرينيين، بان ساهم في استعادة أبا زيان محمد بن عبدالرحمن المقيم عندهم بقشتالة، لتولى أمور الدولة المرينية، وبالطبع كان هذا بتنسيق مع الوزير عمر بن عبدالله[4]، وذلك نكاية في أبي عمر تاشفين (المسوس) بن أبي الحسن[5] (762- 763هـ\1361- 1362م) الطامع في العرش المريني.

لقد تركزت سياسة أبا زيان على تحسين علاقته مع بني الأحمر، ولكن هذه العلاقة لم تستمر طويلا بين الدولتين، فسرعان ما تعكر صفوها بتولي عبدالعزيز بن أبي الحسن المريني(767- 774هـ\1365- 1372م) حكم الدولة المرينية، فقد كان ابن الخطيب ابرز وزراء بني الأحمر، ولكنه هرب إلى فاس سنة 773هـ\1371م، بعد اتهامه في غرناطة بالزندقة، وأصبح مهددا بالقتل من قبل الغني بالله الذي طالب عبدالعزيز بتسليمه إياه، غير أن الأخير رفض طلبه، وبعد وفاة السلطان عبدالعزيز بن أبي الحسن[6]، خلفه ابنه أبا زيان السعيد سنة 774هـ\1372م، ونظر لصغر سنه كان وزيره أبوبكر بن غازي هو من يدير شؤون الدولة عنه ،وهنا عاود الغني بالله المطالبة بابن الخطيب، وكان رد الوزير المريني الرفض، مما جعل الغني بالله يطلق سراح الشخصيات المعارضة للدولة المرينية والمرشحين للحكم مثل عبدالرحمن بن أبي يفلوسن (ت784هـ\1382م) ومسعود بن ماساي (ت789هـ\1387م)، وذلك لإثارة القلاقل والفتن داخل الدولة المرينية[7].

وإضافة لإطلاق بني الأحمر سراح المعارضة المرينية قاموا كذلك بالتدخل العسكري في شؤون المرينيين وذلك عند قيامهم بحصار مدينة سبتة، هذا الحصار الذي حاول واليها محمد بن عثمان التصدي له،ولكن مراسلات ابن الأحمر التي جاء فيها أن ولى العهد المريني مازال صغيرا، وأن هناك من هو أحق منه بذلك، كالأمير أبي العباس احمد بن أبي سالم، والتي طلب فيها تسليمه ابن الخطيب، جعلت محمد بن عثمان يوافق على ما يرغب فيه ابن الأحمر، واستلم السلطان أبو العباس احمد (في فترته الأولى) (776- 786هـ\1374- 1384م) حكم الدولة

---

[1] ابن خلدون،العبر،ج7،ص405 409 419.ابن الخطيب،اللمحة،ص106.

[2] كانت هذه الفترة عقب وفاة السلطان المريني أبا سالم إبراهيم ،حيث تميزت بسيطرة الوزراء على شؤون الحكم ،وذلك أما لكون السلطان صغير في العمر أو أن ظروف الصحية لا تسمح له بإدارة الحكم.ولا أكثر تفاصيل على هذه الفترة انظر السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص233.حيث افرد السلاوي الفصل الرابع عشر لاستبداد الوزراء على الملوك في الدولة المرينية.

[3] السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص12.

[4] ابن الخطيب،الإحاطة،ج2،ص40 41.

[5]لقب بهذا اللقب لإصابته بالجنون عند اسر القشتاليين له عقب موقعة طريف سنة 741هـ\1341م، ابن الخطيب، اللمحة، ص106. السلاوي، المصدر السابق،ج4،ص242.

[6] المصدر السابق،ج7،ص445.

[7]ابن خلدون، المصدر السابق،ج7،ص445،242،446 448.

المرينية، وبإيعاز من ابن الأحمر عين في وزارته محمد بن عثمان، كما انه تم تسليم ابن الخطيب لابن الأحمر وتمت محاكمته وقتله سنة 776هـ\1374م[1].

لقد استفحل تدخل بني الأحمر في شؤون الدولة المرينية، وأصبحوا ينصبون ويعزلون حكامها، وكأنها ملكهم ، ولقد عبر ابن خلدون عن ذلك في قوله: "وأصبح المغرب كأنه من بعض أعمال الأندلس"، فنظرا لمحاولة السلطان المريني أبا العباس احمد اخذ قرارات مستقلة دون الرجوع لبنى الأحمر، مثل تعيين وزراء دولته، كان مصيره العزل وإرساله إلى الأندلس، وتولية موسى بن أبي عنان (786- 788هـ\1384- 1386م) مكانه، واستوزروا له مسعود بن ماساي،كما أن الوزير مسعود بن ماساي عُزل هو والسلطان موسى، عندما حاولا القيام بثورة ضد تدخلات بني الأحمر، وبالتالي قام ابن الأحمر الغنى بالله بإرجاع أبي العباس احمد لحكم الدولة المرينية فترة ثانية (789- 796هـ\1387- 1394م)[2]. وهذا كله يعكس عدم رضا بني مرين عن تدخلات بني الأحمر في دولتهم، مما ترتب عليه اضمحلال العلاقة بين الدولتين.

* * *

[1] ابن خلدون،العبر،ج7،ص449 450.السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص264 265.ابن خلدون،العبر،ج7،ص453.
[2] ابن خلدون،العبر،ج7،ص464 471.

ثالثا: العلاقة الحربية مع الممالك النصرانية الاسبانية:

مثلما تعرضت الأندلس إلى انقسامات خلال القرن الحادي عشر الميلادي، وظهور دويلات الطوائف، تعرضت كذلك اسبانيا إلى انقسامات خلال القرن الثاني عشر الميلادي، نتج عنها عدة ممالك نصرانية وهي: قشتالة وأراجون وليون ونافار والبرتغال[1]، ولقد تمكنت مملكتي قشتالة وليون القويتان من تتداركا هذا الانقسام، عن طريق انضمام مملكة ليون إلى مملكة قشتالة سنة 1230م\628هـ، وذلك عند وصول ملك ليون ألفونسو التاسع لعرش مملكة قشتالة، كما شهدت سنة 1234م\632هـ اختفاء تدريجي لمملكة نافار التي تلاشت حدودها وسلطتها بين مملكتي قشتالة وأراجون[2]. وهكذا ظهرت بشكل واضح أيام الدولة المرينية الممالك الثلاث: قشتالة وأراجون والبرتغال.هذه الممالك التي من خلال احتكاكها بالدولة المرينية في السلم والحرب ظهرت لنا العلاقة الحربية بين الطرفين.

1 مملكة قشتالة:

تعتبر مملكة قشتالة من الممالك النصرانية الواقعة شمال اسبانيا جنوب مقاطعة مدريد وتشمل أراضى مقاطعتي كوينكا Cuenca جنوب شرق مدريد، وطليطلة[3] Toledo جنوب مدريد[4]، لقد كان لهذه المملكة دورا كبير في تمويل ودعم حركة الاسترداد النصرانية في شبه الجزيرة الأيبيرية[5]، وبدأت بالتوسع صوب أراضى المسلمين بحيث أصبحت في منتصف القرن السابع الهجري تسيطر على قرطبة[6] Cordoba واشبيلية Sevilla وبياسة[7] Baeza وأستجة[8] Ecija والمدور AL modavar [9]. وهكذا لم يبق أمامها إلا ضم مملكة غرناطة إليها، وبالتالي أصبحت تهددها، مما سيترتب عليه استنجادها بالدولة المرينية .

كان أول بداية للعلاقة الحربية بين الدولة المرينية ومملكة قشتالة،عند قيام الأخيرة بزعامة ألفونسو العاشر، بغارة على السواحل الغربية للمغرب الأقصى وتحديدا على مدينة سلا[10] وكان ذلك في اليوم الأخير من شهر رمضان عام 658هـ\8 سبتمبر 1260م، والسيطرة عليها بعد الاتفاق مع أميرها عبدالرحمن بن عبدالله المريني المناهض للسلطان يعقوب بن عبدالحق. لقد

---

[1] البرتغال:سميت بذلك نسبة إلى الميناء الروماني Portus Cale ،نشأة دولة البرتغال في أواخر القرن الحادي عشر عندما كافأ ملك قشتالة ألفونسو السادس الأمير البرغندي هنري سنة 1095م على مشاركة الحرب الصليبية بتزويجه من ابنته وإعطاءه بعض المناطق التي كانت للمسلمين سنة 1064م حول نهر منهو،فقام الزوجان بجعل تلك المناطق إمارة مستقلة.عبدالقادر أحمد اليوسف،العصور الوسطى الأوروبية، المكتبة العصرية ،صيدا،1976م،ص341.

[2] عنان،المرجع السابق،ع4،ص85 86،87.

[3] طليطلة:مدينة كبيرة في أواسط إسبانيا قرب مدريد تمتد حتى تصل وادي الحجارة في الأندلس،وتقع على نهر تاجه،استولى عليها الإفرنج سنة 477هـ\1084م.الحموي،المصدر السابق،ج4،ص39.

[4] البارودي،المرجع السابق،ص 101.

[5] شبه الجزيرة الأيبيرية:أطلق عليها اسم إيبيريا أي أرض الأيبيريين الذين كانوا يسكنون السواحل الجنوبية والشرقية لشبه جزيرة إيبيريا،وجاءت هذه التسمية نسبة إلى نهر أيبره ثم أطلق عليها الرومان اسم إسبانيا ،وتقع في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من القارة الأوروبية والتي تشكل كل من إسبانيا والبرتغال مساحتها الجغرافية.محمد عبده حتاملة،إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين،ط1، المكتبة الوطنية ،عمان ،1996م،ص67

[6] قرطبة:قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها،تقع على نهر الوادي الكبير وتمتد أحوازها أشبيلية وجيان،وسقطت بيد النصارى سنة 633هـ\1236م،الحميري،المصدر السابق،ص457 459.

[7] بياسة:مدينة كبيرة بالأندلس ممدودة في كورة جيان بينها وبين أبدة فرسخان،الحموي،المصدر السابق،ج1،ص518.

[8] أستجة:تقع جنوب غرب قرطبة وبينهما مرحلة كاملة .الحميري،المصدر السابق،ص53.

[9] ابن خلدون،العبر،ج4،ص232 233.عنان،المرجع السابق،ع4،ص76.

[10] سلا:تقع على ساحل البحر المحيط الأطلسي،وتبعد عن مراكش تسع مراحل (والمرحلة:هي مسير يوم كامل)،وهي مدينة قديمة أزلية،الحميري،المصدر السابق،ص319.مجمع اللغة:المعجم،ج1،ص335

أثار هذا التدخل السلطان المريني، مما جعله يرسل جيش كبير لسلا وحاصرها لمدة ثماني أيام، وشن عليها هجوم بمختلف الأسلحة القاذفة، واجبر ملك قشتالة على الانسحاب منها مساء اليوم الثالث عشر من شوال (21 سبتمبر) من نفس السنة[1].

بعد فشل قشتالة في تحقيق أطماعها على سواحل المغرب الأقصى، انتقلت إلى الأندلس وأصبحت تضايق المسلمين هناك ونخص منهم بني الأحمر بغرناطة، هؤلاء الذين سرعان ما استنجدوا بالمرينيين، وبالفعل أُرسل إليهم جيش مريني تعداده ثلاثة ألاف، مابين فارس وراجل، يقوده ثلاثة من كبار قواد المرينيين[2]، ولقد تمكن هذا الجيش من نصرة المسلمين، والتوغل في الأراضي القشتالية والوصول إلى شريش Jerez عاصمة قشتالة[3]. وردا على ذلك عاودت قشتالة غاراتها على السواحل الغربية للمغرب الأقصى، ولكن هذه المرة على مدينة العرائش[4] وذلك سنة 668هـ\1269م[5].

لقد كان المرينيون يتحينون الفرص للقيام بحملات لإضعاف مملكة قشتالة، فعند معاودة قشتالة مضايقة مسلمي الأندلس وخاصة في غرناطة، واستغاثة ملك بني الأحمر الشيخ محمد بالمرينيين، قاموا بتجهيز حملة حربية من المقاتلين من مختلف القبائل المغربية والعربية، يحملون معهم مختلفة أنواع الأسلحة، وتولى قيادتهم الأمير أبا زيان بن يعقوب بن عبدالحق، وفي صفر سنة 673هـ\1275م عبروا للأندلس، ومن هناك شنوا هجوم على القرى المحيطة بشريش، وغنمت الغنائم ورجعت إلى الجزيرة الخضراء[6].

لقد شجعت نتائج الحملات المرينية على مملكة قشتالة المرينيين على تكثيف ضرباتهم عليها، لذا قاموا بتجهيز جيش كبير من مختلف العناصر القتالية النظامية والمطوعة[7] وجازوا به إلى الأندلس سنة 674هـ\1275م، حيث توجه إلى قرطبة، ثم استولى على حصن بلمه شمال مدينة أستجة على الوادي الكبير[8] متجهين صوب شريش، وفي يوم السبت 15ربيع الأول سنة 674هـ\(7 سبتمبر 1275م)، وعند مدينة أستجة التقى الجيشان المريني والقشتالي، ودارت معركة عنيفة بينهما لقي فيها قائد الجيش القشتالي دون نونيو دى لارا Don Nuno Gonzaloz De Lara مصرعه مع أغلب جنده وفر الباقي، وغنم المرينيون الكثير من الغنائم ثم رجعوا إلى بلاد المغرب[9].

---

[1] ابن عذاري،المصدر السابق، قسم الموحدين،ص418.، 421.

[2] الأمير أبو معرف محمد بن إدريس بن عبدالحق وأخوه الفارس أبو ثابت عامر بن إدريس والحاج التاهرتى.

[3] ابن أبي زرع،الذخيرة،ص98.

[4] العرائش:بها حصن،وهي تقع على شاطئ الأطلسي عند مصب نهر اللوكس جنوبي طنجة.الوزان،المصدر السابق،ج1،ص302.

[5] ابن عذاري،المصدر السابق،ص121.

[6] ابن أبي زرع،القرطاس،ص313.

[7] المطوعة:بتشديد الطاء مفتوحة الواو أو مكسورة:أصلها المتطوعة فقلبت التاء طاء ثم أدغمت التاء في الطاء وأصبحت المطوعة.والمقصود بها الجماعة التي تتطوع للجهاد.البارودي،المرجع السابق ص 208.

[8] الوادي الكبير:أشهر أنهار شبه جزيرة إيبيريا وعليه نشأت أشهر المراكز الحضارية في الأندلس،وخاصة غرناطة الواقعة على أحد روافده وهو نهر شنيل،ينبع الوادي الكبير من سفوح جبال سييرامورينا ويصب في المحيط الأطلسي،الإدريسي،المصدر السابق،ج2،ص561،حتاملة،المرجع السابق،ص80 81.

[9] ابن خلدون،العبر،ج7،ص250.

لم يكتف المرينيون بما حققوه من انتصارات على مملكة قشتالة، لذا قاموا بمعاودة الغزو وبدءوا في استنفار القبائل المغربية والعربية للجهاد، وجهزوا جيش اتجه في نهاية محرم 676هـ\بداية يوليو 1277م من جزيرة طريف إلى الجزيرة الخضراء ثم إلى رندة حيث انضم إليه بني أشقيلولة[1]، ومن بعد توجه الجيش إلى اشبيلية، وعند الوادي الكبير التقى مع الجيش القشتالي بكامل عدته وعتاده، ودارت معركة انتهت بصلح بين الطرفين[2].

من خلال العمليات الحربية التي شنها المرينيون على مملكة قشتالة أدرك القشتاليون خطورة الموقف،لذا اتجهت إلى خطوة غير مسبوقة في علاقتها الحربية مع المرينيين والتي تتمثل في تشكيل حلف من القوي الحربية المجاورة لها ضد المرينيين، حيث شكلت حلف مع مملكة أراجون ومملكة بني الأحمر، ولقد كانت المهمة الحربية للحلف تتمثل في ضرب القواعد المرينية التي تشكل نقاط إمداد للجيش المريني أثناء تواجده في الأندلس، ولقد كانت الجزيرة الخضراء أولى هذه القواعد، ففي شوال 677هـ\فبراير 1279م بدأ الحلف بمحاصر الجزيرة الخضراء، وعند سماع المرينيين بذلك سارعوا إلى تجهيز الأساطيل الحربية بمختلف المدن المغربية، وبالقرب من الجزيرة التقت القوي البحرية المرينية مع نظيرتها للحلف النصراني، ووقعت معركة بحرية عنيفة في 11 ربيع الأول 678هـ\22يوليو 1279م استخدم فيها المرينيون النبال لرمى سفن الأعداء، وانتهت المعركة بمقتل كبير قادة القشتاليين،مما اضطر الحلف إلى فك الحصار عن الجزيرة الخضراء[3].

حاول المرينيون تنويع سياستهم الحربية ضد قشتالة، وتمثل ذلك في استغلالهم الأوضاع الداخلية لها، فعند قيام الأمير سانشو بانقلاب على حكم أبيه ألفونسو العاشر، والذي سانده فيه ملك أراجون بدرو الثالث وملك البرتغال دون ديونيس وملك بني الأحمر محمد الثاني، استنجد الملك المخلوع بالمرينيين لاستعادة عرشه، ولقد اشترطوا عليه أن يُبقى تاجه رهينة مقابل المساعدة، وفي ربيع الثاني سنة 681هـ\يوليو 1286م وجه الجيش المريني ضربة قوية لمملكة قشتالة [4].

بعد وفاة ألفونسو العاشر[5] سنة1284م\683هـ كثف المرينيون من ضرباتهم الحربية على قشتالة، حيث ثم في جمادى الأخر من نفس السنة استنفار القبائل المجاهدة، وتجهيز جيش للتوجه إلى الأندلس، وفي صفر سنة 684هـ\ابريل 1285م انتشرت سرايا الجيش المريني في محيط مدينة شريش، وفي نهاية صفر سنة 684هـ\ابريل 1285م، بدأت العمليات الحربية المرينية، حيث تم غزو اشبيلية وتخريب النواحي المحيطة بشريش وقرمونة Carmoma، والغارة على وادي لك.

---

[1] وهما: أبو إسحاق بن أشقيلولة صاحب قمارش وأبو محمد بن أشقيلولة صاحب مالقة.

[2] ابن خلدون،العبر،ج7،ص261،259. السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص52.

[3] ابن خلدون،العبر،ج7،ص265.البارودي،المرجع السابق،ص121.

[4] ابن خلدون،العبر،ج7،ص270،البارودي،المرجع السابق،ص 122.

[5] ربما كانت هناك نوعا من علاقة الود بين السلطان يعقوب بن عبدالحق وألفونسو العاشر ،وخاصة بعد تقديم المرينيين المساعدة لألفونسو العاشر ضد ابنه سانشو،لذا بمجرد موت ألفونسو اتجه المرينيون إلى شن هجمات على قشتالة.كما أننا لا ننسى أن سانشو كان أكثر حقد من أبيه على المرينيين.

لقد ألحقت هذه الغارات أضرار اقتصادية كبيرة بقشتالة، مما جعل سانشو الرابع يحس بخطورة ما يواجهه، لذا طلب الصلح والذي كانت بنوده مذلة له.

عند تولى يوسف بن يعقوب حكم الدولة المرينية، كانت علاقته مع قشتالة تتميز بالهدوء، ولذلك حاول استغلال هذه الظروف في تسوية النزاع مع بني عبدالواد، غير أن قشتالة بمجرد سماعها بذلك استغلت الظروف في شن هجمات حربية على سواحل الدولة المرينية، مما جعل السلطان المريني يكثف جهوده لصد الخطر القشتالي، وقام بإرسال حملة بقيادة على بن يوسف بن يزكاتن لشن هجمات على نواحي مملكة قشتالة، وأهمها تلك التي استهدفت شريش في ربيع الأخر سنة 690هـ\ابريل 1291م[1].

لقد استاء سانشو الرابع من هجمات المرينيين المتكررة على بلاده، لذا قام بمحالفة ملك أراجون خايمي الثاني Jaime II، وملك بني الأحمر محمد الفقيه. لقد اتفق هذا الحلف على حصار إحدى أهم القواعد البحرية المرينية وهي جزيرة طريف، فقد قامت قشتالة بحصار الجزيرة من جهة البر، أما أراجون فحاصرتها بحرا،أما ابن الأحمر فتعهد بتقديم المساعدات للجيش القشتالي، وفي شوال 691هـ\أكتوبر 1292م وبعد حصار دام ستة أشهر سقطت الجزيرة في يد القشتاليين،.وفي نهاية سنة 692هـ\نوفمبر 1293م تمكنت فرقة مرينية من خمسة ألاف جندي بقيادة الوزير عمر بن السعود بن خرباش الجشمي، تساندها قوى قشتالية مناهضة لملك قشتالة يقودها دون خوان ابن الملك ألفونسو العاشر من استرجاع طريف للدولة المرينية[2].

لقد تصعدت المواجهة الحربية بين الدولة المرينية ومملكة قشتالة في الفترة من 731-759هـ\1331-1358م، وذلك لعدة أسباب منها: سيطرة قشتالة على جبل طارق منذ ربيع الأول سنة 709هـ\سبتمبر 1309م. كذلك تولى حكم الدولة المرينية السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب، والذي عُرف بحبه للجهاد، ومن الأسباب كذلك أن عرش مملكة قشتالة كان عليه الملك ألفونسو الحادي عشر Alfonso XI (1312-1350م) والذي تعتبره المصادر القشتالية من أعظم ملوك قشتالة المعروفين بدعمهم لحركة الاسترداد[3]. لقد كانت بداية المواجهات عند انتهاز السلطان أبو الحسن فرصة تقديم النجدة لملك بني الأحمر محمد بن إسماعيل، ضد هجمات ألفونسو الحادي عشر على غرناطة، وفي اجتماع غرناطي مغربي تم التفاهم على ضرورة تخليص جبل طارق من يد القشتاليين، حتى تصبح المساعدات المرينية في مأمن من خطرهم.

بدأ تجمع سفن الأسطول المريني والقوات الغرناطية، وتوجهت إلى جبل طارق لحصاره، وقامت المجانيق بقذفه مما أدى إلى هدم بعض أبراج قلعته، واستمر حصاره خمسة أشهر تمكنت بعدها القوات المرينية من اقتحامه في 5 شوال سنة 733هـ\19 يونيو 1333م.

---

[1] ابن خلدون،العبر،ج7،ص273-276،284-285.

[2] ابن خلدون،العبر،ج7،ص286.البارودي،المرجع السابق،ص130،131. 132.

[3] A.Huici Miranda :Las Grandes batallas de la recon-quista durante las invasions africanas, Madrid.1956,P332.

وفي سنة 740هـ\1339م، بدأت العمليات الحربية المرينية ضد قشتالة بشكل مباشر وذلك لكسر الطوق الذي يفرضه الحلف النصراني بزعامة قشتالة على مضيق جبل طارق، حيث قام السلطان أبو الحسن بتجهيز أساطيل تجاوزت قطعها المائة سفينة، وولى عليها محمد بن علي العزفي[1]، ثم خرجت من سبته، وأمام الجزيرة الخضراء دارت معركة عنيفة قتل فيها قائد الأسطول الأراجوني وهروب قطعه، في هذه الأثناء أصبح الأسطول القشتالي وحيدا في مواجهة الأسطول المريني، ودارت معركة بحرية بين الطرفين سميت موقعةالمَلَنْد* في 2 شوال 740هـ\ السبت أول ابريل 1340م، استخدم القادة المرينيون فيها دهائهم الحربي، وكان ذلك بشنهم هجوم موحد لكل قطع الأسطول وتحديدا على مركز قيادة الأسطول القشتالي، حيث دُمرت أغلبية قطعه، وما تبقى منه أسر أو هرب. وبعد هذه الهزيمة قام الحلف بإعادة تنظيم صفوفه، وهجم على الأسطول المريني في 7 جمادى الأول سنة 741هـ\30 أكتوبر 1340م انتهت بهزيمة المرينيين. وفي سنة 743هـ\1342م قامت قشتالة بحصار الجزيرة الخضراء،وسيطرت عليها في سنة 744هـ\1344م، كما عقدت في السنة نفسها معاهدة سلام بناء على طلب المرينيين لمدة عشر سنوات[2].

واغلب الظن أن معاهدة السلام لم تسهم في تهدئة توتر العلاقة بين الطرفين ، فقد استغلت قشتالة وفاة السلطان أبا الحسن، ونقضت معاهدة سنة 744هـ\1344م، حيث قامت في جمادى الأول 750هـ\أغسطس 1349م[3] بمحاصرة جبل طارق قرابة ثماني شهور، ونظرا لموت الملك القشتالي انتهى الحصار، مما جعل السلطان أبا عنان يستغل الفرصة ويعيد تحصينه[4].

انتهجت قشتالة سياسة جديدة في علاقتها الحربية مع الدولة المرينية، وكان ذلك متزامنا مع عهد أبا عنان، حيث قامت بتحريض ودعم المعارضة المرينية، لإثارة الفتن ضد الحكم المريني، فمثلا قام ملكها بدرو الأول بتحريض الأمير المريني الواثق بالله محمد أبي الفضل (ابن السلطان أبا الحسن) (788- 789هـ\1386- 1387م) على الثورة، والمطالبة بالعرش، وقدم له الدعم بالأموال، كما وفر له وسائل لنقله لسواحل بلاد المغرب لكي ينتقل إلى بلاد السوس جنوب المغرب الأقصى، وعلى ما يبدو أن أبا عنان كان مرتبا لمثل هذه السياسة، فقد تمكن من تقفي اثر أبي الفضل وقبض عليه وقتله[5].

شهدت العلاقة الحربية مع قشتالة نوعا من الودَّ والصداقة في سنة 759هـ\ 1358م، عند تولى السلطان أبا سالم إبراهيم عرش الدولة المرينية، فقد كان لبدرو الأول دورا بارزا في دعم أبا سالم ماديا ومعنويا للوصول للحكم، وكان ذلك بتقديم المساعدة له عن طريق حمله بالسفن القشتالية إلى ساحل المغرب، وساعده في خوض الحرب هناك، لنيل الحكم الذي أصبح بعد وفاة

---

[1] ابن خلدون،العبر،ج7،ص337- 338،345- 346.البارودي،المرجع السابق،ص142.

* أطلق ابن خلدون عليها هذا الاسم وربما يرجع ذلك لأن القائد البحري للنصارى والذي يسمى الملند قد قتل فيها،ولذا سميت عليه.بخصوص ذلك انظر ابن خلدون،العبر،ج7،ص347- 348.

[2] السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص134- 136. ابن خلدون،العبر،ج7،ص347- 348،ابن الخطيب،اللمحة ،ص95.

[3] البارودي،المرجع السابق،ص135.

[4] محمد بن عبدالله بن محمد المعروف بابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، اعتنى به وراجعه: درويش الجويدي، المكتبة العصرية ، بيروت، 1430هـ\2009م، ج2،ص308. البارودي،المرجع السابق، ص135.ابن الخطيب، اللمحة، ص95.

[5] ابن خلدون،العبر،ج7،ص388- 389.

أبا عنان بيد طفلا قاصر، وبالفعل تمكن في الثلاثاء 12 شعبان 760هـ\9 يوليو 1359م من حكم الدولة المرينية[1]. ومنذ هذه الفترة فالمصادر لا تشير إلى أي علاقات حربية بين الدولة المرينية ومملكة قشتالة.

2 مملكة أراجون:

تعتبر هذه المملكة هي الثانية من حيث القوة في شبه الجزيرة الأيبيرية، وهى تمتد على الجزء الشمالي الشرقي منها، ولها عدة سواحل على البحر المتوسط، وكان يحكمها الملك سانشو الكبير، وبعد وفاته تقاسمها أبنائه الأربعة، ولقد كانت أراجون من نصيب ابنه راميرو Remaro.

بدأت هذه المملكة بالتوسع ففي خلال القرن الثالث عشر الميلادي سيطرت أراجون على مملكة قطلونية والعديد من ممتلكات المسلمين من ولايات شرق الأندلس منها بلنسية[2] Valencia وشاطبة[3] Hatba وجزر البليار ميورقة[4] Maiiorca منورقة Menorca ويابسة.

ومقارنة بمملكة قشتالة لم تكن مملكة أراجون تهتم كثيرا بحركة الاسترداد، وما يهمها هو التوسع على حساب المسلمين بشرق الأندلس فقط. كان اعتماد مملكة أراجون في عملياتها الحربية على الأسطول، بعكس قشتالة التي كانت تولى اهتمام كبير للجيش، لذا سوف نلاحظ أن مساهمتها مع الممالك النصرانية أثناء حروبهم مع المرينيين تتمثل في تقديم المساعدات البحرية.

لم تكن بداية العلاقة الحربية بين المرينيين والأراجونيين متمثلة في صدمات حربية بل كانت كما تشير المصادر الاسبانية إلى أنها كانت عبارة عن مساعدات حربية بين الطرفين، فلقد طلب السلطان يعقوب بن عبدالحق من ملك أراجون خايمي الأول الملقب بالفاتح Jaime I Elconquistador، بعض المساعدات الحربية المتمثلة في قطع من السفن وعناصر من الفرسان الأراجونيين[5] ، للمشاركة في حصار المرينيين لمدينتي سبته وطنجة سنة 672هـ\1273م، ولقد تم تدوين ذلك في معاهدة بين الطرفين في 18 فبراير سنة 673هـ\ 127م، ولقد تعهد المرينيون بدفع 200 ألف قطعة ذهبية لأراجون، وفي حالة استمرار الحصار لمدة أطول يدفع المرينيون نفس المبلغ للمرة الثانية، كما يدفع لكل فارس أراجوني

---

[1] ابن خلدون،العبر،ص402. السلاوي،المصدر السابق ج4،ص211. لقد كان أبا سالم هاربا إلى الأندلس،خوفا من بطش السلطان أبا عنان.انظر نفس المصدرين السابقين والصفحات.

[2] بلنسية:تقع على ضفة بحر الروم شرقا،وتعرف مدينة التراب،وتتصل بها عدة مدن أخرى.الحموي،المصدر السابق،ج1،ص490.

[3] شاطبة:وهي مدينة حسنة وحصينة ،تقع على بعد اثنا عشر ميلا من جزيرة شقر.الإدريسي،المصدر السابق،ج2،ص556.

[4] ميورقة:جزيرة تقع شرقي الأندلس كما تقع بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة.الحموي،المصدر السابق،ج5،ص246.

[5] عدديا كانت هذه المساعدات متمثلة في:عشرة شواني وعشرة أغربه وخمسين مركبا إضافة إلى خمسمائة جندي. البارودي،نفسه،ص 157.

قطعتين من الذهب يوميا، أما قائدهم فيحصل شهريا على مائة قطعة ذهبية[1]. والمهم أن ما ترتب على هذا الحصار هو استسلام أبي القاسم العزفي ودخوله في طاعة المرينيين[2].

عندما زاد نفوذ الدولة المرينية بدأت الممالك النصرانية تفكر في طريقة لكبحها، لذا تم تشكيل حلف نصراني، ولقد تم استدعاء أراجون لتكون ضمنه، وبالطبع وافقت على ذلك من باب واجبها نحو النصرانية، ولقد توجه هذا الحلف لحصار الجزيرة الخضراء، وكانت البداية بهجوم الأسطول الأراجوني عليها سنة 677هـ\1278م، حيث تعرض للهزيمة. وبعد هذه الحادثة بعدة سنوات وتقريبا لنفس الأسباب، أعيد تشكيل حلف نصراني كانت مملكة أراجون من ضمنه، ولقد دخلت بقوة فيه لأن كان على عرشها الملك خايمي الثاني، وهو أكثر تحمس من سابقيه لوقف التوسع المريني، تحركت أساطيل الحلف، وتم حصار جزيرة طريف، وقطع الإمدادات عليها، إلى أن سقطت بيد الأسطول القشتالي المحاصر لها[3]، ونظرا لاستحواذ قشتالة على الجزيرة، خرج الأرجوانيين من الحلف وتوجهوا إلى توطيد علاقتهم بالمرينيين، وذلك بتقديم المساعدات الحربية لهم، والتي تمثلت في حوالي أربع قطع بحرية، وما بين ثلاثمائة وأربعمائة فارس، إضافة إلى فرقة من الرماة، ويدفع رواتبهم السلطان المريني، ومن المرجح أن هؤلاء كانوا تحت قيادة القائد النصراني برنارد سيجى Bernardo Segui [4].

وتعتبر مسودة الرسالة المؤرخة في ذي القعدة سنة 703هـ\1304م، والموجودة بأرشيف التاج الأراجوني، دليل على توطد العلاقة الحربية المرينية مع مملكة أراجون، والتي يظهر فيها السلطان يوسف بن يعقوب رغبته في تقديم المساعدات الحربية لمملكة أراجون خلال نزاعها مع مملكة قشتالة[5]. كما أن هناك بعض الرسائل التي احتوت على طلب مساعدة أراجونية من طرف السلطان يوسف بن يعقوب مثل تلك المؤرخة عقب شهر ذي القعدة سنة 307هـ\5 يوليو 1304م والتي طلبها لغرض حصار حاكم سبتة الذي رفض دفع المبلغ المالي الذي نال بموجبه استقلال ذاتي بحكم سبتة[6].

ومن مظاهر التعاون كذلك قيام السلطان أبو الربيع سليمان بدعوة الممالك النصرانية إلى تشكيل حلف حربي،ضم مملكة أراجون والدولة المرينية ومملكة قشتالة، بهدف تخليص سبتة من سيطرة بني الأحمر في شوال سنة 705هـ\يوليو 1305م، حيث شارك خايمى الثاني (1291- 1327م) بقطع حربية يقوها جاسبير دى كاسطيلنو Jasperte de Castellnou وبالفعل تمكن المرينيون من استعادتها[7]. لم يكن المرينيون هم دائما من يطلب المساعدة الحربية الحربية من النصارى، بل في عهد السلطان أبي سعيد عثمان الثاني المريني وتحديدا في سنة

---

[1] Angeles Masia de Ros.La Carona de Aragon Y Los estados del norte de Africa,Barcelona 1951:P 117.

[2] ابن خلدون ،المصدر السابق،ج7،ص247.السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص83.

[3] ابن خلدون،العبر،ج7،ص285.البارودي،المرجع السابق، ص 158. Andres Gimenez Soler.La Corona de Aragon Y Granada.Barcelona 1980:27.

[4] البارودي،المرجع السابق،ص 159 .P.99-100. Masia.Op.cit..P

[5] البارودي،المرجع السابق،ص 159. Alarcon Y Linares:Las Documentas Arabes diplomstices del Archivo de la corona de Aragon.Madrid-Granada 1946.P P174.

[6] البارودي،المرجع السابق،ص 160 .157-158 Alarcon Y Linares:Op.cit.P P

[7] البارودي،المرجع السابق،ص 161. بالاو مارينوس أريياس :بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة،مجلة تطوان ع 8،سنة 1963م،ص194.عبدالهادي التازي، التاريخ الدبلوماسى للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم،1988م،مج 7،ص127.

723هـ\1323م، طلب الملك الأراجوني خايمي الثاني المساعدة الحربية المرينية لغزو سردينيا[1].

وفي سنة 739هـ\1338م بدأت العلاقات الحربية المرينية الأراجونية تتوتر نتيجة للصراع على مضيق جبل طارق،حيث زادت شكوك الملك الأراجوني بدرو الثاني Pedro IV في نوايا السلطان المريني أبا الحسن، وقيامه بالجهاد ضد النصارى باسبانيا، لذا قام في سنة740هـ\1339م بشن غارة مفاجئة على سبتة. كما قامت مملكة أراجون بمشاركة قشتالة في حصارها للجزيرة الخضراء، مما أدى إلى سقوطها في يد القشتاليين سنة744هـ\1344م[2]. وكذلك شاركت أراجون في حصار جبل طارق حيث ساهمت بأربع سفن حربية[3].

ظهرت محاولات لتوطيد العلاقات الحربية مع أراجون، وذلك زمن السلطان المريني أبا عنان ولكن دون جدوى، وكان ذلك عند عقده اتفاقية مع ملك أراجون كانت مبنية على التعاون الحربي بين الطرفين ضد مملكة قشتالة، وللأسف نقضت أراجون هذه الاتفاقية، عند قيامها بالاستيلاء على سفينة مرينية من نوع قرقورة، وبهذا الخصوص أرسل السلطان أبا عنان وفد إلى ملك أراجون بدرو الرابع لاسترجاعها، ونظرا لعدم موافقة الأراجونيين على ذلك ، قام أبا عنان بتكليف القائد ابن بنج بالغارة على سفينة أراجونية من نوع شيطي، كما استولى القائد المريني أبو العباس احمد بن الخطيب بالاستيلاء على سفينة أراجونية [4].

إن ما سبق ذكره من أحداث لم يقف حائلا دون تحسن العلاقة بين الدولة المرينية ومملكة أراجون، فلقد وُقعت معاهدة تعاون حربي بين الطرفين بمدينة سرقسطة[5] في شعبان 758هـ\1357م، لغرض شن غارات حربية على سواحل مملكة غرناطة ومملكة قشتالة، ولكن سرعان ما توقف هذا التعاون بعد وفاة السلطان أبا عنان سنة 759هـ\1358م[6]. وذلك لتخلي خلفائه عن محالفة أراجون.

3 مملكة البرتغال:

تقع مملكة البرتغال في القسم الغربي من شبه الجزيرة الأيبيرية، وتطل بسواحلها على المحيط الأطلنطي. وهى تمثل ثالث قوة في شبه الجزيرة، ولقد توسعت على حساب أراضى المسلمين المجاورين لها من ناحية الجنوب، مما أدى إلى وقوع صدامات بينها وبين المسلمين، وكان ذلك منذ زمن دولة الموحدين[7].

---

[1] البارودي،المرجع السابق،ص 162 .Alarcon Y Linares:Op.cit.P P.171

[2] البارودي،المرجع السابق، ص 163. Zurita (Jeronimo).Los anales de La Corona de Aragon.Zaragoza 1688 Tomo 2.P243.

[3] البارودي،المرجع السابق،ص 161. Zurita.Ibid Tomo 2.P236

[4] النميري،المصدر السابق،ص101 ،341.

[5] سرقسطة:مدينة كبيرة وقاعدة من قواعد الأندلس على نهر كبير ،وتحيط بها البساتين، واتخذها المسلمين قاعدة من قواعدهم بالأندلس،ثم انتزعها منهم النصارى سنة 502هـ.الحميري،المصدر السابق،ص317.

[6] ابن خلدون،العبر،ج7،ص403.العبادي،دراسات، ص424.

[7] عنان،المرجع السابق،ع 4،ص169.

وكانت البرتغال زمن المرينيين المملكة الوحيدة التي لم تتخذ الطابع الحربي المناوئ للإسلام، واحتفظت بما لديها من حدود[1]، وربما يرجع هذا لقلة حماسها في دعم حركة الاسترداد النصرانية، واستمر هذا الحال طوال الفترة من النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي.

ولقد كان أول احتكاك للبرتغال مع المرينيين بدعوة قشتالية، حيث طلب ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر من صهره الملك البرتغالي ألفونسو الرابع إمداده ببعض السفن الحربية لفك الحصار الذي يضربه المرينيون على مضيق جبل طارق سنة 740هـ\1339م[2].

وبالطبع كان رد المرينيين على التدخل البرتغالي متمثل في شن غارات بحرية على السواحل البرتغالية، وذلك في الفترة ما بين سنة 757 758هـ \1356 1357م، والتي على إثرها أرسل ملك البرتغال يطلب الصلح مع المرينيين، وبالفعل عقد الصلح بين الطرفين[3].

بدأت الدولة المرينية في الفترة ما بعد وفاة السلطان أبا عنان تشهد فترة ضعف واضمحلال، كما كان يقابلها في الجهة البرتغالية نهضة حربية، وخاصة في المجال البحري، الأمر الذي أصبح البرتغاليون بفضله يحكمون سيطرتهم على العديد من القواعد البحرية، والمنافذ التجارية التي تمر بمضيق جبل طارق، ومن أهم هذه المراكز الإستراتيجية مدينة سبتة التي أرسل إليها الملك البرتغالي خوان الأول أسطول يتكون من مائتين وعشرين قطعة حربية، وتمكن من السيطرة عليها.سنة 818هـ\1415م[4]. وبالطبع حاول المرينيون زمن السلطان أبي سعيد عثمان الثالث استعادتها بالهجوم عليها برا ولكن دون فائدة.

كما أرسل البرتغاليون سنة 841هـ\1437م حملة كبير يقودها دون فرناندو ودون هنري للسيطرة على مدينة طنجة، حيث تم مهاجمة المدينة من منفذين برى من ناحية سبته وبحري، ولقد تمكنت المدينة من صد هذا الهجوم، مستعينة بالمساعدات التي أرسلها لها الوزير المريني أبو زكريا يحيى الوطاسي، زمن السلطان الطفل عبدالحق بن أبي سعيد عثمان. ولقد عاود البرتغاليون إرسال حملات في سنة 867هـ و868هـ \1463م و1464م للسيطرة على طنجة، ولكنها فشلت[5]. ومن بعد هذا التاريخ بدأت الدولة المرينية في التلاشي، وقامت على أنقاضها الدولة الوطاسية. وبذلك انقطعت معها العلاقات الحربية مع مملكة البرتغال.

* * *

[1] ماريا فيلومينا لوبيز دي باروس،ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات"الهجرات ونزوح السكان"،ترجمة محمد عبدالغني، مكتبة الإسكندرية ،الإسكندرية،2007م،ص267.

[2] البارودي،المرجع السابق،ص169. Lopez de Ayala:jronicas de los Reyes de oastilla ed .Cayetano Rosell, Madrid, 1953,tomo,1,P309.

[3] النميري،المصدر السابق،ص183.

[4] السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص292. العبادي،دراسات،ص455.

[5] السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص295.العبادي،المرجع السابق،ص458.

الفصل الأول: نظم الجيش:

أولا:عناصر وفرق الجيش وقيادته العسكرية:

1. **عناصر الجيش.**
2. **الفرق الحربية للجيش.**
3. **القيادة العسكرية.**

ثانيا: التنظيمات التعبوية والإدارية للجيش.

1. **: التنظيمات التعبوية.**
2. **:التنظيمات الإدارية.**

ثالثا: عدة الجيش:

1. **:أسلحة**
2. **: زى الجيش.**
3. **الآلات الموسيقية**
4. **:الطبول والمزامير.**
5. **:الألوية والرايات**

أولا: عناصر وفرق الجيش وقيادته الحربية

1 عناصر الجيش:

يتكون الجيش المريني من عدة عناصر لها مهام حربية مختلفة، لذا حاول الباحث وضعها في مجموعتين بناء على هذه المهام:

العناصر القتالية: اهتمت الدولة المرينية اهتماما كبيراً بقوتها الحربية، وذلك من أجل حماية حدودها، والجهاد في سبيل الله.لذا لم يدخر سلاطين بني مرين جهدا في سبيل بناء جيشهم، لذا قاموا بإشراك العديد من العناصر القتالية فيه دون النظر إلى أصلهم ونسبهم.وبالتالي فقد ضم الجيش المريني العديد من لعناصر المقاتلة من قبائل مغربية وعربية وجند غُز وأندلسيين ونصارى.ويمكن تناولها مفصلة فيما يلي:

القبائل المغربية : وهى أولى العناصر القتالية التي انضمت للجيش المريني، ولقد عرفت هذه القبائل بصبرها،وشدة بأسها في الحروب[1].وضمت داخلها العديد من القبائل، أشهرها قبائل زناتة المعروفة بمهارتها في القتال[2]، وتنقسم زناتة إلى قبائل منها: بني مرين [3]، وبني يرنان[4] ـ القاطنين بملوية من المغرب الأقصى مابين سجلماسة وأكرسيف[5] ـ[6]، وبني وطاس، وبني عسكر، وبني أتكاسن، وبني فودود[7]، وبني راشد، وبني توجين، وبني سدويكش وغيرهم من قبائل مغراوة، وبني عبدالواد.

جاء انضمام قبائل زناتة إلى الجيش المريني نتيجة لعدة عوامل منها: الصراعات القبلية كالصراع القائم بين قبائل بني كمي[8] وأبناء عمومتهم من بني عبدالواد. وترتب عن ذلك حروب عديدة، أدت إلى مقتل زعيم بني كمى أبا عبدالله كندوز على يد يغمراسن بن زيان، ورحيل بنو كمي إلى المغرب الأقصى. ولكي ينتقموا من بني عبدالواد، دخلوا في خدمة المرينيين وانضموا إلى صفوف جيشهم. غير أنهم لم يستمروا طويلا في خدمة الجيش المريني، وذلك بشقهم عصا الطاعة عن المرينيين بسبب حصارهم لتلمسان، ورحلوا إلى حاحه سنة 703 هـ \1303م، وقام المرينيون بتعقبهم وألزموهم بالطاعة وعادوا مجدداً في خدمة الجيش المريني[9].

كما أن معاملة المرينيين الحسنة لمن ينتصروا عليه من القبائل زاد من انضمام القبائل الزناتية إليهم، ونخص بالذكر بني عبدالواد، فعقب استيلاء المرينيون على تلمسان سنة 737هـ

---

[1] الحسن بن عبدالله بن محمد العباسي،أثار الأول في ترتيب الدول،مخطوط،(ميكرو فيلم 1551)،القاهرة،دار الكتب والوثائق القومية،باب الخلق ،ورقة 290.

[2] العمري، مسالك الأبصار، ـ الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وأفريقيا،تحقيق:محمد عبدالقادر خريسات آخرون، ج4،مركز زايد للتراث،2001م ،ص109.

[3] النميري،المصدر السابق،ص366.

[4] ابن الخطيب،نفاضة الجراب،موقع المصطفى،ص146

[5] أكرسيف:مدينة صغيرة بالمغرب الأوسط، بينها وبين فاس خمسة أيام، وبينها وبين تلمسان خمسة أيام.الحموي، المصدر السابق، ج1، ص239.

[6] ابن خلدون ،العبر، ج7،ص66.

[7] العمري،المصدر السابق،ج4،ص108 109.

[8] وبني كمي،هؤلاء الذين كانت زعامتهم خلال فترة حكم السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق(656 685هـ/1256 1258م) لشخص يدعى عبدالله بن كندوز وابنه عمر من بعده. ابن خلدون ،العبرج7،ص305.

[9] ابن خلدون ،العبرج7،ص305.

\1337م[1]، قاموا بالإعفاء عن بني عبدالواد، وإثباتهم في الديوان، وخصصوا لهم نصيبا من العطاء وجعلوا لهم قيادة منهم على راياتهم، مما جعلهم يخلصوا لهم، ويتفانوا في خدمتهم[2].

كانت قبائل زناتة إحدى مكونات الجيش المريني في عدة أحداث منها حصار مدينة تلمسان سنة 670هـ\1271م[3]. وحروب المرينيين بالأندلس، ونذكر منها تلك الحامية الزناتية التي أرسلها يعقوب بن عبدالحق سنة 674هـ\1275م إلى ملك بني الأحمر محمد بن نصر الغالب بالله، لمساندته في صد الخطر القشتالي بقيادة ألفونسو العاشر، وبالفعل وصلت المساعدات المرينية وقامت بمهام قتالية على أكمل وجه. كما شكل المرينيون من هذه القبائل حامية كانت ترسل في مهمات خاصة، كالتي جهزها يعقوب بن عبدالحق سنة703هـ\1303م وبلغ تعدادها خمسمائة من الفرسان ورافقت موكب الحج المتجه للمشرق. كما شكل منهم السلطان أبا الحسن فرق عسكرية، ووزعها على بعض المناطق الثغورية بهدف حمايتها، فمثلا أنزل منهم فرق بجنوب وشمال المغرب الأقصى عند السوس الأقصى وبلاد غمارة، كما أرسل بعض العناصر الزناتية من بني عبدالواد للأندلس للمرابطة بها، والمدافعة عنها ضد خطر النصارى. وكذلك شاركت القبائل الزناتية في غزو المرينيين لإفريقية سنة 748هـ\1347م[4]. ولم يكتف المرينيون بالاستعانة بالقبائل الزناتية فقط، بل استعانوا كذلك بالعديد من القبائل المغربية.

ومن هذه القبائل تلك التي سكنت شمال المغرب الأقصى (إقليم الريف[5]) مثل قبائل مكناسة، وبعض قبائل صنهاجة، وقبائل مصمودة (غمارة، هسكورة، برغواطة)، والتي ساهمت في بناء الفرق المترجلة داخل الجيش المريني[6]، وكذلك نذكر بعض قبائل أوربة مثل: قبيلة سطّة القاطنة القاطنة بنواحي فاس، ومنه أشهر أعلامها الفقيه سليمان بن محمد السطّي أحد المرافقين للسلطان أبي الحسن في حملته إلى إفريقية سنة 748هـ\1347م[7].

بدأ انضمام تلك القبائل للجيش المريني منذ سنة 635هـ\1237م[8]، وبدأت تظهر مشاركتهم الحربية بوضوح في عهد يعقوب بن عبدالحق نتيجة لتوسع العمليات الحربية لجيوشه، فقد شاركوا معه في حملاته على المغرب الأوسط (تلمسان) سنة 670هـ \1271م[9]، كما كان لهم لهم دور بارز أثناء ذهابه للجهاد بالأندلس سنة 676هـ\1277م[10]، وسنة 684هـ\1285م، وكذلك شاركوا مع حفيده الأمير عمر بن عبدالواحد في حملته على مملكة قشتالة التي استهدفت نواحي شريش، كما شكل منهم المرينيين فرق لحماية المراكز المرينية المهمة، فمثلا كانت منهم

---

[1] العمري ،المصدر السابق،ج4،ص82.
[2] ابن خلدون ،العبر،ج7 ،ص342.
[3] السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص36.
[4] ابن خلدون ،العبر،ج7، ص299،254 ،342.
[5] إقليم الريف:يبدأ من تخوم مضيق جبل طارق،ويمتد شرقا إلى نهر نكور،أي على مسافة مائة وأربعين ميلا،وينتهي شمالا عند البحر المتوسط،ثم يميل جنوبا على نحو أربعين ميلا ليصل حتى فاس.الوزان،المصدر السابق،ج1،324.
[6] إسماعيل: محمد محمد احمد، ثورات العرب والبربر واليهود، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،2008م، ص90،88،83
[7] ابن خلدون ،العبرج7،ص518.
[8] ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق،قسم الموحدين،ص353 .
[9] ابن خلدون ،العبرج7،ص244.
[10] أبن أبي زرع،القرطاس،ص377،323. السلاوي ،المصدر السابق،ج4،ص35.

فرقة مترجلة ترابط بجبل الفتح، إضافة لذلك كانوا يشاركوا في الأحداث السياسية داخل الدولة المرينية، فلقد ساندت هذه القبائل أثناء تواجدها بجبل الفتح السلطان أبى سالم عند محاولته الظفر بالحكم المريني.

لم تكن كل القبائل المغربية نظامية، بل كان منها ما يطلق عليه المطوعة، وهي التي خصص لها عطاء عقب انتهاء القتال، وبعد أن تنتهي مهمتها تعود إلى موطنها الأصلي، ولقد استخدمها يعقوب بن عبدالحق سنة 684هـ\1285م، كمدد للجيش المريني بالأندلس[1].

لقد تمكن المرينيون من توحيد تلك القبائل تحت رايتهم، وصرفوا نظرهم عن الصراعات القبلية، ونظموهم في فرق عسكرية، واستفادوا من مهاراتهم الحربية، ووظفوها في خدمة أعمالهم الحربية.

القبائل العربية: انتقلت هذه القبائل إلى بلاد المغرب منذ الغزوة الهلالية في منتصف القرن الخامس الهجري. وقد عرفت بالشجاعة وإجادة ركوب الخيل والرماية بالرمح والقوس العربية، كما كان لهم خبرة بفنون القتال وخاصة الكر والفر في ميادين القتال[2]، ذلك الأسلوب الذي يعتمد يعتمد على خفة الحركة وسرعتها ومباغتة الأعداء[3]،[4] كما أنهم عرفوا بعدم قناعتهم بالخضوع بالخضوع لأي سلطة غير سلطة شيخ القبيلة، وقناعتهم هذه جعلت منهم مصدر قلق ومتاعب للسلطة الشرعية بالمغرب، بيدا أن هذا لا يعنى أنهم كانوا دائما مصدر قلق لها، بل كانت هناك فترات من التفاهم والهدوء.

لعبت هذه القبائل دورا مهما ببلاد المغرب في عدة نواحي منها: مساهمتها في توازن القوى بالمنطقة، وذلك من خلال مشاركتها في الصراعات بين دويلاته، فلقد شاركت في الصراع الموحدي المريني، وبمجرد سقوط دولة الموحدين انضمت إلى صفوف المرينيين، وأصبحت تساهم في بناء الجيش المريني[5]، كما أنها كانت من ضمن العناصر القتالية التي ساهمت في ظهور فن القتال القائم على الكر والفر داخل الجيش المريني[6]، وإضافة لذلك ونظرا لطبيعة حياتهم المتنقلة والقائمة على امتطاء صهوات الخيول استخدموا العديد من الأسلحة الخفيفة التي أصبح شائعا استعمالها عند المرينيين[7]، لقد أدرك سلاطين بني مرين أهمية تلك القبائل، لذا أولوها اهتمام كبير، ويعد يعقوب بن عبدالحق من ابرز هؤلاء السلاطين، فهو الذي ادخلها ضمن الجيش، ودفع بها إلى ساحات للقتال، وأصبحت هذه القبائل من ابرز عناصر الجيش

---

[1] ابن خلدون ،العبر،ج7،ص404، 274.أبن أبي زرع ،المصدر السابق ،ص304، 309.

[2] الحسن بن عبدالله،المصدر السابق،ص288.

[3]ألفارو سولر دل كامبو، ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات "الأسلحة المحمولة والأسلحة النارية في الأندلس في القرن الرابع عشر بمتحف مدريد الحربي، ترجمة إسحاق عبيد،الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2007م، ص143.

[4] ومن المرجح أن تلك الغارات المتكررة التي شنها المرينيون على أملاك ممالك النصارى كما حدث في مدينة شريش ،قد استخدم فيها هذا الأسلوب.

[5] محمد المنوني،ورقات،ص 99.

[6] ابن خلدون ،العبرج1،ص335.

[7] أبوضيف: مصطفى،أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين،دار النشر المغربية،الدار البيضاء،1983م.ص285.

المريني. ونعتقد إنه لم يكن ينقصها إلا التنظيم، أما الشجاعة وفن القتال فقد جاءت بهما، ولقد أشاد بذلك ابن الخطيب في قصيدة طويلة أوردها صاحب الاستقصاء[1] .

أصبحت القبائل العربية من أهم العناصر المقاتلة داخل الجيش المريني، فبجهودها تمكن المرينيون من التوسع تجاه المغرب الأوسط، واستولوا على تلمسان سنة 670هـ \1271م[2]، كما كان لهم دورا في الجهاد بالأندلس سنة 674هـ\1275م[3]، كما استخدمهم السلطان أبا الحسن كفرق عسكرية ترافق الوفود التي كان يرسلها إلى مالى والسودان، مثل عرب المعّقل الذين أرسلهم السلطان لتأمين سلامة الوفد الذي أرسله إلى ملك مالى منسا موسي وابنه سليمان من بعده[4].

لقد تعددت هذه القبائل داخل الجيش المريني ومن أهمها: قبائل جشم التي استقرت في الجزء الجنوبي الغربي من المغرب الأقصى عند تادلا وتامسنا. والتي منها:(بني جابر، والخلط، وسفيان، والعاصم)[5]، وقبائل الأثبج ومنها: (العاصم والمقدم) [6]، وذوى حسان المقيمين بالجزء الجنوبي للمغرب الأقصى عند السوس الأقصى[7]، وقبائل رياح بالجزء الشمالي بالمغرب الأقصى عند أزغار والهبط[8]،[9]، هذه القبائل التي عُرفت بقوتها وشجاعتها وإجادتهم تربية الخيول، وهذا بالطبع جعل لها مكانة ودور في الجيش المريني[10]، وعرب سويد[11] الذين انضموا إلى بني مرين في عهد السلطان أبي عنان، وكذلك أولاد مهلهل[12]

حرص المرينيون على أن تكون قيادة هذه القبائل من نفس أصولها، وهذا ساهم في تعدد القادة العرب داخل الجيش المريني، ومن أشهرهم: يوسف بن قيطون قائد قبائل بني جابر[13]، وعياد بن أبى عياد العاصمي قائد بني العاصم[14] ، والقائد ونزمار بن عريف السويدي قائد بني سويد.

---

[1] السلاوي ،ج4 ،ص218

[2] ابن خلدون،العبر،ج7،ص244.

[3] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص448.السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص45.

[4] ابن خلدون ،العبرج7، ص353.

[5] ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص341،304 . ابن الخطيب ،نفاضة،ص136.

[6] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص448.

[7] السوس الأقصى:إقليم واسع خصب يقع في جنوب مدينة مراكش وراء جبال أطلس،يحده من الغرب المحيط الأطلسي،كما يتخلله من الشرق واد عظيم يسمى وادي سوس.وينقسم هذا الإقليم إلى قسمين :السوس الأقصى وهو الجزء الممتد من جبال أطلس حتى الصحراء جنوبا،والسوس الأدنى ويقع في شمال السوس الأقصى.،ومن أشهر مدن السوس الأقصى مدينة نول وبها تقطن قبيلة لمطة التي تشتهر بإنتاج الدرق اللمطية.مؤلف مجهول،الاستبصار،ص213 214.الإدريسي،المصدر السابق،ج1،ص221.

[8] الهبط:يقصد بها المنطقة التي تقع في شمال عرباوة والقصر الكبير في شمال المملكة المغربية.العبادي،دراسات،ص هامش205.

[9] ابن خلدون ،العبر،ج6،ص91، 79.ج 7 ،ص217.

[10] محمد إسماعيل،المرجع السابق،ص56

[11] العمري،المصدر السابق،ج4،ص109.

[12] ابن خلدون،العبر، ج6 ،ص63،ج7،ص190، 319 - 324 . 212. 246

[13] السلاوي،المصدر السابق،ج4، ص62.

[14] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص448.

وأخيرا لم تكن كل القبائل العربية من العناصر النظامية في الجيش المريني، بل كان منها المطوعة[1].

عناصر الأندلسيين: دخلت هذه العناصر لبلاد المغرب منذ فتره مبكرة للدولة المرينية. وكان ذلك لعدة أسباب منها الضغط المسيحي على بلادهم، والاضطهاد والطرد الذي لقوه من ولاة أمرهم، مثل ما حدث في عهد الحكم الأول (180- 202 هـ\796- 822م)، أو الدخول كمرتزقة يعملون ضمن الجيوش المغربية بمقابل من اجل كسب العيش.

أصبحت هذه العناصر تنخرط ضمن الجيوش المغربية وتلعب دورا فيها منذ دولة المرابطين التي اشتمل جيشها على فرقا منهم كما ضمت جيوش دولة الموحدين نفس هذه العناصر[2]، والتي والتي شاركت في حروبهم ضد المرينيين[3]. أما دخول الأندلسيون ضمن الجيوش المرينية فكان فكان ذلك عقب سقوط دولة الموحدين سنة 668هـ\1269م، حيث أصبحت تشكل أهم الفرق النظامية داخل الجيش المريني، مثل فرقة الفرسان التي تميزت بخيولها التي تكسوها البراقع بديعة الجمال، وتحمل الأجراس[4]،وفرقة رماة الرجّل أو كما أطلقعليهم ابن الخطيب رِجّل الأندلسيين[5]، ولقد كان موقع هذه الفرقة يأتي خلف فرقة الفرسان الأندلسيين، لقد تميزت العناصر الأندلسية بلبس ثياب عن البدن تسمي القباء[6]، ووضعوا فوق رؤوسهم العصابة التي تسمى بالرتافيل[7]، ومن الأسلحة حملوا العصي والنبال والأقواس العربية، ولقد شاركوا في الحملات المرينية، وأهمها تلك الحملة التي قادها أبا عنان سنة 758هـ\1356م صوب قسنطينة[8].

عناصر النصارى: دخلت هذه العناصر إلى بلاد المغرب منذ زمن المرابطين والموحدين، ويعد وجودهم بكثرة داخل المدن المغربية مثل فاس، ومراكش، ومكناسة[9] دليلا على اعتماد المرابطين والموحدين عليهم بشكل كبير وخاصة في الجانب الحربي، ولقد دخلت هذه العناصر لبلاد المغرب بعدة طرق منها كعناصر مقاتلة أو اسري حروب. وأيا كانت الطريقة فقد استغل المرابطون والموحدون هذه العناصر وقاموا بتجنيدها، وشكلوا منها فرق حربية داخل الجيش، كما أنهم استفادوا من فنونها القتالية[10]، كالضرب بالسيف والرمي بالقوس الإفرنجية[11]، وأسلوب

---

[1] ابن خلدون ،العبر،ج6 ،ص63،ج7،ص190، 319 - 324 . 212. 246
[2] القلقشندى،المصدر السابق،ج5،ص203.
[3] ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص395.
[4] النميري،المصدر السابق،ص225
[5] ابن الخطيب،نفاضة ،ص136.
[6] سوف يتم تناول هذا النوع من اللباس عند الحديث عن زى الجند.
[7]مفردها رُتْفُل،وهي في الأندلس نوع من العصابة. دوزي،تكملة المعاجم العربية،ترجمة:محمد سليم النعيمي،منشورات وزارة الثقافة والإعلام،1982م،ج5،ص88.
[8] النميري،المصدر السابق،ص225،224. 72.
[9] الغنيمي: عبدالفتاح مقلد،موسوعة المغرب العربي،1994م،ص268.
[10] ابن أبي زرع،المصدر السابق ،ص300.الحريري: محمد عيسى،المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط2،دار القلم،1987م،هامش ص92 ولمزيد من المعلومات انظر ابن عذارى ،المصدر السابق،قسم الموحدين ،ص16.
[11] الحسن بن عبدالله،المصدر السابق،ورقه 289.

القتال القائم على الثبات في الزحف عند القتال[1]؛ هذا الأسلوب الذي كان أكثر جدوه من أسلوب الكر والفر المعروف ببلاد المغرب.

أما عن بداية دخولهم في خدمة الجيش المريني، فكان ذلك مبكرا، منذ عهد الأمير المريني أبا بكر بن عبد الحق عندما انضمت إليه فرقة من النصارى كانت تابعة للموحدين، وذلك عقب هزيمتهم بتلمسان على يد المرينيين سنة 646هـ\1248م ، كما زاد انضمامهم للجيش المريني في فترات لاحقة، ففي عهد السلطان يعقوب بن عبدالحق وتحديدا بعد سيطرت المرينيون على مدينة سلا من أيدي نصارى قشتالة سنة 658هـ \1260م، انضمت إليه فرقة من النصارى القشتاليين بقيادة قزمان Guzman نتيجة لتوتر علاقتهم مع ملكهم ألفونسو العاشر[2]، بالطبع فرح السلطان بقدومهم، وهذا ما نفهمه من دييكو طريس عند قوله: "وأستقبل هذا النبيل الذي كان مقداما استقبالا حسنا من طرف الأمير الذي كان يحكم آنذاك، وأمر بإسكانه في فاس الجديدة، وأحبه كثيرا حتى أنه كان لا يخرج للصيد ولا يقصد أي مكان دون أن يصطحبه معه"[3]. وهذا مؤشر على أن انضمام النصارى جاء عن رغبة منهم. بعد اختبار المرينيين لهم أدركوا كفاءتهم القتالية، وأصبح سلاطين بني مرين يسعوا وراء جلب هذه العناصر المقاتلة، فقد قام المرينيون بجلب عدد كبير من النصارى من مراكش عقب انهيار دولة الموحدين، وأدخلوهم كعناصر مقاتلة ضمن جيشهم[4]، كما قام السلطان يعقوب بن عبدالحق عند محاولة الاستيلاء على سبتة باستئجار فرقة مقاتلة من مملكة أراجون[5]، وقد سار ابنه يوسف على نهجه ففي سنة 703 هـ\1303م، استأجر فرقة مقاتلة من أراجون للخدمة في الجيش مقابل عشرة آلف دينار ذهبي[6].

أما عن ابرز مهامهم الحربية، والأحداث التي شاركوا فيها داخل الجيش المريني، فيمكن القول أن لهذه العناصر مهام متنوعة، فنجدهم تارة يشكلون فرقة من فرق الحرس الخاص للسلطان المريني[7]، وتارة أخري نجد منهم سفراء إلى ملوك أسبانيا، وكثيرا ما نجدهم ضمن العناصر المقاتلة في ميادين القتال. أما عن أهم الأحداث التي شاركوا فيها نذكر منها حروب المرينيين على تلمسان سنة 670هـ\1271 م[8] ، وسنة 760هـ\1359م، وسنة 786هـ\1384م[9]، كما شاركوا في القضاء على بعض الثورات التي هددت الحكم المريني مثل مثل ثورتي الأميرين المرينيين يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد الحق وعثمان بن أبى

---

[1] ابن خلدون ،العبرج1،ص338.
[2] ابن عذارى،قسم الموحدين ،ص422. ألماني(خوسى)،(الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة)،ترجمة احمد مدينة،دعوة الحق،ماي 1978م، ص40.
[3] دييكو دي طريس تاريخ الشرفاء،ترجمة إلى العربية:محمد حجي،محمد الأخضر،الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،الدار البيضاء،1980م، ص147.
[4] حركات: إبراهيم،الحياة الدينية في عهد بني مرين،دعوة الحق،ع2،السنة 7،جمادى الثاني\نوفمبر 1383 هـ\1963م،ص11.
[5] دندش:عصمت، الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطي،(ندوة الارتزاق المسيحي في الدولة المرينية)،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،1995م، ص121.
[6] ابن خلدون ،العبر،ج7،ص237.
[7] إبراهيم حركات،المغرب عبر التاريخ،ج2، 2000م ،ص113
[8] عصمت دندش، المرجع السابق، ص121.ص135.
[9] ابن خلدون ،العبر،ج7، ص244. 350.

العلاء ضد السلطان يوسف بن يعقوب[1] سنة 707هـ\1307م[2]. مما سبق نفهم أن المرينيين اعتمدوا على هذه العناصر في العديد من المراكز والمهام الحساسة في دولتهم.

إن سماحة الإسلام من ناحية وتفانى النصارى في خدمة المرينيين من ناحية أخري،كل ذلك جعل النصارى يلاقوا معاملة حسنة، فقد كان لهذه الفئة المقاتلة حرية العبادة، وكان لهم أمين وقسيس، كما كانت لهم كنيسة لممارسة طقوسهم الدينية[3]، إضافة إلى إسكانهم في حي خاص بهم في مدينة فاس وهو حي الملاح [4]. كما انه كان يقودهم قادة نصارى،ومن أبرزهم شريد الفرنجي[5]. وقزمان (Guzman) وجونثاليت(Gonzalez).

إن تلك الثقة والمعاملة جعلت هذه العناصر تتدخل في العديد من الأحداث السياسية التي أثرت في الحكم المريني ومنها: تنفيذ الاغتيالات لشخصيات مرينية مهمة، وكان ذلك يتم بإيعاز من بعض سلاطين بني مرين[6]، كما فعل السلطان أبو الربيع سليمان عندما أمر قائد جنده النصارى النصارى جونثاليت(Gonzalez) بقتل وزيره وصاحب علامته عبدالله بن أبى مدين. وكذلك ما أوعز به الأمير المريني أبو الفضل بن السلطان أبى سالم لقائد الجند النصراني باغتيال منافسه على الحكم الأمير عبد المؤمن بن على بن أبى سعيد عثمان الثاني[7]. وإضافة إلى ما سبق شاركوا في ثورات المرينيين المعارضين لسلاطين بني مرين، مثل مشاركة الفرسان القطلانيون العاملون في الجيش المريني في ثورة الأمير أبى علي[8] على حكم والده السلطان أبى أبى سعيد عثمان الثاني، وكذلك مساندة القائد النصراني جونثاليت لثورة الوزير المريني عبدالرحمن بن يعقوب الوطاسي وابن رحو على السلطان أبى ربيع سليمان في ربيع الأخر عام 710هـ\سبتمبر 1310م[9].

عناصر الغُز: هم من قبائل تركية**[10]**، عاشت بسهول أواسط أسيا، وكان لهم لحى يضفرونها مثل شعر النساء**[11]**، كما تميزوا بفنون قتالية في الفروسية والطعن والضرب أما الرماية**[12]** فلا يكاد يفوقهم احد فيها، وخاصة لو كانت بالقوس العربية، فقد بلغ ما قيل عنهم في هذا الشأن أنهم يرمون كرة في الهواء، فلا تقع إلا وقد أصابوها**[13]**. ولعل مهارتهم هذه هي ما جعلت مصر

---

[1] يقول التيجانى إن هذا السلطان قتل على يد احد أعلاجه أو فتيانه،لذا لا نستبعد أن من قام بهذا العمل هو احد المقربين إليه من النصارى.التيجانى:أبو محمد عبدالله بن محمد بن احمد ،رحلة التجاني،قدم لها:حسن حسنى عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب ،ليبيا- تونس، ،1981م،ص197.

[2] ابن خلدون ،العبر،ج7،ص237.

[3] العربي: الصديق،طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب،مجلة تطوان،ع1، 1965م،ص155.

[4] الحريري،المرجع السابق، ص318

[5] السلاوي،المصدر السابق،ج4، ص20.

[6] ابن أبي زرع، القرطاس،ص520.

[7] ابن خلدون ،العبرج7،ص239،.285 .،384.

[8] انضموا إلى جانب الأمير أبى علي نظرا لان قائدهم كان له قرابة بالأمير أبى علي.

[9] ابن خلدون ،العبر،ج7 ،ص239،.285 .

[10] ابن خلدون ،العبر،ج1،ص95. دوزي،المصدر السابق،ج7 ،ص403.

[11] الزهري:أبي عبدالله محمد بن أبي بكر،كتاب الجغرافيا،تحقيق:محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،ص61.

[12] ابن منكلى: محمد، الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر،مخطوط(ميكروفيلم)،دار الكتب الوثائق القومية،رقم 10463،باب الخلق،القاهرة ،ورقه201.

[13] الزهري،المصدر السابق،ص61.

تستخدمهم كعناصر قتالية زمن الفاطميين في مصر (358 -567هـ \969 -1171م والأيوبيين 567 -648هـ\1171 -1250م[1]، ونظرا لتفانيهم في خدمة الأيوبيين كسبوا ثقتهم وتدرجوا في مناصب الجيش حتى تولوا شؤون مصر أيام صلاح الدين الأيوبي، وترأسهم أحد اكبر شخصياتهم وهو أبو سعيد قراقوش بن عبدالله[2]، وانطلاقا من مصر اتجه الغز نحو افريقية ومنها إلى بلاد المغرب.

كان بداية دخولهم إلى بلاد المغرب، زمن أمير المؤمنين يعقوب بن يوسف الموحدي (554 -595هـ\1160 -1199م)، عندما خرجوا من مصر عام 568هـ\1172م صحبة قراقوش ووصلوا إلى جبال نفوسه[3]، ودخلوا دولة الموحدين وانضموا إلى عناصرها المقاتلة[4].

أما عن انضمامهم لصفوف الجيش المريني، فكان مبكرا وبعدة طرق، فمنها ما كان عقب هزيمة جيش الموحدين سنة 646هـ\1248م بتلمسان على يد المرينيين[5]، حيث لم يجد الغز حيلة إلا الدخول في طاعة الدولة المرينية، والبعض منهم جاء على شكل هدايا مثل تلك الهدية التي بعث بها ملك مماليك مصر الناصر محمد بن قلاوون [6]738هـ\ 1338م إلى السلطان يوسف بن يعقوب، والتي اشتملت على خمسة من الغز الرماة مسلحين بالأقواس، والبعض منهم دخلوا على هيئة مساعدات حربية، وهذا ما نفهمه من العتاب الذي أرسله السلطان يوسف بن يعقوب إلى الملك الناصر بقوله: "أما المماليك الرماة فقد افتتحنا بهم أشبيلية وصرفناهم إليك". لقد استفاد المرينيون من تلك العناصر، وذلك بأن شكلوا منهم فرق مقاتلة مثل:فرقة الرماة[7]، والحرس الخاص[8]. وأصبحوا كغيرهم من العناصر المرينية، لا يميزهم عليهم سوى ما وصفهم وصفهم به صاحب فيض العباب في قوله: "يحمل قواد العناصر التركية طبنخالات[9] تحفظ نظامهم الشرقي ومزامير هائلة مما عرفوا به الملك المصري.وبأعلى أعلامهم الشعر الذي جعلوه شعارا"[10].

ساهم الغز في حروب المرينيين ببلاد المغرب وخارجها، فقد كانوا ضمن عناصر جيش الأمير عمر بن أبي بكر بن عبدالحق عند وقوفه ضد بيعة عمه يعقوب بن عبدالحق سنة (656هـ\1258 م)، كما شاركوا مع السلطان يعقوب بن عبدالحق في حربه ضد يغمراسن بن

---

[1] الغنيمي،المرجع السابق،ج3،ص267- 268

[2] ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق :إحسان عباس،ج4،دار صادر ،بيروت ،ص91.

[3] وهي تقع على بعد ثلاثين ميلا من جربة وصفاقس ،تتميز ببرودتها، وسكانها شجعان،يسافرون إلى تونس وضواحيها لكسب لقمة العيش. الوزان ،المرجع السابق،ج2، ص105.

[4] ابن عذارى،المصدر السابق،قسم الموحدين،ص189، 191.

[5] ابن أبي زرع، الذخيرة ،ص72.

[6] يجدر الإشارة إلى انه حكم ثلاث فترات متقطعة وهي 693 -694هـ/ 1293- 1294م، ومن 698- 708هـ / 1299- 1309م ومن 709- 741هـ 1309- 1341 م

[7] ابن خلدون،العبر،ج7،ص300، 301 .

[8] حركات،المرجع السابق،ج2،ص133.

[9] هكذا وردت عند النميري ،والصحيح طبلخانات لأنها لفظ مركب من طبل العربية وهي آلة موسيقية معروفة ينقر عليها،وخانة الفارسية تعنى البيت، وتطور المصطلح حتي أصبحت يعنى رتبة عسكرية في الجيش المملوكي تشكل من أمراء لهم امتيازات خاصة،ولكل منهم طبل يدق أمام بيته يلقب طبلخاناه.مصطفي عبدالكريم الخطيب،معجم المصطلحات والألقاب التاريخية،ط1،مؤسسة الرسالة،بيروت،1996م، ص45.

[10] النميري،المصدر السابق، ص223.

زيان يتلمسان سنة 670هـ\1271م[1] .وكذلك كان لهم دور كبير في مساندة السلطان المريني تاشفين بن أبي الحسن ضد الأمير عبد الحليم المطالب بالحكم المريني[2]. كما شاركوا سنة 682هـ\1283م في حروب بني مرين بالأندلس في اشبيلية وقرمونة وأستجة وجبال الشرف، وأخيرا فقد اشتهر العديد من قادة الغز داخل الجيش المريني ومنهم الخضر الغزي[3].

عناصر العبيد السودان: سكن هؤلاء مالى وبلاد السودان[4]، وتميزوا بشجاعتهم وقوتهم وخبرتهم في القتال[5]. كان دخولهم إلى بلاد المغرب في فترة مبكرة زمن دولة المرابطين، حيث حيث كان يتم الحصول عليهم أما بالشراء أو الأسر[6]، وعقب سقوط دولة المرابطون انتقلت أعداد كبيرة منهم إلى خدمة دولة الموحدين ضمن عناصر وفرق الجيش الموحدي، وأسندت إليهم العديد من المهام العسكرية.

أما عن بداية دخول هذه العناصر في خدمة الدولة المرينية، فمن المحتمل أنهم استجلبوا من بلادهم نتيجة لاتفاقيات بين الدولة المرينية ومالى وبلاد السودان، وخاصة أن عهد السلطان أبا الحسن شهد تطور العلاقات مع ملوكهم منسا موسى ملك مالى (707- 733هـ \1307- 1332 م) وابنه منسا سليمان (737- 760هـ\1336- 1358م)[7]، كما أن رحلة ابن بطوطة أشارت لمواطن بعض هذه العلاقة زمن السلطان أبا عنان ومنسا سليمان[8]. لقد حرص مالى والسودان على إبقاء علاقتهم مع المرينيين ففي سنة 762هـ\1360م قام ملك مالى جاطة[9] بن منسا مغا أو سنديانا الثاني (762- 776هـ\1360- 1374م) بإرسال وفد رفيع مع هدايا فاخرة إلى السلطان المريني أبي سالم إبراهيم. إن ذلك دليلا على انه كانت هناك مصالح متبادلة بين الطرفيين كانت المصالح الحربية من ضمنها وخاصة جلب العناصر المقاتلة السودانية، وما يشجعنا على قول ذلك أن عناصر السودان استخدمهم المرابطون والموحدون، كما أن بني الأحمر بالأندلس استخدموهم في جيوشهم[10]، وبالتالي فمن المؤكد أن المرينيين قاموا بنفس الشيء.

شكل من هذه العناصر فرق حربية متعددة منها: فرقة الحرس الخاص التي ترافق السلطان أثناء حروبه[11]، كما أنهم استخدموا كعناصر لتصفية المارقين والخارجين على السلطان[12]،

---

[1] ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص88،130.
[2] ابن الخطيب،نفاضة ،ص139.
[3] السلاوي،المصدر السابق،ج4، ص63.
[4] بلاد السودان:هي تلك الأرض التي تبتدئ شرقا بمملكة كاوكة وتنتهي غربا عند مملكة والاته،ومن صحراء ليبيا شمالا حتى أقصى جنوب المحيط.الوزان،المصدر السابق،ج1،ص28.
[5] أبوبكر على الصنهاجى المعروف بـ(البيذق)،أخبار المهدي بن تومرت،تقديم وتحقيق وتعليق:عبدالحميد حاجيات،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م، ص70
[6] ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،علق عليها إحسان عباس،بيروت ،دار الثقافة،1967م،ج4، ص23.
[7] ابن خلدون ،العبرج7، ص353.
[8] ابن بطوطة،المصدر السابق،ج2 2009م،ص275.
[9] ورد عند السلاوي باسم زاطة، المصدر السابق،ج4،ص237.
[10] ابن الخطيب ،كناسة ، ص39.
[11] حركات،المرجع السابق،ج2، ص113.
[12] ابن خلدون ،العبرج7،ص382.السلاوي،المصدر السابق،ج4، ص250.

وكذلك لا نستبعد أنه شكلت منهم فرق متخصصة في ردم خنادق المدن المحاصرة، وهدم أسوار المدن[1]. وما نختم بها هنا أن العبيد السودان تسلحوا بأسلحة خفيفة يتسلحون بها مثل: درق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان[2] [3].

العناصر غير المقاتلة وهى التي لها مهام داخل الجيش غير المهام القتالية ومن هذه العناصر:

الفعّلة : وقد يشار إليهم بعُمال الجيش[4]، أو الكلفوية أو كما تسمي في جيوش يومنا هذا عناصر هندسة الميدان، ويتمتع الفعّلة بقوة جسمانية كبيرة، تعينهم على تحمل المشاق في ساحات المعارك[5] ولهم زى عسكري فضفاض لكي يساعدهم على العمل[6]، ولهم قائد يسمى قائد الفعّلة أو الكلفوية[7]. ومن مهامهم الأساسية حفر الخنادق؛ لإعاقة تقدم قوات العدو، وتمهيد الطريق أمام أمام معدات وأسلحة الجيش الثقيلة، وردم الآبار التي يحفرها العدو[8]، وتحطيم الأبراج، وكذلك يقوموا بزرع المثلثات[9] أو كما يسميها المغاربة (حمص الأمير)[10]، في خط سير فرسان العدو، وحول الخنادق، لزيادة تحصينها، ومن مهامها أيضا رفع السلالم المستخدمة في تسلق أسوار المدن المحاصرة[11]،وقد كانت للفعّلة معدات خاصة مثل: الفؤوس، والمعاول، والمساحي[12].

حرص المرينيون على تزويد جيشهم بهذه الفرقة، وذلك لزيادة كفاءته، فعند عبور السلطان يعقوب بن عبدالحق للأندلس سنة684هـ\1285م، استخدم هذه الفرقة لدك حصن كان موجود بنواحي مدينة شريش، وفي هذا يقول السلاوي: "ثم عقد ... لحافده عمر ... لغزو حصن بالقرب من معسكره ... وسرح معه الرجل من الناشبة، والفعّلة بآلات من المساحي، والفؤوس ... وألصقوا خده بالتراب، ونسفوا آثاره نسفا". كما استخدمهم السلطان أبا الحسن عند توجهه إلى سجلماسة سنة 734هـ\1333م لحصاره، حيث شحن جيشه بالفعّلة والصناع لصنع الآلات والبناء بساحتها [13].

الجواسيس (العيون): هم من العناصر المهمة لكل جيش قبل وأثناء الحرب، فعن طريق معلوماتهم التي يرفعونها إلى قيادة الجيش عن العدو يمكن وضع خطط الحربية، والتي في

---

[1] ابن عذارى ،المصدر السابق، قسم الموحدين،ص184- 185

[2] المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق،ج3، احمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ،بيروت ،1965م، ،ص368.

[3] سوف يتم التعريف بهذه الاسلحة في القسم الخاص بأسلحة الجيش.

[4] أمين: الخولي: الجندية والسلم، واقع ومثال،ج8، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،1992م.، ،ص94.

[5] المجلة الإلكترونية الجندي المسلم،في الجيوش الإسلامية الأولي (سلاح المهندسين)،العدد 106، 1 3 2002م.الموقع على الويب:بتاريخ2 10 2011م
http://jmuslim.naseej.com/detail.asp?InServiceID=21&intemplatekey=mainpage&Inmagflag=1

[6] الحولي،المرجع السابق،ج8،ص71.

[7] القره غولي: جهادية،العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي 132هـ - 232هـ،،ط1، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،1986م،ص175.

[8] مجلة الجندي المسلم،المرجع السابق.

[9] سوف يتم تناول المثلثات بالتفصيل عند تناول الأسلحة.

[10] ابن منكلى،المصدر السابق، ورقة46.

[11] مجلة الجندي المسلم،المرجع السابق.

[12] ابن زرع،المصدر السابق،ص348.

[13] المصدر السابق،ج4،ص62،ص120.

الغالب تكون ذات نتائج ايجابية، وتشمل تلك المعلومات نقاط مهمة عن جيش العدو مثل: عدده وعدته ونوع سلاحه وأسلوبه في القتال وحلفائه خلال المعركة ونوعية الأرض التي ستقام عليها الحرب صحراوية أم جبلية أم زراعية، وهل بها أنهار أم لا؟. والجاسوس يجب أن تتوفر به عدة مواصفات منها: أن يكون شجاعا، ويتحمل مشقة السفر، ويجيد عدة لغات وحسن الكتابة[1].وانطلاقا من أهمية هذه العناصر حرص المرينيون على تزويد جيوشهم بها حتى يحققوا يحققوا انتصارات باهرة في بلاد المغرب والأندلس.

استخدم المرينيون الجواسيس في جيوشهم، وكانوا يطلقوا عليهم مصطلح العيون، وأغلب الظن أن مصطلح جواسيس لم يكن شائعا عندهم؛ لأنه لا يكاد يرد ذكر مصطلح جاسوس في المصادر المرينية سوى عند ابن الخطيب عند تناوله للأحداث التي ترتب عنها استيلاء السلطان المريني أبا سالم إبراهيم على العرش سنة 760هـ\1358م، فيقول:"ولما اتصل بالوزير الحسن بن عمر، الثابت المقدم بالبلد الجديد المحصور، عبور الأمير إبراهيم، واتصاله بجبل غمارة، ودخل إليه جاسوسه المهدي باكورة خبره، رفع الأعلام ، وشهر الاستبشار، وقرع الطبول"[2].

ومن الأمثلة على استخدام المرينيين للعيون، قيام الأمير أبو بكر بن عبدالحق في سنة 643 هـ \1245م بالخروج ليلا من مكناسة، ورصد أحوال جيش الموحدين، وتمكن بفضل ما لاحظه من تفادى الصدام معهم لتفوق قوتهم[3]،[4]، كما قام السلطان يعقوب بن عبدالحق سنة 674 هـ \1275م ببث الجواسيس لجمع المعلومات عن الجيش القشتالي، ورصد تحرك قائدهم دى نونه لارا وذلك قبل إرسال حملة مرينية إليه[5]. كما قام أثناء جوازه الرابع للأندلس بإرسال قائده أبى الزبير طلحة بن يحيى بن محلى، ومعه جواسيس من اليهود، والمعاهدين من النصارى؛ لجمع المعلومات عن ملك قشتالة سانشو الرابع(سانجه). وفي عهد السلطان المريني أبى سعيد عثمان، أفشلت معلومات أعطاها إليه جواسيسه مؤامرة دبرها له ابنه الأمير أبو على سنة 722 هـ\1322م، بهدف الهجوم على معسكره ليلا[6] .

الأمناء: مفردها أمين، ومن المرجح أنه منصب استحدثه المرينيون داخل جيوشهم، لحماية الغنائم التي يستولى عليها الجيش.وكان أول ظهور لهذا المنصب سنة 674 هـ\1275 م عندما كلف السلطان يعقوب بن عبدالحق عدداً من الرجال أطلق عليهم الأمناء لحراسة الغنائم التي حصل عليها أثناء حربه للقشتاليين في موقعة أستجة، وتمثلت تلك الغنائم في الحيوانات، والأسري، والسلاح، والثياب[7]. ونعتقد أن هذا تطورا في نظم المرينيين لا نجد ذكر له عند المرابطين والموحدين.

---

[1] ابن منكلى،نفسه،ص179.
[2] ابن الخطيب،نفاضة ، موقع المصطفي،ص100.
[3] ابن أبي زرع،القرطاس،ص381.
[4] إن امتهان الأمير أبي بكر لمهنة الجوسسة يدل على أن الجيش المريني كان لا يزال في طور البناء ،أي لم تكن هناك عناصر مؤهلة للقيام بهذه المهمة،كما أننا لا نعتبرها منقصة من الأمير أبي بكر بل هي توحي بشدة لاهتمامه وحرصه على امن وسلامة جيشه.
[5] ابن أبي زرع ، القرطاس،ص413.
[6] السلاوي،المصدر السابق،ج4، ص62. 108
[7] ابن أبي زرع،الذخيرة ،ص147.

الترجمان: شخص يجيد لغات غير لغته الأصلية، فعند المرينيون نجده إلى جانب اللغة العربية يجيد لغات الممالك الاسبانية، ومملكة مالى. لقد كان من ضمن العناصر التي استخدمها المرينيون في جيوشهم، ولقد كانت له عدة مهام منها: الترجمة أثناء السفارات بين الملوك والقادة عند المفاوضات، وعند عقد الصلح، والمعاهدات، وذلك كما حدث زمن السلطان يعقوب بن عبدالحق الذي بعث سفارة بها ترجمان برفقة ابنه يوسف إلى قائد الأسطول القشتالي دون بدور الابن الثالث لألفونسو العاشر، وذلك سنة678هـ\1279م[1]، وفي حدث أخر له كلف الترجمان الشيخ عبدالحق للتواصل مع ملك قشتالة سانشو Sancho (683 696هـ\1284 1296م) بخصوص الصلح[2] سنة 684هـ\1285م[3]. ومن مهام الترجمان كذلك الترجمة بين الجند الأجانب والقيادة المرينية للجيش، مثلما حدث أيام السلطان أبى احمد بن أبى سالم إبراهيم(776 796هـ\1374 1339م) عند تعيينه ترجمان لجند النصارى[4] داخل الجيش المريني، وعلى ما يبدو أنه كان للمترجمين مسئول يرجعون إليه في أمورهم، مثل منصور بن علي الذي كان يتولى أمور الترجمان في عهد هذا السلطان[5].

العلماء والأدباء والشعراء: إن لهذه الفئات دورا مهم داخل الجيش، فالعلماء لهم حكمة ورأي صائب، والأدباء لهم براعة في تدوين الأحداث والمعارك ، والشعراء هم منبع الحماسة ومصدر إثارتها فبشعرهم تستثار الهمم وتقوا العزائم ويتحقق النصر[6]. ولقد تفطن المرينيون لتلك الأدوار، لذا قاموا بإدخال هذه الفئات ضمن مكونات جيشهم عند مسيره إلى الحرب، ويعتبر السلطان أبا الحسن أكثر سلاطين بني مرين اصطحابا للعلماء والأدباء والشعراء، وذلك حسب ما أورده لنا ابن خلدون عند حديثه عن جيش السلطان أبي الحسن المتجه إلى تونس، وخبر الكارثة التي حلت به بقوله: "وكان في جملة السلطان أبي الحسن جماعة كثيرة من فضلاء المغرب وأعيانه، هلك كثير منهم في الطاعون الجارف بتونس، وغرق جماعة منهم في أسطوله لمّا غرق وتخطت النكبة منهم آخرين". ومن أشهر هذه الشخصيات التي رافقت أبا الحسن: الفقيه أبا عبدالله محمد بن احمد الزواوي، والقاضى أبا عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالنور، وشيخ التعليم أبا عبدالله محمد بن النجار، والأديب أبو العباس أحمد بن شعيب، والخطيب أبو عبدالله محمد بن أحمد بن مرزوق[7]، وبالطبع من المؤكد أن هذا ما سار عليه باقي باقي سلاطين بني مرين من بعده.

النسوة: لقد مثلت المرأة المرينية جزءاً من العناصر غير المقاتلة التي رافقت الجيش، حيث كانت تلبس أحسن الثياب وتتجمل وتركب الهوادج المزركشة بالحلي الجميلة، والمصنوعة من أجود الأقمشة.كان دور المرأة في ساحة الحرب يكمن في ما تنشده بصوتها وعباراتها وإشارتها

---

[1] البارودي المرجع السابق،صAyalaa:Op.cit.P56.120

[2] هذا الصلح الذي وقعت فيه بنود مُذلة للملك القشتالي والتي تضمنت بنود منها ألا يتعرض لمسلمي الأندلس ولا لسفنهم.وقبل الملك القشتالي بهذه الشروط،وذلك خوفا من سوء العاقبة على يد السلطان المريني. ابن أبي زرع،روض القرطاس،ص359

[3] ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص359.

[4] على ما يبدوا أن هناك ترجمان من اللغة العربية إلى لغة جند النصارى حيث يرافقهم داخل الجيش المريني

[5] ابن خلدون ،العبرج7 ،ص465.

[6] ابن الخطيب،كناسة،ص35.

[7] العبر ،ج7،ص525 526 527.

وتلميحاتها العذبة، حيث كان لكل ذلك اثر في تقدم الجيش، وقتاله في ساحة الحرب، ومجابهته للشدائد والأخطار، وذلك بأن تثير حماسة الجند، وتبعث فيهم روح القتال، ونشوة النصر[1]إضافة لما سبق فإن اخذ النساء للحرب يضع مسؤولية كبير على عاتق القادة والجند، وذلك خوفا من تعرض النساء للسبي، وبالتالي فالقتال سيكون أشد ضراوة وحماسة.

2 الفرق الحربية:وهى قسمان:

القسم الأول :الفرق الحربية حسب الانضمام للجيش.

الفرق النظامية أو أهل الديوان: تشمل الجند المسجلة أسماءهم في ديوان الحرب[2]، وتصرف لهم رواتب وعطاء من بيت المال، كما أن لهم نصيب من غنائم الحرب، ووظيفة هذه العناصر النظامية الحرب والجهاد، وعلى الدولة أن تتكفل برعاية اسر جند الفرق النظامية سواء كانوا في الحرب أو إذا استشهدوا[3]، ولقد أورد لنا ابن الخطيب بعض عناصر هذه الفرق بقوله: "وأخذنا في إحصاء من معنا ...من الجند والمماليك والأغزاز والنصارى ورجّل الأندلسيين"[4].

الأندلسيين"[4].

الفرق المطوعة: فهي الفرق التي لا تُسجل في ديوان الجند[5]، ويتم استدعائها للمشاركة في الحرب مع عناصر وفرق الجيش المريني، وكان معظم جندها من القبائل (المغربية والعربية) المقيمة ببلاد المغرب[6]، حيث كانت تشكل منها طلائع الجيش، ويعطى لهذه الفرق العطايا قبل المعركة تشجيعا لها، وهذا ما نفهمه من قول ابن الخطيب: "وفتحنا ديوان العطاء فقسمنا فيه الأعطيات وأجزلنا لهم الهبات، واستثرنا بترغيبهم الحفائظ والعزمات"[7]، ولقد كانت تخصص لهم سُفن خاصة لنقلهم إلى ارض المعركة كلما استوجب الأمر[8].

القسم الثاني: الفرق العسكرية حسب تخصصها الحربي : وهي كالأتي:

فرقة الفرسان: وهى من الفرق المهمة داخل الجيش المريني، ويأتي موقعها في هيكلية الجيش أمام فرقة المشاة، وذلك بهدف حمايتها[9]. ويتم تجهيزها بعناصر ذات مهارة قتالية عالية مثل:العناصر الزناتية[10]، والأندلسية[11] ويتم تسليحها بعدة كاملة[12]،[1]، وتمتطى خيول من

---

[1] النميري، المصدر السابق،ص114.
[2] أبن منكلى ،المصدر السابق،ورقه29.
[3] زغروت:فتحي،الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين،ط1،دار التوزيع والنشر الإسلامية،2005م، ص100، 102.
[4] نفاضة ،ص141.
[5] ابن منكلى،المصدر السابق،ورقه29.
[6] ابن أبي زرع، القرطاس،ص460.
[7] نفاضة ، ص141.
[8] ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص411.
[9] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص136.
[10] الإدريسي،المصدر السابق ص237. جارثيما جومز،مع شعراء الأندلس والمتنبي.ترجمة:الطاهر احمد مكي.القاهرة، 1974م، ص228.
[11] النميري،المصدر السابق، ص225
[12] لمزيد من المعلومات عن الأسلحة يمكن الإطلاع على المبحث الثالث (عدة الجيش المريني).

سلالات عربية عرفت بتنوع ألوانها[2]، فنجد منها: الأشقر[3]، والأصفر[4]، والأشهب[5]، والأشهب الحديدي[6]، وهي خيول كانت مفضلة عند العرب منذ أيام الجاهلية والإسلام، وانتقلت شهرتها واستخدامها إلى بلاد المغرب، ولهذه الخيل كسوة من البراقع[7] بديعة الجمال، تُعلق بها أجراس[8].

فرقة المترجَّلة: فقد سُميت بذلك لأن سيرها وقتالها يكون على الأرجل، وهي مكونة من خليط لبعض العناصر المقاتلة المطوعة بالجيش المريني من القبائل المغربية مثل المصامدة[9] والأندلسيين، وقد وصف لنا صاحب فيض العباب العناصر الأندلسية منها، بقوله: "يلبسون الأقبية المختلفة الألوان وجعلوا فوق رؤوسهم الرتَافِيل[10] واعتقلوا بالعصي الطوال...وبنوا بلأمداس[11] التي هي رسائل أزوال القتال ...وتقلدوا بالنبابيل التي انتظت نيرانها في الأغماد"[12]. كما انه كانت هناك فرقة الحرس الخاص: وهى تتكون من الفرسان، وسلاحها في الغالب القوس، ولا نستبعد حملها أسلحة أخري، ومهمتها حماية السلطان المريني، لذا نجده لا يخرج إلا برفقتها[13]، ونظرا لأهميتها أقيم لها سكن بفاس الجديدة[14] حيث سكن السلطان، وسمي بالحي مثل: حي النصارى، وحي حمص، وحي الأندلسيين[15]، وإلى جانب سكنها بنيت حظائر لخيولها تسع ثلاثمائة فرس تقريبا[16]، ومن أهم عناصرها النصارى، والغز، والأندلسيين، والعبيد، ولكل عنصر قائد يتولى أمره[17]، ولقد كانت تصرف لهم مرتبات عالية[1].

---

[1] الصلابي، صفحة مشرقة من التاريخ الإسلامي،مج 1،دار الفجر للتراث،2005م، ص608.

[2] النميري ،المصدر السابق،ص 303 304. والنميري هنا يصف ألوان الخيول وليس ألوان الأعلام كما ورد عند البارودي في رسالته الحياة الحربية في دولة بني مرين،يقول إن هذه الألوان للأعلام المرينية ويستند في ذلك لمخطوط النميري،فيض العباب ،ولكن تحققت من ذلك بعد الرجوع لنفس المصدر في نسخته المحققة .

[3] الشقرة:هي الحمرة التي بها صفرة،والفرق بين الفرس الأشقر والكُميت،بالعُرف (وهي منطقة فوق الرقبة) والذنب،فإن كانا أحمرين فهو أشقر،وان كانا أسودين فهو كُميت.،وتعتبر الخيل الشقراء من الخيل التي مدحها الرسول صلى عليه وسلم :" وأخرج الواقدي عن عبدالله بن عمرو بن العاص ،قال رسول الله عليه وسلم:(خير الخيل الشقر) "، السيوطي،المصدر السابق،ص59.الأصمعي:أبي سعيد عبدالملك بن قُريب، الخيل، تحقيق:حاتم صالح الضامن،ط2،دمشق،دار البشائر،،2009م ،ص72.السيوطي،جر الذيل في علم الخيل،تحقيق:حاتم صالح الضامن،ط2،دمشق،دار البشائر،2009م،ص57.

[4] لصفار ذنبه وعرفه.الأصمعي،المصدر السابق ،ص73.

[5] والأشهب بياض يغلب عليه سواد السيوطي،المصدر السابق،ص62.

[6] الذي تميز بطول الذنب، والكميت ـ وهو نوعان كميتاً مُدَمًّى أي شديد الحمرة وكميتاً أحَمَّ أي حمرة مع قلة سواد، ويمتاز بشدة جلده وحوافره ــ والأنبط ـ وهو ما صعد بياض بطنه إلى جنبه. الأصمعي،المصدر السابق،ص72، 75.

[7] في معجم المحيط ،هو للدواب والنساء:انظر مادة برقع.وعند دوزي،خرقة صغيرة فيها ثقبان للعينين توضع على رؤوس الخيل:المصدر السابق،ج1،ص302. وفي صبح الأعشى يقصد بها ثياب السروج التي توضع على ظهور الخيل،انظر ،ج5،ص208.ومن المرجح أن ثياب السرج كانت موصولة بتلك القطعة من القماش التي توضع على رؤوس الخيل.

[8] النميري،المصدر السابق، ص225

[9] ابن أبي زرع ،القرطاس، ص. 456.

[10] مفردها رثْفَلُ :وهي عند الأندلسيين العصابة التي توضع على الرأس ..دوزي.المرجع السابق،ج5،ص88.

[11] بخصوص المعني انظر المبحث الثالث عدة الجيش من هذا الفصل.

[12] النميري،المصدر السابق، ص225

[13] ابن الخطيب ،كناسة ، ص40.العمري،المصدر السابق،ج4،ص133.

[14] المقصود بفاس الجديدة في العهد المريني هي تلك المواضع الثلاثة التي بناها المرينيون والتي تجاور مدينة فاس القديمة ،الموضع الأول يسمى المدينة البيضاء ويعرف بالبلد الجديد بناها يعقوب بن عبد الحق.والموضع الثاني يسمى حي حمص والذي بناه أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف.والموضع الثالث يسمى ربض النصارى لعناصر النصارى.أما فاس القديمة فهي تشمل حي الأندلسيين وحي القرويين .العمري،المصدر السابق،ج4،ص114،111.

[15] العمري،المصدر السابق،ج4،ص111،109. 114.

[16] الوزان،المصدر السابق،ج2،ص282. 283.

[17] العمري،المصدر السابق،ج4،ص111،109. 114.

فرقة الوصفان: وهى فرقة مترجلة يرجح أنها من مماليك مصر[2]، تحيط بالسلطان في مواكبه بهدف حمايته، ويقودهم قائدا منهم يحمل علما يميزهم عن غيرهم من الفرق.

فرقة العدويين: من مهامها حراسة القصر السلطاني بالعاصمة، ومرافقة السلطان في بعض المناسبات كاستعراض الجيش وتوديعه، ويقع على عاتقهم كذلك إرسال الأوامر السلطانية إلى مختلف الأقاليم داخل الدولة، ولهم سلطة تأديب من يسوء أدبه أمام السلطان[3]، أما عن سلاحهم فهو متمثل في القضبان[4] التي يحملونها عوضا عن السيف، ولهم لباس من أحسن الثياب[5].

فرقة الرماة أو الناشبةـ نسبة إلى النشَّاب ـ: وهي تقريبا تشبه العناصر القناصة داخل جيوشنا الحديثة، وتتكون هذه الفرقة من عدة عناصر تجيد الرماية بالقوس، منها رماة قبائل المغرب، ورماة سبتة، ورماة الرجّل الأندلسيين، والرماة الشاميين[6]، ورماة الأغّزاز[7]، ولقد حمل هؤلاء من الأسلحة القوس (خاصة القوس العربية[8]) والنشاب[9]، ومن المرجح أن اهتمام المرينيين بهذه الفرقة يعكس الأهمية الحربية لها.أما عن أن مهامها فهي لها مهام دفاعية لقيامها بحراسة مكان إقامة السلطان في المعسكر[10]، كما أنها تتمركز فوق الأبراج المرينية، وإضافة لذلك لها مهام هجومية، كالغارة على حصون الأعداء، وذلك كما فعل رماة سبتة عند إغارتهم على احد حصون مملكة قشتالة سنة 684 هـ\1285م[11]، وكذلكمنازلة رماة رجّل الأندلسيين للحصون المتاخمة لتلمسان سنة 702هـ،\1302م [12]، ولفرقة الرماة قائد يسمى بشيخ الرماة مثل الشيخ أبن اللجي قائد احد الأبراج بمدينة طنجة[13].

فرقة مسالح الثغور: وهي فرقة ظهرت في فترة مبكرة زمن المرينيين وتحديدا سنة 655هـ\1252م، وذلك عند قيام الأمير أبا بكر بن عبدالحق بوضع فرقة من الجند المريني بمدينة سجلماسة، وولى عليها أبا يحيى القطراني.ووظيفة الفرقة هي المرابطة في المدن والثغور المرينية، وجباية الضرائب منها[14]، ولقد لقيت هذه الفرقة اهتمام كبير من سلاطين بني مرين، حيث أنهم كانوا يشرفون على ترتيبها وتفقدها وتنظيمها، ومن ابرز الشخصيات التي

---

[1] الوزان،المصدر السابق،ج2،ص283.
[2] البارودي،المرجع السابق،ص193.
[3] العمري،المصدر السابق،ج4، ص133،172.
[4] من المرجح أن القضبان يتم صنعها من الحديد،لأنه لو كانت من الخشب لقيل لها العصي.
[5] النميري،المصدر السابق،ص225.
[6] كان لهم حي خاص في مدينة فاس الجديد يسمى حمص، وسبب تسميته بهذا الاسم لأن أغلب من به من الرماة ينتمون إلى المناطق المحيطة بمدينة حمص السورية العمري،.المصدر السابق،ج4،ص111. روجي لوتورنو، فاس قبل الحماية،ترجمة محمد حجى محمد الأخضر،ج1،ص101
[7] ابن أبي زرع، القرطاس،ص460، ص453. النميري، المصدر السابق، ص224. العمري، المصدر السابق، ج4، ص111. ابن خلدون ،العبر، ج7، ص229، 301.
[8] النميري،المصدر السابق، ص224.
[9] مؤلف مجهول ،الحلل الموشية، ص108، 147.
[10] محمد المنوني وآخرون،التاريخ الأندلسي من خلال النصوص،ط1، شركة النشر والتوزيع الدارس، الدار البيضاء، 1991م، ص228.
[11] ابن أبي زرع،روض القرطاس، ص407،453.
[12] الحريري، المرجع السابق،ص89.
[13] ابن زرع، المصدر السابق،ص460.
[14] ابن الخطيب، نفاضة ،ص136 -137.

تولت قيادة هذه الفرقة بالأندلس الشيخ أبي الحسن علي بن يوسف بن يزكاتن سنة 685هـ\1286م[1].

3 قيادة الجيش:

من المرجح أن كل تلك العناصر وفرق الجيش كانت لها قيادة تشرف على تنظيمها داخل وخارج ميادين القتال، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال دراسة هذه القيادة التي تم تقسيمها إلى خمس أقسام رئيسية لها أقسام فرعية وهي كالأتي:

- **القيادة الحربية العليا:** هي أعلى سلطة داخل الجيش المريني، ومهمتها تولى القيادة العامة للجيوش داخل وخارج بلاد المغرب، ولهذه القيادة مطلق الحرية في التصرف بالجيوش، لقد كانت هذه القيادة حكرا على المرينيين، ويعد السلطان يعقوب بن عبدالحق من مجسدي هذه الفكرة، وذلك لقيامه بتنصيب أبنائه، وحفدته، وأشياخ بني مرين في هذا المنصب[2]. ويمكن تصنيف الفئات التي تولت هذا المنصب إلى أربعة أقسام وهي:

أ- **السلطان:** أطلق المرينيون في بداية أمرهم لقب أمير على ولاة أمرهم، وكان ذلك زمن الأمير عبدالحق بن محيو، الذي قال عنه ابن خلدون: "وكان خير أمير عليهم قياما بمصالحهم،وتعففاً عما في أيديهم لأنفسهم "[3]. أستمر هذا اللقب إلى أن توفي الأمير أبابكر بن عبد الحق[4]،[5]. حيث ظهرت لأول مرة بيعة ذوي الحل والعقد[6] بين المرينيين، المرينيين، والتي تمخض عنها تولي يعقوب بن عبدالحق أمر بني مرين سنة 656 هـ\1258م[7]، واتخذ لنفسه لقب سلطان، هذا اللقب الذي أستمر إلى أواخر أيام الدولة المرينية[8]. تطورت عملية بيعة السلطان وأصبح يتم اختياره لهذا المنصب بعد بيعتين بدل الواحدة، البيعة الأولى تسمى البيعة الخاصة والتي فيها يتم مبايعته من قبل أهل الحل والعقد، والبيعة الثانية تسمى بيعة العامة، والمقصود بالعامة: قبائل زناتة، والعرب، والعساكر، والحاشية، والموالى، وأصحاب الحرف، والعلماء[109]، ومن تتم

---

[1] العمري،المصدر السابق،ج4، ص69،23.

[2] ابن أبي زرع،القرطاس،ص357.

[3] ابن خلدون ،العبرج7،ص224.

[4] أستمر لقب أمير عند بني مرين فترة حكم عبدالحق بن محيو وثلاثة من أبنائه وهم ،(أبوسعيد)عثمان بن عبدالحق و(أبي معرف) محمد بن عبدالحق و(أبو يحيى) أبوبكر بن عبدالحق.المصدر السابق،ج7،ص226،224، 227.ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص291.يجدر الإشارة إلي أن أبوبكر يرد عند صبح الأعشى باسم زكريا وهو بذلك يخالف ما ورد عند أبن خلدون وروض القرطاس،وأرجح ماورد عند غيره.

[5] ابن خلدون ،العبرج7،ص234.

[6] وهم شيوخ بني مرين ووزرائها، وكبار الشخصيات المرينية.

[7] بعد وفاة أبا يحيى أبوبكر بن عبدالحق،وثب أبنه عمر على شؤون بني مرين ،ويبدوا أنه لم يكن أهل لهذه المهمة أو أن عمه يعقوب بن عبدالحق كان في نظر أعيان بني مرين أقدر منه على تولى هذه المهمة.لذا واجه نفورا من هؤلاء،الأمر الذي تركه ضعيفا أمام كلمة أعيان بني مرين ومكانة عمه عندهم،مما أعطى الحكم لعمه يعقوب بن عبدالحق.السلاوي،المصدر السابق ،ج4،ص234، 235.

[8] السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص327.

[9] ابن خلدون ،العبرج7،ص320.

[10] لم يكن أصحاب البيعتين دائما على اتفاق بشأن من يتولى حكم المرينيين،فكان يحدث بينهما خلاف وكان ذلك منذ زمن يعقوب بن عبدالحق ،الذي بايع العامة ابن أخيه أبى حفص عمر بن أبى بكر بن عبدالحق،وبايع ذوى الحل والعقد عمه

بيعته من المرينيين يعين سلطان، وقائد أعلى للجيش المريني، أي انه يصبح يمثل السلطتين السياسية والعسكرية في الدولة، لقد كان السلطان المريني في الغالب لا يكتفي بقائد أعلى كأسم فقط، بل كان فعليا يقوم بقيادة الجيوش، وذلك كما حدث مع السلطان أبي الحسن الذي قاد الجيوش المرينية في الأندلس ضد الحلف النصراني الذي تزعمته قشتالة سنة 740هـ\1340م[1]. وكذلك قاد السلطان أبا عنان الجيوش المرينية أثناء حملته على إفريقية في 20 جمادى الأول 758هـ\11 مايو – 1356م[2].

ب **ولى العهد:** هو ثاني أهم المناصب في الدولة المرينية، ومهمته الرئيسية تكمن في ملئ الفراغ السياسي الذي قد ينتج عن ابتعاد السلطان عن الحكم، بسبب الموت أو غيره.وقد كان في الغالب الابن الأكبر للسلطان هو المرشح لولاية العهد، وكان بداية ظهور هذا المنصب زمن يعقوب بن عبدالحق، عند أخذه البيعة لابنه الأكبر أبا مالك عبدالواحد في سنة669هـ\1270م[43]. لقد كان لولى العهد جيش تحت تصرفه. كان ولي العهد كثيرا ما يتولى القيادة العامة للجيش، كما حدث مع الأمير يوسف بن يعقوب[5] الذي تولى القيادة العامة للجيش الذي نازل ابن العزفي بسبتة سنة 672هـ\1273م، وقيادة الجيش الذي زحف على العديد من مدن وحصون الأندلس سنة 674هـ\1275م، كما أسند للأمير أبي عنان شؤون المغرب الأوسط بما فيها الأمور العسكرية، بعد توجه والده السلطان أبا الحسن إلى افريقية سنة 749هـ\1348م[6].

ج **أقارب السلطان:** هم أبنائه وإخوته وحفدته، فقد كانت تُوكّل إليهم في بعض الأحيان مهمة القيادة العليا للجيش المريني، ففي بعض الأوقات تُسند هذه المهمة إلى أبناء السلطان لخوض الحروب بالمغرب والأندلس، كما حدث في عهد السلطان يعقوب بن عبدالحق الذي أسند إلى ابنه أبا مالك قيادة الجيوش المتجهة إلى طنجة سنة 665هـ \1266م، كما أنه أسند إلى ابنه عبدالواحد قيادة الجيش المتوجه لقتال بني عبدالواد بتلمسان سنة 670هـ\1271م، وكذلك السلطان عثمان بن يعقوب(710-731هـ\1310-1331م) أسند إلى أبنائه مهمة قيادة الجيوش، ومنهم ابنه أبي الحسن، وإضافة لذلك كانت تسند مهمة القيادة العليا للجيش إلى أحفاد السلطان، وذلك كما فعل السلطان يعقوب بن عبدالحق مع حفيده الأمير منصور بن عبدالواحد سنة 684هـ\1285م[7].

د **الوزير:**يذكر ابن خلدون أن الوزارة هي"أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لان اسمها يدل على مطلق الإعانة ".فهي مأخوذة من المؤازرة وهى المعاونة، أو من الوزر بمعنى الاشتراك مع السلطان في تحمل أوزاره وأثقاله، ومن مهام الوزير تفقد

يعقوب،وكانت النتيجة غالبا ما تتراجع العامة عن قرارها،لضعف حيلتها وذلك لسيطرة ذوى الحل والعقد على المراكز المهمة في الدولة بما فيها الجيش.السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص24.

[1] ابن الخطيب،كناسة، ص34.

[2] النميري،المصدر السابق،ص72.

[3] ابن خلدون ،العبرج7، ص242.

[4] يمكن أن نعتبر هذه الفترة هي بداية توريث الحكم عند المرينيين.

[5] الذي أصبح ولي للعهد بعد وفاة أخوه الأكبر أبا مالك سنة 671هـ\1272م.

[6] ابن خلدون ،العبرج7،ص247، 255 ، 355.

[7] ابن أبي زرع، الذخيرة، ص143، 129 .روض القرطاس،ص527، 456.

شؤون الجند والسلاح والحروب[1]. لقد كان الوزير المريني غالبا ما يتولي أمور السياسية والحربية عند غياب السلطان المريني، كما كان يكلف في بعض الأحيان بمهمة القيادة العليا للجيش.فعند استيلاء سانشو ملك قشتالة على الجزيرة الخضراء سنة 691هـ\1291م قام السلطان يوسف بن يعقوب بإسناد مهمة قيادة الجيش المدافع عن المدينة إلى وزيره عمر بن السعود بن خرباش[2]، كما تولى الوزير هذا المنصب عند قيادة جيش للقضاء على المارقين، فقد تولي الوزير فارس بن ميمون بن وردار سنة 754هـ\1353م قيادة الجيش المريني للقضاء على خطر أبي الفضل المعارض لأخيه السلطان أبي عنان[3].

- **قيادة الفرق والعناصر الحربية:**أشتمل الجيش المريني على العديد من العناصر،والفرق المقاتلة النظامية والمطوعة،وبالطبع كل هؤلاء كانوا بحاجة إلى قيادة عسكرية يعودون إليها،وتنظم أمورهم،لذا قام المرينيون بتنصيب قادة لكل من العناصر والفرق ويمكن أن نتناولها فيما يلي:

أ **أشياخ بني مرين:** هم من علية رجال بني مرين، أسندت إليهم قيادة القبائل المرينية[4]، كما أنه كان لهم حق حضور اجتماعات المجلس الاستشاري الذي يعقده السلطان للتشاور في أمور الحرب[5]. استغل هؤلاء مكانتهم عند سلاطين بني مرين، وبالتالي تدخلوا في شؤونهم، وشاركوا في الانقلابات ضدهم، مثلما فعل الشيخ المريني الحسن بن علي بن أبى الطلاق عند تأمره مع قائد جند النصارى بالجيش المريني جونثاليث ضد السلطان المريني أبا ربيع سليمان[6].

ب **قادة القبائل العربية:** هم ليسوا كغيرهم من قادة العناصر الأخرى بالجيش المريني، كانوا عددهم كثير وذلك نتيجة لتعدد القبائل العربية، أي انه لم تكن هناك قيادة موحدة لهذه القبائل، وبالتالي قام المرينيون بإسناد القيادة إلى أقوى شخصية في كل قبيلة من هذه القبائل.

أشتهر الكثير من قادة القبائل العربية ونذكر منهم: مهلهل بن يحيى الخلطى نسبة إلى قبيلة الخلط، وهو صهر الأمير يعقوب، وهو احد قادة القبائل العربية التي شاركت مع الجيش المريني في غزواتهم ببلاد الأندلس سنة 682 هـ[7]. وعياد ابن أبى عياد العاصمي نسبة إلى قبيلة عرب العاصم وهو من أشهر قوادهم ،وقد شارك في العديد من العمليات الحربية للمرينيين بالأندلس مثل: الغارة على حصن شلوقة بالأندلس سنة 684 هـ\1285م، ومن أولئك القادة أيضا يوسف بن قيطون وهو احد قادة عرب جابر أيام يعقوب بن عبدالحق[8]، وونزمار بن عريف السويد من عرب سويد تولي قيادة

---

[1] العبر،ج1،ص 294.
[2] ابن أبي زرع،القرطاس،ص502.
[3] ابن الخطيب ،كناسة ، ص30.
[4] ابن خلدون ،العبر، ج7 ،ص222.
[5] ابن أبي زرع،الذخيرة ، ص148.
[6] السلاوي،المصدر السابق،ج4، ص101.
[7] المصدر السابق،ج4، ص63.
[8] ابن أبي زرع،القرطاس، ص448، 464 .

القبائل العربية زمن أبى عنان[1]. ولم يقتصر دور هؤلاء القادة في الحروب، بل كانوا يشاركون في اجتماعات المجلس الحربي.

ج **شيخ الحامية[2]:** هو قائد عسكري اسندت إليه مهمة قيادة مجموعة من الرماة يسمون بالحامية. ونرجح أن الاسم مشتق من مهمتهم وهى الحماية. ويكون مقر إقامتهم بالعاصمة إلى جانب السلطان، ومهمتهم هي حماية السلطان وتوفير الأمن بالمحيط الذي يقيم فيه، ومن أشهر من تولى هذا المنصب الشيخ محمد بن الزرقاء[3] زمن السلطان أبي سالم إبراهيم[4]، ويصفه ابن الخطيب بقوله: "المستنام إليه بالأمانة على الأيام،الراجع لنظره أمر الرماة، ومقاعد الحرس، السارح في ظل البيت وخلف الشهرة، المنطوي على جم الانطباع والتلون والمذق"[5].

د **قادة عناصر الغُز:** يتولوا قيادة عناصر الغُز في الجيش المريني، ولهم الحق في حضور اجتماعات المجلس الحربي لأخذ رأيهم في أمور الحرب كغيرهم من القادة[6]، ومن أشهر قادة الغز، الخضر الغزي الذي أبلى بلاء حسنا في حروب المرينيين بالأندلس في اشبيلية، ولبلة، وقرمونة، وأستجة، وجبال الشرف زمن السلطان يعقوب سنة 684 هـ\ 1285م[7].

ه **قادة عناصر النصارى:** وهم يتولوا قيادة عناصر النصارى داخل الجيش المريني، كما أنهم يشكلوا جزء من الحرس السلطاني[8]، ومن أشهر هؤلاء القائد جونثاليث أيام السلطان أبا ربيع سليمان، ويبدوا أن هؤلاء القادة لم يكتفوا بقيادة عناصرهم داخل الجيش، بل شاركوا كذلك في الأحداث الداخلية للدولة المرينية، فها هو جونثاليث يشارك السلطان المريني في قتل وزيره أبا عبدالله بن أبي مدين. كما أن هذا القائد شارك فيما بعد في مؤامرة حيكت ضد أبا ربيع سليمان بهدف إزاحته عن الحكم،والتي كانت بتعاون مع الشيخ المريني الحسن بن الطلاق، وكان ذلك سنة 710هـ\1310م[9].

و **قائد رماة قوس الرجل:** يتولى قيادة مجموعة من الجند تسمى رماة قوس الرجل، وكان اغلبهم من الفرق المترجلة[10]،ومن أشهر قوادهم إبراهيم بن احمد البطروجى الذي تولى كذلك منصب قائد الموكب السلطاني في عهد السلطان أبا سالم إبراهيم[11].

- **قادة المنشآت الحربية:** وهم قادة عسكريون يتولون القيادة والإشراف على المنشآت العسكرية وهم كالأتي :

---

[1] أبن خلدون،العبر،ج6،ص63.ج7،ص190.
[2] ابن خلدون ،العبر،ج7 ،ص314.
[3] ورد عند ابن الخطيب باسم عيسى بن الزرقاء،ورفع نسبه إلى بني أشقيلولة رؤساء غرناطة .ابن الخطيب ،نفاضة، ص119.
[4] ابن خلدون ،العبرج7،ص415.
[5] ابن الخطيب ،نفاضة ،ص119.
[6] ابن أبي زرع،الذخيرة، ص148.
[7] السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص63.
[8] العمري،المصدر السابق،ج4، ص133.
[9] ابن خلدون ،العبر ،ج7،ص318، 316.
[10] النميري،المصدر السابق،ص 224
[11] ابن خلدون،العبر، ج7،ص 417.

أ **صاحب السقيفة:** يتولي هذا المنصب احد القادة العسكريين في الجيش المريني،ومهمته رئاسة مخازن الأسلحة،ونظرا لأهمية هذا المنصب فمن المرجح انه لم يتولاه إلا أهل الثقة[1]. ولا نستبعد أن تكون تحت إمرة هذا القائد مجموعة من الجند.

ب **قائد مسالح الجند والثغور:** وهو يتولى رئاسة القواعد العسكرية في مناطق الثغور (المناطق الحدودية المتاخمة للأعداء)،ولقد وُجِد هذا المنصب في الجيش المريني منذ سنة 655هـ\1257م، حينما تولى أبى يحيى القطراني قيادة مسلحة الجند بسجلماسة بتكليف من الأمير أبي بكر بن عبدالحق. وقد كان هذا المنصب يسند أما إلى أقارب السلطان وخاصة الإخوة، أو شخصيات موثوق بها، ففي عهد يوسف بن يعقوب أسندت مهمة إدارة مسالح الثغور الغربية بالأندلس إلى أخيه أبي عطية العباس بن يعقوب، وأوصاه بضبطها، ومن أهم الشخصيات الموثوق بها التي أسندت إليها هذه المهمة الشيخ أبى الحسن علي بن يوسف بن يزكاتن سنة 685هـ[2]. كما يجب الإشارة إلى أن قائد المسالح يتمتع بسلطات قوية ومستقلة داخل المدينة[3].

- **قيادة حربية خاصة:** يختص القائد هنا برئاسة مجموعة من الجند؛ مهمتها خدمة وحماية السلطان وخاصة بالقصر السلطاني ونذكر منها:

أ **قائد الموكب السلطاني:** يكون من كبار القادة الموثوق بهم من جانب السلطان المريني، ومهمته رئاسة الموكب السلطاني في مختلف المناسبات،واغلب الجند الذين يكونوا تحت إمرته من المترجَّلة الأندلسيين، وقد ورد ذكر هذا المنصب في زمن السلطان أبا سالم إبراهيم، وكان ابرز من تولى هذا المنصب القائد إبراهيم البطروجى[4].

ب **الحاجب أو المزوار:** وهو الذي يشير إليه ابن خلدون بأنه: "المقدم على الجنادرة المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ أوامره وتصريف عقوباته وإنزال سطواته وحفظ المعتقلين في سجونه والعريف عليهم في ذلك فالباب له وأخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع إليه، فكأنها وزارة صغرى"[5]. "أنه شُبِّهَ الحاجب من الملك الملك بالعين من الجسد"[6]، ومن هنا نجد أن مهمة الحاجب هو تنظيم الدخول عند باب السلطان بحيث يمثل وصلة ربط بين السلطان والرعية، ويقع تحت إمرته مجموعة من الحرس[7]، وإضافة إلى وظيفته داخل بلاط السلطان كان في بعض الأحيان تسند إليه قيادة حامية إحدى المدن،كما كان يرافق السلطان في غزواته كما فعل الحاجب محمد بن عمرو عند مرافقته أبا عنان سنة 753هـ\1352م لفتح مدينة بجاية، ومن أشهر الشخصيات التي تولت هذا المنصب عامر بن فتح الله السدراتي الذي قاد حامية سبته في عهد أبي سعيد عثمان، وعبو بن قاسم زمن السلطان أبا الحسن[8].

---

[1] المنوني،نظم الدولة المرينية،مجلة البحث العلمي،ع2،السنة الأولى، مايو أغسطس 1964، ص206 207.

[2] السلاوي،المصدر السابق،ج4، ص23، 69.

[3] البارودي،المرجع السابق، ص196. Gaspar Ramiro:Correspondencia diplomatic entre Granada Y Fez en el Siglo XIV,Revista del centro de studios historicos de Granada Y su reina,ano 1914,Num,1,Vol 4 p18.

[4] ابن خلدون ،العبرج7، ص373.

[5] ابن خلدون ،العبرج1،ص301.

[6] الحسن بن عبدالله،المصدر السابق،ورقة177.

[7] الغنيمي،المرجع السابق،ج3 ، ص271.

[8] ابن خلدون ،العبرج7،ص334،327، 383.

- **قادة الجند:** هناك قادة داخل الجيش المريني يتدرجون في سلطاتهم بشكل هرم وهم كالتالي:

أ **العريف:** يذكر صاحب كتاب تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس عند تناوله لرتب العساكر أن العريف قائد لخمسة قادة يطلق عليهم نظار، وكل ناظر تحت إمرته ثمانية من الجند ومن هنا نجد أن العريف تحت إمرته أربعين جندي وتسلم له راية يقوم برفعها أمام الجند[1]. وقد كان هذا المنصب موجود بالجيش المريني؛ وذلك كما ورد عند ابن خلدون عند حديثه عن الجند المريني بقاعدة جبل الفتح في عهد السلطان أبا عنان: "تمشت رجالات الثغر وعرفاء الرجل من غمارة الغزاة الموطنين بالجبل"، ومن أشهر عرفاء العسكر: سليمان بن داود[2].

ب **النقيب:** يكون تحت إمرته خمسة من العرفاء أي انه يقود مائتين من الجند، وهو كذلك تسلم له راية[3]. ولقد كان هذا المنصب موجود بالجيش المريني، وهذا ما نفهمه من حديث ابن خلدون عند تذمر رؤساء الجند من كثرة الحروب خلال حملة أبى عنان على تونس سنة 758هـ\1356م حيث يقول: "وضاق ذرع العساكر بشأن النفقات والإبعاد في المذاهب وارتقاب الخطر من دخول افريقية، فتمشت رجالاتهم في الانفضاض عن السلطان وداخلوا الوزير فارس بن ميمون فوافقهم على ذلك وأذن المشيخة والنقباء لمن تحت أيديهم من القبائل في اللحاق بالمغرب"[4].

ج **المقدم:** هو رئيس لخمسة نقباء ،تحت إمرته آلف من العساكر يعقد له علم[5]، ولقد وجد هذا المنصب بالجيش المريني، وهذا ما أورده النميري عند حديثه عن سير حملة أبى عنان إلى افريقية حيث يقول: "واقبلوا الجياد طريق قسنطينة كأنها أسراب القطا عليها كل مقدم مقدام شهير السطا إذا قصر سيفه كان وصله الخطا"[6].

* * *

[1] ابن هذيل: علي بن عبدالرحمن العزاوي الغرناطي ، تحقيق عبد الإله احمد نبهان محمد فاتح صالح زغل،ط1،مركز زايد للتراث، 2004م، ص129.
[2] ابن خلدون ،العبر،ج7 ،ص 391.
[3] ابن هذيل،المصدر السابق، ص129.
[4] العبر،ج7 ،ص394.
[5] ابن هذيل،المصدر السابق، ص129.
[6] المصدر السابق،ص275.

ثانيا: التنظيمات التعبوية والإدارية للجيش.

لاشك أن تلك العناصر، والفرق، والقيادة الحربية داخل الجيش يلزمها تنظيمات حربية في جوانبها التعبوية والإدارية وهذا ما سنتناوله فيما يلي:

1. : **التنظيمات التعبوية:** وهي تختص بنظم الجيش على ساحة التدريب أو المعركة، ولقد قُسمت إلى عدة أقسام وهي:

- **هيكلية الجيش:** انقسم الجيش المريني إلى خمسة أقسام، كباقي الجيوش الإسلامية ببلاد المغرب والمشرق الإسلامي في تلك الفترة، وهذه الأقسام هي: المقدمة والجناحان والقلب والساقة أو المؤخرة. ويكون بداية القتال بتقدم المقدمة ومن بعد تليها الميسرة وتتبعها الميمنة ومن بعد يأتي الدور على القلب والساقة[1].

فبالنسبة للمقدمة: هي التي تتقدم الجيش، وهى أولى الأقسام التي تبدأ الصدام في الحرب، وغالبا ما تتكون من فرقة الفرسان[2]. ويتولى قيادتها في أغلب الأحيان أحد أبناء السلطان المريني، وذلك كما فعل الأمير يوسف عند قيادته مقدمة الجيش في الأندلس سنة 676هـ\1277م[3].

أما الجناحان: فهما ميمنة وميسرة الجيش، وفيهما تكمن قوته، ويشتمل الجناحان عدة فرق من الفرسان والمشاة والرماة[4]، وعن القتال بهما يقول ابن أبي زرع: "فتقدم يوسف (ابن السلطان يعقوب بن عبدالحق) بالميسرة للقتال، وتابعه (أخاه) عبدالواحد بالميمنة للطعن والنزال"[65]. نلاحظ هنا أن القتال بالجناحان يكون بأن تتقدم الميسرة وتتبعها الميمنة، ويتولى قيادة الجناحين غالبا أبناء السلطان[7]، وإضافة لما سبق نقول إنه إنه في بعض الأحيان كان يتولى السلطان المريني قيادة إحدى الأجنحة، وذلك كما حدث عند حصار المرينيون لتلمسان عام 680هـ \1281م، حيث تولى السلطان يعقوب بن عبدالحق قيادة احد الأجنحة، وترك مكانه في قلب الجيش[8]، الذي لا نستبعد انه شغله غيره، ويمكن أن نرجع سبب قيام السلطان بهذا العمل، إلى أن احد الجناحين تعرض لضربة من الأعداء، أو لضعف مفاجئ ظهر به[9].

وكذلك من أقسام هيكلية الجيش القلب: وهو يقع في وسط الجيش، وفيه يتمركز قائد الجيش سواء كان السلطان أو غيره، وذلك "لتدبير الكل وترتيبهم وتأمر فيهم بما يجب

---

[1] ابن أبي زرع، القرطاس،ص310.

[2] ابن هذيل ،المصدر السابق، ص173.

[3] ابن خلدون ،العبرج7،ص259.

[4] ابن الخطيب ،نفاضة ،ص 136.النميري،المصدر السابق،ص 224.

[5] فمن خلال هذا النص نلاحظ أن هناك تمييز بين وظيفة الميسرة والميمنة،فالأولى للقتال وهذا ربما يشير إلى أنه تحتوى على الرماة وبرميهم يتم القتال،والثانية للطعن والنزال الذي لايتم إلا عن قرب ويكون لحملة السيوف والرماح والخناجر من فرقة الفرسان والمشاة

[6] ابن أبى زرع، القرطاس،ص310.

[7] أمثلة أخرى على تولي أبناء السلطان المريني قيادة الجناحان،ففي عهد السلطان عثمان بن يعقوب عند استفحال خطر أبو حمو الزياني في تلمسان سنة 714هـ جهز المرينيون جيشا لمحاصرته ومقاتلته، وكان يتولى قيادة الجناحان في هذا الجيش أبناه أبو الحسن علي وأبو علي عمر. ابن خلدون ،العبر،ج7 ،ص321 .

[8] ابن خلدون ،العبر،ج7 ،ص 204.

[9] ابن منكلى،المصدر السابق،ورقه118.

فعله"[1]، فمثلا السلطان يعقوب بن عبدالحق كان مكانه يتمركز في قلب الجيش الذي قاتل به يغمراسن بن زيان سنة 670هـ\ 1271م[2].

وأخيرا الساقة أو مؤخرة الجيش: وهى عبارة عن موكب خاص يتبع السلطان يكون في مؤخرة الجيش، ولقد اختلف حجم الساقة وما تحويه باختلاف فترات حكم سلاطين بني مرين، فبعضهم مكثر منها، والبعض الأخر مقلل[3]. وتتصل الساقة بالقلب عن طريق ممر يستخدمه السلطان للتنقل بينهما[4]، ونرجح أن وجود هذا الممر كان لدواعي أمنية.لقد كان السلطان عند تنقله من القلب إلى الساقة يحيط به شيوخ بني مرين، وهم بلباسهم الأبيض، ويأتي وراءهم قادة الروم. اشتملت الساقة على فرق وعناصر لمهام خدمية للجيش مثل:حاملي التموين والأمتعة، والثياب، وصناديق الذخائر[5]، والفعّلة، والبنائيين[6]، وأصحاب المهن[7]، وعمال البريد [8]، والأمناء[9]، والمترجمين[10]، وقاضى وقاضى الجيش[11]، والعلماء، والأدباء، والفقهاء[12]، والشعراء[13]، والهوادج، والنسوة[14].

- **التدريب العسكري:** كان التدريب العسكري للجند المريني من الأمور التي لقيت اهتماماً كبيراً من سلاطين بني مرين، حيث خصصوا له فترات تدريبية يومية يكون موعدها في أخر النهار بعد العصر، بمكان فسيح مخصص لذلك، حيث يجلس السلطان ويقوم الجند بتمثيل القتال أمامه، وذلك بأن يطارد الفرسان بعضهم، ويتطاعنوا، وكذلك يتم التدريب على المصارعة التي تساهم في تقوية عضلات الجند وبناء أجسامهم، والتدرب على المبارزة التي تسهم في زيادة فن القتال والطعن لديهم، ولكي يوضع الجند في صورة المعركة يشكل جزء منهم صفوفا طويلة تشبه تلك التي يشكلونها على ساحات القتال[15]، وفي أماكن أخرى فسيحة تسمى بالمرامي والجلسات، يتم تعلم الرماية بمختلف أنواع القوس، ومن خلالها يتقن الجند فن الرماية، وكيفية إصابة الأهداف، ولقد اشتهرت سبتة بمثل هذه الأماكن، وهذا ما أورده السبتي الأنصاري بقوله: "وعدد المرامي المعبر عنها بالجلسات وأماكن السبق المعلومات للرماة أربعة وأربعون مرمى، بالميناء تسع جلسات، جلسة الحفير بإزاء الحلويين (باب من أبواب سبتة) ...، إذ الرمي طبع لأهل سبتة طبعوا عليه، فلا تلقى منهم شريفا ولا مشروفا ولا كبيراً ولا

---

[1] ابن منكلى،المصدر السابق،ورقه 118.
[2] ابن أبي زرع،الذخيرة ،ص130- 131.
[3] الحريري،المرجع السابق، ص106، 261
[4] ابن أبي زرع،المصدر السابق، ص130- 131.
[5] النميري،المصدر السابق، ص226،260
[6] ابن هذيل ،المصدر السابق ،ص130.
[7] ابن الخطيب ،نفاضة، ص136.
[8] النميري،المصدر السابق، ص296.
[9] ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص149.
[10] ابن خلدون ،العبرج7،ص421.
[11] الباشا:حسن ،الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار الإسلامية،القاهرة،1965،ج2 ،ص866- 867.
[12] حركات،المرجع السابق،ج2،ص114.
[13] ابن الخطيب،كناسة،ص35.
[14] النميري،المصدر السابق، ص234، 235.
[15] القلقشندى،المصدر السابق،ج5 ، ص200. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص362.

صغيراً إلا وله بصر بالرمي وتقدم فيه"[1]، وهكذا وبهذه الطريقة يتدرب الجند على مختلف أساليب القتال. وبعد التدريب يصحح ما فيها من أخطاء.

- **استدعاء الجيش:** وهو ما يعبر عنه في وقتنا الحاضر بالنفير أو الاستنفار، الغاية منه جمع العناصر النظامية والمطوعة من مختلف أنحاء بلاد المغرب للحرب، ويتم ذلك بإرسال كبار الشخصيات المرينية من أبناء السلطان[2]، ووزرائه، وغيرهم[3] إلى شيوخ شيوخ القبائل وولاة المدن هناك، ويطلب منهم المشاركة في الحرب مع الدولة المرينية. والعناصر المستهدفة بالاستدعاء هي القبائل المغربية، والعربية وغيرهم من العناصر المقيمة في حدود الدولة، ومن أهم عمليات الاستدعاء، تلك التي قام به السلطان يعقوب بن عبدالحق عند إرسال ابنه الأمير عبدالواحد سنة 670م \1271م إلى مراكش لاستدعاء قبائل العرب وبني مرين والمصامدة وغمارة وصنهاجة والأغزاز والأندلسيين والنصارى للتجهيز لشن حرب ضد تلمسان[4]، وكذلك قيام السلطان أبا سالم سالم إبراهيم سنة 761 هـ \1360م بإرسال وزرائه إلى مراكش لاستدعاء مختلف العناصر المقاتلة للمشاركة في هذه حربه ضد بني عبدالواد، ويجب أن نشير هنا إلى أن ما تساهم به القبائل والمدن يطلق عليه الحصة، حيث كان مقررا على المدن التابعة للمرينيين المشاركة بحصة من خيرة شبابها في الجيش المريني، ودليلنا على ذلك تلك الحصة التي أرسلها أبوالقاسم العزفي حاكم سبته إلى السلطان يعقوب بن عبدالحق والتي تمثلت في خمسمائة من أمهر الرماة، وذلك أثناء قيام الأخير بتجهيز جيش للعبور إلى الأندلس سنة 684هـ \ابريل 1285م[5]، كما قام السلطان أبا الحسن بفرض حصة من الرماة على أهل جزائر بني مزغنان الذين تأخروا في تقديمها فأمر بأخذها بالقوة[6]، وبالطبع يتم مكافئة تلك العناصر المشاركة في الحرب عن طريق ديوان خاص يسمى ديوان العطاء والذي يغدق فيه الأموال لهم[7].
- **الاستعراض العسكري:** يمكن تصنيفه صنفان؛ استعراض الجيش واستعراض الموكب السلطاني، ولكل منهما هدف استحدث من اجله.

فبالنسبة لاستعراض الجيش: يكون بعد استكمال استدعاء مختلف عناصر وفرق الجيش، ومن بعد يتم صفها للعرض المخصص لذلك، ويكون الجند هنا بكامل عدتهم، وملابسهم الحربية، ومن أهم المناسبات التي يستعرض فيها الجيش، تكون عند تجهيزه قبل الخروج للحرب للتأكد من جاهزيته، وذلك كما فعل السلطان أبى سالم إبراهيم سنة 762هـ\1360م، عند عرض الجيش بفضاء المصّارة استعدادا للخروج للأندلس لمساعدة ملك بني الأحمر محمد الخامس على استعادة عرشه[8]، ومن المناسبات كذلك عند تعميم خبر للجيش بالعناصر الجديدة التي تم تثبيتها في ديوان العطاء والجند،كما

---

[1] السبتي: أبوعبدالله محمد بن القاسم الانصارى ،اختصار الأخبار عما كان بسبته من سني الآثار،تحقيق:عبدالوهاب بن منصور،ط2،الرباط،1983م،ص47.

[2] ابن أبي زرع،الذخيرة، 129.

[3] ابن أبي الحاج ،المصدر السابق ،ص245.

[4] ابن أبي زرع، المصدر السابق،ص129.

[5] ابن خلدون ،العبر، ج7، ص369، 273.

[6] البارودي.المرجع السابق، ص141.

[7] ابن خلدون ،العبر، ج7، ص428.

[8] ابن الخطيب، اللمحة، ص114.السلاوي، المصدر السابق،ج4، ص121. والهامش لنفس الصفحة،

أنه يتم عرض الجيش في يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، إضافة لعرض يكون كل ثلاثة أشهر. ولا نستبعد أن مناسبات العرض تتيح للسلطان المريني الاطلاع على الجيش وتجهيزاته القتالية، وكذلك يمكن من خلالها تمييز الفارس الماهر عن غيره[1]، ونعتقد انه عند ملاحظة السلطان لأي عيوب بالجيش، يتم تسجيلها من طرف كاتب الجيش، ويتم إصلاحها.

كان لهذا الاستعراض مراسم معينة تبدأ بعد خروج السلطان لساحة العرض وجلوسه على مكانه المخصص لذلك[2]، حيث يُخيم على مكان العرض جو من الهدوء والانضباط والانضباط والرهبة حتى أن الخيل تتأثر بذلك[3]. يبدأ الاستعراض بمرور الجند وهم متراصين ومتراصفين أمام السلطان المريني[4]، وبعد ذلك يقوموا ببعض العروض تتمثل في تمارين ومناورات حربية[5] مثل: مطاردة الخيل لبعضها والمبارزة بين الفرسان والمصارعة بين الجند، تقليدا لما تكون عليه الحرب[6]، وخلال العرض يقَّيم السلطان الجيش من النواحي التنظيمية والتعبوية، ويأمر بإصلاح الخلل إن وجد.

يتم العرض في ساحات خصصت لذلك في حول بعض المدن المرينية ومن أهم هذه الساحات ساحة برج الذهب[7]، وفضاء المصّارة[8]، أو الروض السلطاني بمدينة فاس، وهو ذلك الفضاء الذي يمتد إلى الجنوب من القصر السلطاني، وتوجد به اليوم مدينة (دار الدبيبغ)[9]، والفضاء الفسيح بمدينة تازة[10]، وساحة وادي ملوية المجاور لمدينة ملوية[11]، وساحة الميدان بمدينة تلمسان[12].

أما استعراض الموكب السلطاني: فالهدف منه عرض قوة السلطان أمام الأهالي، بهدف زرع هيبته في نفوسهم، ويكون ذلك بظهور السلطان المريني في موكب عسكري مكون من تشكيلة من العناصر والفرق الحربية بكامل عدتها، ويكون ذلك في عدة مناسبات منها: عند ذهابه ورجوعه من صلاة العيد، وهى مناسبة سنوية، ولقد أورد لنا صاحب صبح الأعشى وصفا دقيقا لموكب السلطان في هذه المناسبة بقوله: "وفي ليلة العيدين ينادى والى البلد – فاس – في أهلها بالمسير، ويخرج أهل كل سوق ناحية، ومع كل واحد منهم قوس أو آلة سلاح، متجملين بأحسن الثياب، ويبيت الناس تلك الليلة أهل كل سوق بذاتهم خارج البلد، ومع أهل كل سوق علم يختص بهم، عليه رنك أهل تلك الصناعة بما يناسبهم. فإذا ركب السلطان بكرة اصطفوا صفوفا يمشون قدامه، ويركب السلطان ويركب العسكر معه ميمنة وميسرة والعلوج خلفه ملتفون به، والأعلام منشورة وراءه، والطبول خلفها حتى يصلى ثم يعود، فينصرف أرباب

---

[1] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص137.
[2] السلاوي، المصدر السابق،ج4، ص237.
[3] المجالى: سحر عبدالمجيد مناور ، تطور الجيش العربي في الأندلس، المكتبة الوطنية، 1996م، ص171.
[4] العمري، المصدر السابق، ج4، ص212.
[5] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص37.
[6] العمري، المصدر السابق، ج4، ص133.
[7] السلاوي، المصدر السابق، ج4، ص237.
[8] ابن الخطيب، نفاضة، من موقع المصطفي، ص139.
[9] السلاوي، المصدر السابق، ج4، ص121. والهامش لنفس الصفحة.
[10] النميري، المصدر السابق، ص239. 173 - 220.
[11] ابن أبي زرع، القرطاس، ص403.
[12] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص137.

الأسواق إلى بيوتهم، ويحضر طعام السلطان خواصه وأشياخه"[1]، وكذلك من المناسبات المناسبات التي يشكل فيها الموكب السلطاني تكون عند خروج الجيش للحرب، وذلك كما فعل السلطان أبي عنان في 20 جمادى الأول 758هـ\11 مايو – 1356م هـ عند خروج جيشه من مدينة فاس إلى افريقية، ولهذا الموكب طقوس تختلف عن سابقه، وتكون بأن يتقدم الموكب قبتان لهما غشاءان من الحرير مذهبان، تحوى القبة الأولى مصحف الخليفة عثمان، والقبة الثانية بها صحيح البخاري ومسلم، وبعد ذلك يأتي السلطان وخلفه قادة النصارى بخيولهم ويتسلحون بالرماح، ويأتي خلفهم حاملي الرايات بمختلف ألوانها، وعلى إثرهم فرقة موسيقية من حملة الطبول والمزامير،.وبعد ذلك تمر كتائب الجيش بكامل زيها وعدتها، يتقدمها قادتها وهم يحملون الرايات[2]،ومن المناسبات كذلك عند دخول المدن التي فتحها الجيش المريني، وذلك مثلما حدث في مدينة تونس التي فُتحت في سنة 748 هـ\1347م، حيث كان استعراض الموكب السلطاني بها؛ بأن اصطف الجند صفين على المسافة الممتدة من معسكر الجيش بمكان يعرف بسيجوم إلى مدخل المدينة، والتي يصل طولها تقريبا إلى ثلاثة أميال أو أربعة، وركب السلطان موكبه من مقر إقامته بالمعسكر يحيط به كبار الشخصيات المقربة منه، ورافق ذلك قرع الطبول، ورفع الرايات، واستمر ذلك إلى أن وصل المدينة[3].

- **التكتيكات الحربية:** وهى تشمل الخطط الحربية على ارض المعركة، وحصار المدن وهى كالأتي:

الخطط الحربية: وهى أسلوب يبنى على الخديعة، وقد تُحقق بها نتائج أحسن من تلك التي يحققها القتال المباشر، ولقد نُصح بها كبار القادة، لقد قال أرسطاطاليس قديما[4] لإسكندر المقدوني[5]: "وإن أمكنك أن تكون أمورك كلها في الحروب خدائع فأفعل"، وعن أسامة بن زيد قال: "كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا غزا اخذ طريقا وهو يريد أخر ويقول الحرب خدعة "[6]، كما كان المهلب ابن أبى صفرة[7] يقول لبنيه: "عليكم "عليكم في الحروب بالمكيدة فإنها ابلغ من النجدة[8]"، ومن هنا اعتمدت الجيوش المرينية المرينية على الخطط الحربية كوسيلة لتحقيق الانتصار، ويتم ذلك بأن يجمع السلطان المريني وزرائه، وقادة القبائل، وابرز الشخصيات في مجلس حربي ويستشيرهم في ما يستوجب وضعه من خطط[9].

وعلى ما يبدوا أن المرينيين أبدعوا في وضع الخطط الحربية التي تهدف إلى ضرب الروح المعنوية والإمكانيات المادية للعدو، فقد قاموا بخطط حربية قائمة على الحرب

---

[1] القلقشندى، المصدر السابق، ج5، ص207.
[2] النميري،المصدر السابق، ص223. 224 225.
[3] ابن خلدون ،العبر،ج7 ،ص357.
[4] فيلسوف ومعلم وعالم يوناني. ابن هذيل ،المصدر السابق،ص294
[5] حكم مقدونيا في الفترة 356 - 323 ق.م ويسمى الاسكندر الأكبر فتح الكثير من بلاد العالم ونقل إليها الأفكار الإغريقية.هامش ابن هذيل ،المصدر السابق،ص294- 295.
[6] ابن هذيل،المصدر السابق،ص294
[7] أهم ولاة الأمويين على خراسان. عينه الحجاج عاملا على خراسان عام (79هـ - 697م)،وعُرف بالذكاء،والحكمة،وهو يؤمن بفكرة الخديعة. في الحرب .ابن خلكان،المصدر السابق،ج5، ص351، 352، 352..
[8] النجدة هنا بمعنى الجرأة في القتال عن الصدام مع العدو. ابن خلكان،المصدر السابق،ج5،ص294.
[9] حركات، المرجع السابق،ج2،ص114.

النفسية: والهدف منها إضعاف الروح المعنوية لجيش العدو، وكانت تتم بعدة طرق منها: قيام الجيش المريني بحمل أعداد كبيرة من الألوية والرايات، وقرع الطبول، والتهليل[1] والتكبير بصوت عالي، لان كل ذلك يوحى بالكثرة العددية، والقوة، وهذا بإمكانه زرع الرعب في قلوب الأعداء ويؤدى إلى هزيمتهم، وكذلك استخدموا أسلوب تقديم الغنائم، والسبي، والأسرى أمام جيوشهم ليراها العدو، وكذلك هذا يوحى للعدو بقوة خصمهم وضخامة ما حققه من انتصارات، مما يثير فيه الرعب والفزع، ولقد استخدمت هذه الخطة في زمن السلطان يعقوب بن عبدالحق في معركة أستجة ضد القشتاليين سنة 674 هـ \1275م، وأيضا من الخطط التي استخدمها المرينيون للتأثير في معنويات العدو وإيهامه بقوتهم، الخروج بصحبة العيال والخيام، والجواري والنساء، وبالطبع كل هذا يكثر من عدد الجيش، مما يجعل الفزع يتسلل إلى نفوس الأعداء ويغيظهم، ولقد استخدم يعقوب بن عبدالحق هذه الخطة أثناء توجهه لغزوه تلمسان سنة 670 هـ \ 1271 م [2].

ومن الخطط كذلك أسلوب الأرض المحروقة: وهو أسلوب اتبعه المرينيون لضرب اقتصاد العدو حتى يتم إخضاعه، ويكون ذلك بتخريب المدن والقرى وحرق المزارع واقتلاع أشجارها ولقد أجاز أهل العلم ذلك، يقول صاحب كتاب تحفة الأنفس: "يجوز تحريق ارض العدو وزرعهم وعقر دوابهم ...، وكذلك قطع شجرهم وتخريب بلادهم، وفعل كل ما يُنّكيهم إذا رأي الإمام في ذلك صلاحا واستعجالا بإسلامهم أو ليضعفهم به فيعين ذلك على الظفر بهم عنوة أو صلحا"[3]. ومن أمثلة ذلك ما قام به السلطان يعقوب بن عبدالحق سنة 670هـ\1270م، عندما أمر جيوشه بالاستمرار في شن الغارات على ممتلكات بني عبدالواد الواقعة بمدينة وجدة، والمحيطة بتلمسان دون رحمة ولا شفقه، وفعلوا ذلك متبعين سياسة الأرض المحروقة بالتخريب، والتهديم، وإفساد الطرق، كما قام هذا السلطان عند حربه لمملكة قشتالة سنة 674 هـ \ 1275 م، بحرق كل ما يحيط بها من زرع، وهدم المباني، والقتل والسبي[4].

وأيضا قام المرينيون بابتكار خطط تقوم على وضع الكمين، ويكون ذلك بنصب فخ لجيش العدو بهدف إنزال الهزيمة به، أليس بالكمين تقهر الجيوش الجرارة، ويقول صاحب كتاب تحفة الأنفس عن الكمين: "من أعظم المكايد في الحروب الكمين، ولا يحصى كثرة. كم عسكر استبيحت بيضته وفل غربه بالكمين، وذلك أن الفارس لا يزال على جهة من الدفاع وحمى الذمار حتى يلتفت فلا يرى وراءه بندا منشورا ولا يسمع ضرب الطبل"[5].

ويكون الكمين المريني بأن ينقسم الجيش قسمين، القسم الأول يكون ظاهرا للعيان وهو من سيقوم بعمل مناوشات مع جيش العدو ويستدرجه للكمين، والقسم الثاني وهو يمثل الكمين وفي الغالب يتكون من الجزء الأكبر من الجيش ويختبئ في مكان بعيد

---

[1] ابن الخطيب،نفاضة ،ص138.
[2] ابن أبي زرع،الذخيرة،ص147 129.
[3] ابن هذيل ،ص174.
[4] ابن خلدون ،العبرج7،ص245، 228.
[5] ابن هذيل،ص283.

عادة ما يكون خندقا، وتكمن الخطة في قيام القسم الأول بالتظاهر بالانهزام أمام جيش العدو، لكي يلحق به، وعندئذ يستدرجه إلى مكان اختباء القسم (الكمين)، ومن بعد يظهر عليه الكامنين وينزلوا بالعدو اشد هزيمة، وقد استخدم المرينيون هذا الكمين في فترة مبكرة من عهدهم في سنة 649 هـ \1251م وذلك عند لقائهم مع الموحدين في موضع يسمى (أمن ملولين)، حيث خرج الأمير الموحدي المرتضى بجيشه من مراكش لقتال المرينيين، وعند بداية القتال اصطنع الجيش المريني الفرار فتتبعه الجيش الموحدي، وبالطبع كان المرينيون قد اعدوا كمين تمثل في خندق يختبئ فيه بقية الجيش، بهدف الانقضاض على جيش الموحدين في الوقت المناسب، ولكن سرعان ما أفاق الموحدون بالكمين ولم يواصلوا تتبع الجيش المريني وذلك خوفا من هذا الكمين[1]، ومن المرجح أن سبب إخفاق هذا الكمين في تحقيق نتائجه راجعا إلى عدم تمرن الجند المريني عليه جيدا، لأنه كما نلاحظ كان في فترة مبكرة من عهدهم.

ولكن عندما تمكن المرينيون فعلا من إتقان فن وضع الكمين أصبح أداة نصر لهم، ففي سنة 668 هـ\1269م، استخدموا الكمين، حيث تصنعوا الفرار أمام جيش الموحدين بقيادة أبي دبوس، والهدف هنا إبعاد الموحدين عن عاصمته مراكش لكي يصعب عليهم الرجوع إليها ويسهل الانقضاض عليهم، وبالفعل انقلب الجيش المريني على جيش الموحدين، وعند محاولة الموحدين الرجوع إلى مراكش للاحتماء بها لم يتمكنوا من ذلك لبعدهم عليها، ولانقضاض المرينيون عليهم، ولقد ترتب على ذلك هزيمة الموحدين ومقتل قائدهم أبى دبوس[2].

وعند انتقال الحروب المرينية إلى الأندلس حيث جيوش النصارى المحنكة في فنون القتال نجد المرينيون يقوموا باستخدام خطة الكمين بعد ما أحدثوا عليها بعض التطوير، والتطوير هنا يكمن في أن الكامنيين كانوا فرق من الرماة بالقوس والرماح، حيث كانت في السابق فرق مقاتلة بالسيوف، ففي سنة 676هـ\1277م، كما تذكر الحوليات القشتالية أن الجيش المريني نصب كمينا إلى (دون سانشوا) ابن خايمى الأول ملك أراجون (1224- 1274م\621 673هـ)، الذي اندفع مع مجموعة من جنده لمهاجمة الجيش المريني، فخرج عليه كمين مكون من الرماة فأمطره بالسهام والرماح، فلقوا مصرعهم جميعا[3].

وبالطبع هذا لا يعنى أن تلك الكمائن التي استخدمها المرينيون ضد الموحدين لاتجدي نفعا عند قتالهم للنصارى، بل كانت في بعض الأحيان أكثر جدوى من غيرها، فمثلا في سنة 684هـ\1285م، توجه الجيش مريني بقيادة عياد العاصمي إلى مدينة شريش، حيث قام هذا القائد بوضع كمين للحامية القشتالية هناك، وكان ذلك باختباء الجيش في خندق بالقرب من مدينة شريش، وسار هو في أربعة من الجند وحملوا راية حمراء ووصلوا بها أبواب المدينة، فشاهده الجند القشتالي فخرجوا إليه من شريش، فجرهم إلى الخندق، وخرج عليهم الكمين، فقطعهم عن المدينة وقتل منهم الكثير[4]. كما

---

[1] ابن عذارى ،المصدر السابق، قسم الموحدين ،ص400.

[2] ابن أبي زرع ،الذخيرة ،ص117.

[3] yala:Op.cit.P.P50-51.

[4] ابن أبي زرع، القرطاس،ص467.

قام المرينيون في السنة نفسها عند الهجوم على مدينة اشبيلية بتقسيم الجيش إلى فرقتين كل فرقة تتكون من خمسمائة فارس، حيث قامت فرقة بمهاجمة العدو، والفرقة الأخرى اختبأت، والخطة تكمن في أن تنهك الفرقة الأولى قوة العدو، ثم تخرج عليه الفرقة الثانية وتقضى على ما تبقى منه[1].

وكذلك من الخطط استمالة العناصر المقاتلة من جيش العدو: فهي من ضمن الخطط الحربية التي استخدمها المرينيون، وكانت تتم في الغالب بدفع الأموال لعناصر من جيش العدو؛ بهدف استمالتهم أو أن يأخذوا طرف الحياد، فمثلا نجد الأمير المريني أبي يحيى أبا بكر بن عبد الحق في سنة 653 هـ \ 1255 م يستميل القبائل العربية المقاتلة في صفوف جيش الموحدين، وذلك بعد أن أرسل إليهم مبلغا من المال، وعند بداية المعركة انسحبت هذه القبائل من صفوف جيش الموحدين[2] وبالطبع هذا كان له بالغ الأثر في صفوف الموحدين.

- **حصار المدن:** يعتبر من ضمن التكتيكات الحربية التي قام بها الجيش المريني لهزيمة الأعداء داخل مدنهم التي يتحصنوا بها، حيث كان المرينيون في بعض الأحيان يستعينون بالخبراء الأندلسيين في فن الحصار وخاصة الغرناطيون منهم، ومثال ذلك عند حصار السلطان يوسف بن يعقوب لتلمسان سنة 702هـ\1302م أرسل إليه ملك بني الأحمر محمد الثالث(المخلوع) بن محمد بن الأحمر(701 708هـ\1301 1308م) قوة من الخبراء العسكريين لمعاونته في حصارها[3]. وعند حصار المرينيون للمدن كانوا يستخدمون عدة وسائل لتشديد الحصار عليها، وتسهيل عملية اقتحامها ومن هذه الوسائل:

أ- **الأبراج الخشبية:** وهي عبارة عن بناء متحرك يغطى بالحديد والجلد، يستخدم للاقتراب من أسوار مدن العدو بهدف التضييق عليها، وغالبا ما كان يتم تسييره بعجلات من الحديد أو الخشب. ويتكون البرج من عدة طوابق يصل بينها سلم داخلي، وفوق البرج توجد قنطرة تُلقى على أسوار المدن لكي يتمكن الجند من الصعود إليها واقتحامها[4]، وقد قام المرينيون ببناء أبراج خشبية أمام أسوار المدن المحاصرين لها؛ لان هذه الأبراج تمكن فرقة الرماة من رمي الأعداء وإضعاف حركتهمولقد أستُخدِم هذا الأسلوب في عهد السلطان أبى الحسن عند حصاره لتلمسان سنة 736هـ\1335م حيث "شيد قبالة كل برج من أبراج البلد برجا على ساقه خندقه، ينضخ رماته بالنبل رماتهم، ويشغلوهم بأنفسهم حتي شيدوا برجا آخر اقرب منه، وترتفع شرفاته فوق خندقهم"[5]، وبالطبع جاء هذا بنتيجة طيبة، وكذلك استخدمت الأبراج في عهد السلطان أبى عنان أثناء حصاره لقسنطينة عام 758 هـ \ 1357م. وذلك لشدة تحصينها، حيث قام بإنشاء عدة أبراج خشبية أمام أبوابها، وأمر بأن تُقام الأبراج على خط

[1] ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص449.
[2] ابن عذارى ،المصدر السابق ـ قسم الموحدين ـ ،ص408.
[3] ابن خلدون ،العبرج7،ص314، 301.
[4] .زكى: عبد الرحمن ،السلاح في الإسلام،ط1،مصر، الجمعية التاريخية،دار المعارف،ص13 ـ ص14 .
[5] ابن خلدون ،العبر ،ج7 ،ص305.

واحد، وعهد إلى عدد من قواده ببناء هذه الأبراج، كما انه تولى بنفسه الإشراف على بناء احد هذه الأبراج[1].

ب **سلالم الحصار:** وهي عادة ما تصنع من الحبال المتينة وتنتهي بخطافات حديدية، ويكون استعمالها بان تُرمى على الشرفات والأسوار، فتعلق بها، ويصعد عليها الجند، ويقتحمون الحصون، وهي تعتبر من الوسائل التي استعملها المرينيون أثناء حصارهم للمدن، وبواسطتها تمكنوا من الصعود إلى أبراج وأسوار المدن المحاصرة، وقد أشار ابن أبي زرع إلى أن الجيش المريني استخدم السلالم أثناء حصاره لمدينة طنجة سنة 672 هـ 1273 م وذلك أثناء نصبها على أسوارها وأبراجها للصعود بوساطتها، مما أدى إلى حدوث صدام فوق تلك الأسوار والأبراج[2]. كما استخدمت السلالم أثناء حصار المرينيون لقسنطينة سنة 758هـ\1356م[3].

ج **الأسلحة[4] والمعدات:**استخدم المرينيون عند حصارهم للمدن العديد من الأسلحة والمعدات، وتمثلت تلك الأسلحة في المنجنيق والأقواس مثل قوس الزيار، والرماح، والسيوف[5] ونيران النفط والسهام[6]. أما المعدات فتمثلت في الجواريف والفؤوس والمعاول[7]، والتي تستخدم للردم وتسوية الخنادق المحيطة المحيطة بالأسوار[8].

د **قطع المؤن:** قام المرينيون عند حصارهم لمدن العدو بقطع المؤن عنها، ولقد استخدموا هذا الأسلوب منذ بداية عهدهم، حيث قام الأمير أبى بكر بن عبد الحق سنة 642هـ\1244م بمحاصرة مكناسة، وقطع عليها الماء والغذاء، ونفس الأسلوب اتبعه عند حصاره لمدينة فاس 646هـ \1248 م[9]، كما استخدم يعقوب بن عبدالحق هذا الأسلوب عند تكليف ابنه الأمير يوسف بحصار مدينة سبته سنة 672 هـ\1273م، حيث قطع عليها جميع ما كان يأتيها من الخارج[10]، وكذلك السلطان يوسف بن يعقوب عند حصاره لتلمسان سنة698هـ\1298م، نجده يقطع عليها المؤن وكان "ينزل شديد العقاب بمن يُمِيرَ ها ويأخذ بالمراصد على من يتسلل بالأقوات إليها"[11].

2. **:التنظيمات الإدارية:** وهي تشمل في الغالب الوظائف الإدارية الحربية، أي ليس لها علاقة بالقتال وميادينه، ومنها ما يلي:

---

[1] النميري،المصدر السابق،ص295.
[2] ابن أبي زرع،الذخيرة،ص137.
[3] النميري،المصدر السابق،ص296.
[4] سوف يتم الحديث عنها لاحقا في المبحث الثالث من هذا الفصل.
[5] ابن خلدون ،العبرج7 ،ص305،291.الأعرج: عبد العزيز محمود،مدينة المنصورة المرينية بتلمسان دراسة تاريخية أثرية في عمرانها وعمارتها وفنونها،ط1،،القاهرة،مكتبة زهراء الشرق،2006م ،ص33.
[6] احمد عزاوى،المغرب الإسلامي،الرباط،2007م،ج2،ص27.
[7] ابن أبي زرع ،روض القرطاس ،ص257.
[8] احمد عزاوى،المرجع السابق،ج3،ص27.
[9] ابن خلدون ،العبرج7،ص227، 230.
[10] ابن أبي زرع،الذخيرة،ص137.
[11] ابن خلدون ،العبر،ج7 ،ص262.

- **ديوان الجيش:** أسس المرينيون هذا الديوان لتنظيم جيوشهم، فعن طريقه تتم أعمال الجباية، وحفظ الدخل والخرج، وإحصاء العساكر كل حسب اسمه، وتقدير ما يستحقه من راتب وعطاء ويثبت في ديوان الجند العناصر النظامية فقط، وتصرف لهم رواتب، أما العناصر المطوعة فلم تكن تثبت بالديوان؛ لأنها عناصر تدخل ضمن الجيش عند استدعائها،وبمجرد انتهاء الحرب تصرف لها أعطياتها ونصيبها من الغنائم[1]. ثم ترجع من حيث أتت، ويترأس هذا الديوان شخص عسكري يطلق عليه كاتب ديوان الجند[2]، أو أو كاتب الجباية والعسكر[3]، وبالطبع يجب أن يتصف هذا الكاتب بالحسب، والفضل، والنزاهة، والأمانة[4]، ومن أشهر الشخصيات التي تولت هذا المنصب: أبا الحسن القبائلي، وأبا الفضل بن عبدالله بن أبى مدين[5]، ومحمد بن أبى عمر الحاجب في زمن السلطان أبي الحسن.وعلي بن محمد بن مسعود في عهد السلطان أبى سالم إبراهيم[6]. والشيخ محمد بن أبى القاسم بن مرين العثماني في عهد السلطان أبي زيان محمد[7]. ويتبع هذا الديوان وظائف أخرى منها: وظيفة كاتب علف خيل السلطان[8].
- **مصادر دخل الجند:** وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي: الرواتب، والغنائم، والعطاء، فبالنسبة للرواتب: منح المرينيون جندهم رواتب كبيرة تتراوح ما بين ستة مثاقيل[9]، وثلاثون مثقال، وستين مثقالا من الذهب في الشهر، وذلك تبعا للرتبة[10]، وقد كان لهذه الرواتب عدة مصادر تتمثل في الزكاة[11]، والضرائب التي تفرض على المدن وأصحاب الماشية، وفي هذا الشأن يقول العمري: أنه في عهد السلطان أبا سعيد عثمان بن يعقوب بن عبدالحق (710- 731هـ\1310- 1331م) كانت تفرض العديد من الضرائب على المدن المرينية ومن هذه المدن فاس، ومراكش، وسجلماسة، ودرعة، حيث تدفع كلا منها مائة وخمسون ألف مثقال[12] من الذهب، كما كانت سبتة تدفع خمسون ألف مثقال، وآسفي، وأغمات[13] كلاهما تدفع خمسة وعشرون ألف مثقال[14]، كما يقول ابن مرزوق أن مدينة فاس زمن السلطان أبا الحسن كانت تدفع ضرائب تكفى لرواتب جند النصارى القشتاليين في الجيش المريني[15]، كما قام بعض سلاطين بني مرين بدفع رواتب الجند من ممتلكات أوقاف الدولة، وذلك كما فعل السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب عند

---

[1] ابن خلدون ،العبر،ج1 ،ص305،302.
[2] المصدر السابق،ج7،ص352.
[3] السلاوي،المصدر السابق، ج4، ص146.
[4] ابن مرزوق،المصدر السابق،ص59.
[5] ابن خلدون ،العبرج7 ،ص315، السلاوي،المصدر السابق، ج4 ،ص 146.
[6] ابن خلدون ،العبرج7،ص380،525.
[7] ابن الخطيب،نفاضة ،ص148.
[8] مجهول،ذكر مشاهير أعيان فاس في القديم، تحقيق عبدالقادر زمامه،مجلة البحث العلمي،ع3،الرباط ،1964 م، ص95.
[9] المثقال يساوى 4غرام اى ما يساوى 72 حبه من الشعير ابن خلدون،العبر،ج1،ص219.
[10] القلقشندى،المصدر السابق،ج5 ،ص205.
[11] ابن مرزوق،المصدر السابق،ص267.
[12] العمري،المصدر السابق،ج4،ص119.
[13] أغمات:مدينة تقع قرب مراكش وعلى بعد أربعة مراحل من المحيط الأطلسي والسوس الأقصى.الحموي،المصدر السابق،ج1،ص225.
[14] العمري،المصدر السابق،ج4،ص118.
[15] المصدر السابق،ص157.

تسديده لنفقات الجيش من أوقاف المستشفيات والمدارس[1]، أما عن الغنائم فهي التي تحصل عليها الدولة من الحروب، حيث يتم توزيعها على الجند بعد إخراج الخمس لبيت المال، وذلك بأن يعطى للراجل سهم واحد، وللفارس سهمين[2]، وهذا النظام هو المتعارف عليه في الدول الإسلامية، تبعا لقوله تعالى:{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[الأنفال:41]. ومن الأمثلة على ذلك ما كان عقب انتصار السلطان يعقوب بن عبدالحق على جيش القشتاليين في موقعة أستجة سنة 674هـ\1275م، حيث جمع الغنائم واخرج الخمس لبيت المال وقسم الباقي على الجند[3]، وأخيرا العطاء فهو كان في في الغالب يعطى للعناصر المقاتلة غير النظامية قبل وبعد الحرب[4]، فقد أعطى السلطان السلطان أبو الحسن للفرسان والمشاة والرماة مبالغ عالية، بلغت خمسة وثلاثين آلف دينار من الذهب، بالإضافة إلى خمسة آلف كسوة، كما اختص الفرسان بألف من الخيل المجهزة[5]، كما منح عطاء للعائلات المحتاجة التي لها أبناء أو أقارب في الجيش، فقد كان هناك رجل له عشرة أولاد في الجيش، وكان رجلا محتاجاً، فلم علم به السلطان أمر بصرف مائة دينار لكل واحد من أولاده، وأعطاه داراً وكسوة لأهله، كما منح عطايا لقواد العساكر والقضاء والأئمة والخطباء والحاشية في كل من عيد الفطر، والأضحى، والمولد النبوي[6].

- **قاضى العسكر:** وهو شخص يعينه السلطان للفصل في القضايا العسكرية داخل الجيش[7]. مثل المنازعات، وتوزيع الغنائم، والخراج[8]، وكان من الواجب عليه التعجيل التعجيل بحل تلك القضايا التي تظهر داخل الجيش وهو على ارض المعركة، وذلك حتى لاتؤثر على نفوس الجند[9]. وهناك عدة صفات يجب أن يتحلى بها كل من يتولي هذا المنصب مثل: الصلاح، والتقوى، والفقه في قضايا الدين، والحرص على الالتزام بالعدل[10]، ومن أهم الشخصيات المرينية التي تولت هذا المنصب القاضي أبا سالم إبراهيم بن أبى يحيى، وأبوعبدالله محمد بن عبد النور في عهد السلطان أبي الحسن،.والقاضي محمد بن احمد بن أبى بكر التلمساني المقري، الملقب بالقاضي المقري الذي تولي منصب القضاء زمن السلطان أبي الحسن،وابنه أبي عنان. والقاضي ابوالقاسم محمد بن يحيى بن محمد البرجى من أهل غرناطة توفى سنة 786 هـ 1384 م تولي القضاء في عهد السلطان أبي عنان، ولقد استمر فيه إلى أيام السلطان

---

[1] محمد المنوني،ورقات،ص125.
[2] ابن أبي زرع،الذخيرة ،ص151.
[3] ابن أبي زرع ،روض القرطاس،ص286، 416.
[4] حركات،المرجع السابق،ج2،ص114.
[5] القلقشندى،المصدر السابق، ج5،ص198
[6] ابن مرزوق،المصدر السابق،ص79.
[7] الغنيمي،المرجع السابق، ص272.
[8] الماوردى: علي بن محمد بن الحبيب البصري البغدادي ،الأحكام السلطانية والولايات الدينية،تحقيق:محمد أمبارك اليغدادي،ط1، دار ابن قتيبة ،الكويت ،1409هـ\1989م ،ص93، 94.
[9] الباشا،المصدر السابق،ج2، ص866 867 .
[10] الماوردى،المصدر السابق، ص89، 90.

أبي سالم إبراهيم[1]، والقاضي احمد بن محمد الهنتاتى المعروف بالشمَّاع تولي القضاء زمن أبى فارس عبد العزيز.والقاضي احمد بن العجل الموزر(توفى سنة 856 هـ\1452م) تولي القضاء في عهد عبد الحق بن أبى سعيد عثمان الثالث أخر سلاطين بني مرين[2]

- **المجلس الاستشاري الحربي:** وهو مجلس يرجع إليه السلطان في الأمور المتعلقة بالحرب والسياسة الخارجية للدولة مثل إعلان الحرب، والتعبئة العامة، وجمع الضرائب، وإرسال السفارات، وعقد المعاهدات[3]، ووضع الخطط، وهذا ما نلاحظه من من الأبيات الآتية:

ويأمر الكتاب بالأوامر **** في باطن من أمره وظاهر
ويدخل الأشياخ من مرين **** للرأي والتدبير والتبيين

يتكون هذا المجلس من أشياخ بني مرين، ومشايخ القبائل العربية، وأشياخ المطوعة، وقواد الأندلس، والأغّزاز، والفقهاء، والصلحاء، ويتم اخذ الآراء فيه بالترتيب فمثلا يتم مشاورة أشياخ بني مرين ثم أشياخ العرب ثم أشياخ المطوعة ثم قواد الأندلس ثم قواد الأغّزاز والفقهاء والصلحاء [4].

- **صاحب البريد:** كانت مهمته توصيل جميع الرسائل التي تخص أمور الدولة، ومن بعد أصبح هناك شخص يختص بنقل البريد العسكري، وقد أسند إليه كذلك مهام أخرى منها: مراقبة أمن الثغور، ومراقبة الطرق[5]، وإعطاء تقارير عنها للسلطان، وهناك صفات يجب أن تتوفر في صاحب البريد وهي: أن يكون فصيحا، وحسن الخط، وعالما بالنحو، كما يجب أن يكون عارفا بالطرق، والقناطر، والجسور، واتصالات الطرق[6]، كما يجب أن يتصف بالقوة، والذكاء، وسريع الركض، وقد اشتهرت قبائل بلاد المغرب بهذه الشخصيات، وخاصة قبيلة جزولة "فيها رجال ... خِفَاف دقاق السوق خمص البطون يجرى احدهم خلف الفرس فيلحقه[7]"[8]، ويستخدم صاحب البريد الخيل لأداء مهمته، ولقد وفرت له خلال المسافة التي سيقطعها محطات للاستراحة يستبدل فيها حصانه ويأخذ تموينه[9].

كان صاحب البريد في عهد الدولة المرينية يستخدم عدة أساليب في نقل الرسائل، ومنها: أسلوب المكاتبة، والأسلوب الشفهي، وإرسال الحمام، وبالنسبة للأسلوب الأول فهو مشتق من الكتابة، حيث تستخدم الصحيفة فيه والتي تكتب فيها الرسالة وتاريخ كتابتها، أما الأسلوب الثاني فهو يعتمد على نقل الأخبار شفهيا، مثال ذلك ما ذكره ابن الحاج النميري أن السلطان أبا عنان مكث في بجاية ينتظر قدوم الأسطول ،حتى جاء

---

[1] السلاوي،المصدر السابق،ج 4، ص240.
[2] المنوني ،نظم المرينيين ،ص219.
[3] الغنيمي،المرجع السابق، ص270.
[4] ابن أبي زرع،الذخيرة، ص92، 148 .
[5] الحسن بن عبدالله،المصدر السابق،ورقه 167.
[6] ابن منكلى،المصدر السابق،ص175.
[7] تشبيه عن السرعة.
[8] الحسن بن عبدالله،المصدر السابق،ورقة74.
[9].ابن صاحب الصلاة: عبدالملك(ت590\1198م)، تحقيق: عبدالهادي التازي، لبنان،دار الغرب الإسلامي، 3ط ،1987م، ص402، 403.

صاحب البريد بقدوم الأسطول[1]، وهنا إشارة لشفهية الرسالة، أما أسلوب إرسال الحمام الحمام فقد كان يستخدم بشكل واضح في ظروف الحرب، وخاصة عند حصار المدن، ومثال ذلك إرسال الحمام الزاجل من جبل الفتح إلى الجزيرة عند حصار ألفونسو لها[2].

لها[2].

* * *

[1] ابن صاحب الصلاة،المصدر السابق،ص 269.
[2] ابن أبي زرع،القرطاس ،ص432.

ثالثا: عدة الجيش المريني:

كان للجيش عدة يحملها في الاستعراض وأثناء القتال وتتمثل في ثلاثة أقسام: الأسلحة، وزى الجند، والطبول، والمزامير، والألوية، والرايات.

- **الأسلحة:** فانطلاقا من أن الأسلحة المرينية لاتختلف كثيرا عن تلك الأسلحة التي استخدمها المرابطين، والموحدين، والأندلسيين، والتي اغلبها ذات طابع مشرقي، ونظرا لندرة المصادر المغربية في هذا المجال، اضطررنا للاستعانة بالمصادر، والمراجع المشرقية القريبة من فترة الدولة المرينية، ونخص بالذكر المملوكية منها، وذلك لسد النقص في المادة العلمية للأسلحة، وبالطبع هذا لا يمنع من تناول جوانب التطور في الأسلحة المرينية.

بذل المرينيون كل ما بوسعهم في سبيل بناء وتطوير أسلحتهم الدفاعية، والهجومية في المجالين البري، والبحري حيث كانت أسلحتهم في البداية ذات طابع دفاعي[1]، ومن بعد قاموا بتطويرها، وانتقلوا بها من كونها أسلحة دفاعية إلى هجومية ودفاعية معا، بحيث أصبحت قادرة على تحقيق الانتصارات لهم ببلاد المغرب والأندلس، ولقد تمكن المرينيون من الاستكثار من الأسلحة، وذلك لقيامهم بعدة خطوات منها: منع تصدير الأسلحة المرينية، فمثلا قام السلطان أبوالحسن المريني بمنع التجار الميورقيين من تصدير السلاح، والخيول، والجلود المغربية من المغرب إلى الخارج[2]،إضافة لذلك القيام باستيراد الأسلحة من الخارج مثل استيراد القوس العربية[3] من بلاد المشرق. والقوس الفرنجية من الأندلس[4]، وكذلك القيام ببناء العديد من دور صناعة الأسلحة بفاس والتي تخصصت في صناعة السروج، والسيوف، ومستلزمات الخيل[5]. وكذلك دور صناعة بمدينة سبتة والتي تميزت بصناعة مختلف أنواع الأقواس، ولقد وصفها لنا السبتي بتوسع، وأطلق عليها تسمية المناحر، حيث وصل عددها إلى أربعين منجزة، توزعت في عدة أماكن بالمدينة مثل الممر الأعظم، ومنازل المعلمين، كما انه ذكر لنا بعض العائلات التي أتقنت هذه المهنة مثل: بني القطري، وبني ابن الغالب وغيرهم الكثير، وإضافة إلى ذلك ذكر لنا أشهر الأشياخ الصُنّاع بالمدينة مثل: الشيخ الشريف معظم أبو عبدالله بن عبدالله الحسنى، والشيخ أبو عبدالله محمد حسنى[6]. كما قام المرينيون ببناء مخازن للأسلحة كالتي بفاس[7].

أما عن أنواع هذه الأسلحة فهي متعددة، وبالتالي تم تقسيمها إلى ما يلي:

---

[1] الغنيمي،المرجع السابق،ج3 ، ص286.

[2] محمد المنوني ،نظم المرينيين، ص251.

[3] ولقد سُميت بذلك " لان أبا العرب وهو إسماعيل عليه السلام كان الأصل في رمي العرب" ابن النحاس: أبي زكريا احمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي، مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام،تحقيق:إدريس محمد علي وآخرون ،ط3،بيروت،دار البشائر الإسلامية، 2002م، ص455.

[4] النميري،المصدر السابق،ص 224.

[5] ابن الخطيب، نفاضة، ص119.

[6] السبتي،المصدر السابق،ص38.

[7] ابن الخطيب ، نفاضة ، ص119.

أ **الأسلحة الوقائية:** وهى ما يلبسه الجندي أو يحمله عند القتال، وذلك لوقاية نفسه من ضربات أسلحة العدو، وهي تغطى الجسم والرأس، ويتم صناعتها من الجلد أو الحديد أو تكون مبطنة بالحرير.ومن أمثلة هذه الأسلحة:

الدرع: وهو قميص يلبسه الجند للوقاية من ضربات سيوف العدو، وطعنات رماحه، وسهامه[1]، وهو يغطي الصدر، والظهر، ونصف الذراعين[2]، ويحصل عليه المرينيون أما بصناعته أو كغنيمة، وللدروع أنواع استخدمها المرينيون وذكرها لنا صاحب فيض العباب وهي الدروع الهندية، والدروع الداودية[3 4]، والفرنجية[5]، ولقد تميزت عناصر المتطوعة[6]، والفرسان الأندلسيين بلبسها، غير أن دروع العناصر الأندلسية كانت من النوع الطويل مثل تلك التي يلبسها الفرنجة[7].

الجوشن: نوع من الدروع لها صدرا بغير ظهر[8]، تُصنع من نسيج من الصفائح[9]، أو حلقات من من الحديد، تثقب وتصف إلى جنب بعضها وتُسمى الزرد[10]، وتغلف بالكتان، وبقايا الحرير، ومن بعد تكسا بالثياب وتلبس حول الجزء الأوسط من الجسم فوق الثياب، وهكذا يمكنها أن تقي الصدر من طعنات السهام، ولا تصل إليه سنان السيوف[11]، وقد عرف الفرسان المرينيين بارتدائهم الجواشن القصيرة[12]. كما نجد الجند المرينيين الذين كانوا داخل الأبراج التي أقامها أبو عنان أمام أسوار قسنطينة يرتدون رداء مغشي بجلود البقر[13]، ويبدو أنها نوع من الجواشن التي كانت معروفة لديهم، ونظرا للتأثير الحربي المريني علي الأندلس اضطر الأندلسيون إلى

---

[1] سحر المجالى،المرجع السابق،ص162.

[2] إحسان هندي، الحياة العسكرية عند العرب، دمشق ، 1964، ص61.

[3] الدروع الداودية هي:"دروع مقدرة السرد،متلاحمة النسج،واقية للبأس في يوم الحرب،مشهورة النسبة إلى داود نبي الله" المقري،أزهار الرياض في أخبار عياض،تحقيق:مصطفي السقا وآخرون،ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة،القاهرة، ،1939م،ص53،وكذلك انظرا ابن هذيل،المصدر السابق،ص85.

[4] النميري ،المصدر السابق، ص 301. 224.

[5] جارثيا جومز،المرجع السابق، ص227.

[6] النميري،المصدر السابق، ص 301.

[7] جارثيا جومز،المصدر السابق، ص227.

[8] ابن هذيل،المصدر السابق،ص85.

[9] هذه الصفائح في الغالب تكون من مواد مخلوطة مع بعض مثل:برادة القسي والقرون والغراء،وتُشكل بصبها في قوالب مخصصة لذلك.ابن منكلى،المصدر السابق،ص52.

[10] نلاحظ أن الزرد يطلق على هذه الألواح الرقيقة وكذلك على حلقات الحديد المتشابكة التي تصنع منها الغفارة وأنواع من الدروع.

[11] الطرسوسي: مرضي بن علي بن مرضي ، تبصرة أرباب الألباب ، تحقيق:كارين صادر،ط1، دار صادر ، بيروت، ،1998م،ص156،155.

[12] وارتداءهم لهذا النوع يدل على شجاعتهم، لأنه يقي الصدر فقط أي الظهر مكشوف،اى أن من لبسه لو هرب أصبح ظهره مكشوفا،وكذلك هذا النوع يحتم على الفارس أن يكون سريع الحركة في القتال،وذلك لكي لا يبقى ظهره مكشوفا للأعداء.

[13] النميري،المصدر السابق، ص 301-298

استخدام الجواشن القصيرة عوضا عما كانوا يلبسونه من الدروع السابغة[21]. وعلى ما يبدو أن أن لبسها لم يكن حكرا على الجند، بل كانت هناك جواشن لتغطية ظهور الخيل[3].

المصفحة: لاتختلف كثير عن الجوشن، فهي عبارة عن حلقات من الحديد المنسوجة تلبس على الصدر لحمايته، وتكون مبطنة بالحرير أو القطن لمتانتهما[4]، ولقد أستخدمت في الجيش المريني، ووصفها لنا صاحب فيض العباب بقولة: "المصفحات من الحلل والأنزاق ... منسوقة بها المسامير المذهبة التي تكاد تغشي الأبصار". وللمصفحة عدة أنوع مثل: المصفحات الديباجية (الحريرية)ـ لغلبة الحرير عليها ـ، والمصفحات الهندية، ولقد تميزت المصفحة بدقة صنعها، ونعومة ملمسها حتى أنها "تَزِل من عليها أقدام الحمام"، ومتانة صنعها حتى أنها " لا تَصفح عن زلة الرمح أن راودها، ولا تقبل عثرة السيف الجرار أن عاهدها"[5].

المغفر: هي نسيج من الجلد أو المعدن[6]، يكون على قدر الرأس، ويُلبس تحت القلنسوة لحماية رأس الجندي[7]، ويكون جزء منه منسدل على الأكتاف[8]، وفوق المصفحة، ولقد استخدمه الجند المريني وخاصة عناصر النصارى والأندلسيين[9] عند حصار المرينيون لقسنطينة سنة 758هـ (1357م)، ولقد أورد صاحب فيض العباب نص عنها في قوله: "وأما المغافر فإنها غفرت ما تقدم من ذنب الحرب ... فهي تلوح فوق مفارق الشجعان ... إذا شر للطعان.ن .ولزرق النصال"[10].

البيضة أو الخوذة: تلبس فوق الرأس لوقايته من الضربات[11]، وهي تصنع من الخارج،واع الحديد وتبطن من الداخل بمادة رطبة مثل القطن، وأعلى الخوذة يكون مدبباً حتى لا تؤثر فيها ضربات السيوف، وتنتهي من المؤخرة بنسيج من حلقات الجلد أو المعدن يطرحه الجندي على ظهره لحمايته من الطعنات[12]، وللخوذات أنواع منها الخوذات الهندية وهي التي شاع استخدامها الجند المريني[13].

الترس: قد يكون صفيحة من المعدن، أو قضبان من الحديد أو الخشب مضمومة إلى بعضها،يُلف عليها القطن أو الجلد لتكون أكثر متانة، يحملها الفارس أو الراجل بيده ليقي بها

---

[1] وهى التي تغطى البدن بأكمامها الطويلة إلى الأنامل وتمتد حتى تصل إلى نصف الساق. زغروت،المصدر السابق،ص177.
[2] ابن الخطيب، الإحاطة،ج1 ،ص136.
[3] زكى،المرجع السابق، ص 118
[4] ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص136.
[5] النميري المصدر السابق، ص224، 302، 161، 301.
[6] زكى،المرجع السابق، ص 56.
[7] ابن سَلام: أبي عبيد بن القاسم، السلاح،تحقيق:حاتم صالح الضامن،ط2،مؤسسة الرسالة،1985م،ص29. المحيط،مادة غفر.
[8] قاموس المحيط مادة غفر.
[9] مقر: محمد ، محمد مقر ،اللباس المغربي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،الرباط، ، ص237.
[10] النميري،ص302،301.
[11] الألوسي:السيد محمد شكري،بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب،عنى به: محمد بهجة الأثري،ج2، دار الكتب العلمية،بيروت، ص67.
[12] زكى، المرجع السابق، ص32.
[13] النميري،المصدر السابق، ص305.

جسده من ضربات الرماح، والسيوف[1]، والنشاب، والحجارة. وللترس أشكال متعددة منها المسطح، والمستطيل محفور الوسط، والمقبب منحنى الأطراف إلى الخارج[2]، ومن المرجح أن هذا التعدد الأشكال جاء لمزاياه دفاعية. كان الترس عدة أسمائه منها:الجَوْبُ والدَّرقة[3]والحَجَفَة[4]. لقد تسلحت عناصر الجيش المريني بنوع من الترس يسمى الدرقة اللمطية[5]، التي يقول عنها صاحب الذخيرة السنية أنها من أحسن أنواع التروس[6]، لأنه: "إذا ضُرب فيها برُمح أو سيف أو سهم وتبخّش منها موضع بقيت من بعد يسيرا، فتُفَتَّش فلا يوجد فيها أثر إلا رجع صحيحا كما كان"[7]. ومن المراكز التي عرفت بصنع درق اللمط مدينة نول[8] نول[8] بالسوس الأقصى ـ موطن قبائل لمتونة ولمطة ـ[9]، وتتم صناعة الدرق اللمطية. من جلد حيوان (اللمط) وهو اقل في الحجم من البقر، وله قرون، ويعيش بصحراء المغرب، وأجودها ما صُنع من جلد كبيرة السن[10]. ويبدوا أن الدرق اللمطية كانت من الأشياء التي يحبها سلاطين بني مرين، ويحرصون على إهدائها للملوك والسلاطين، فقد قام السلطان أبي الحسن بإرسال هدية إلى سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون، اشتملت على العديد من الدرق اللمطية[11].

ب **الأسلحة القتالية:** تشمل كل ما يستخدمه الجند لقتال الأعداء على ارض المعركة، وهى متنوعة، منها الأسلحة الخفيفة والثقيلة، وسوف نتناولها فيما يلي:

1 **الأسلحة القتالية الخفيفة[12]:** أسلحة خفيفة الوزن سهلة الاستخدام لاتتطلب من الجندي مساعدة رفاقه في حملها والقتال بها، وهي متنوعة فمنها الأسلحة القاذفة، وأسلحة الطعن والضرب، وسوف نتناولها فيما يلي:

لقوس (القسي): وهي من الأسلحة التي تستخدم بكثرة على ارض المعركة، ويكون القتال بها قبل تلاحم الجيوش[13]، وهذا السلاح عبارة عن عود من شجر صلب، مثل القصب الذي كان يستخدم في بلاد المغرب، حيث يتم حنيه بشكل مقوس وتربط أطرافه وهو في حالة الحنى برباط من الجلد أو العصب[14]، أو من الخيوط المفتولة[1] ويسمى

---

[1] الطرسوسي،المصدر السابق ، ص147.

[2] الحسن بن عبدالله،المصدر السابق،ورقه322.

[3] الطرسوسي،المصدر السابق، ص. 146.

[4] وردت عند الطرسوسي،ص147 باسم (الجحفة)،والصواب ما أوردناه في المتن استنادا إلى أبي عبيد القاسم بن سلام المصدر السابق،ص30.

[5] النميري،المصدر السابق. ص152.،ابن الخطيب،المصدر السابق،ج1، ص136. ابن زرع،القرطاس،ص355،كما ينبغي الإشارة هنا إلى أن العناصر الأندلسية استبدلت تروسها بالتروس المغربية وهى الدرق اللمطية.وهذا يعكس مدى تأثر الأندلس ببلاد المغرب،وخاصة في الفترة المرينية.انظر نفس المصدر والصفحة.

[6] علي بن أبي زرع،الذخيرة ، ص70.

[7] الأزهري،المصدر السابق،ص118.

[8] نول:مدينة كبيرة تقع على نهر ينبع من المشرق،وتقييم عليه قبائل لمتونة ولمطة،وبهذه المدينة تصنع الدرق اللمطية ،وتعتبر وهي من أشهر مراكز صناعتها ببلاد المغرب.الإدريسي،المصدر السابق،ج1،224.

[9] الإدريسي،المصدر السابق،ص59.

[10] البكري ،المصدر السابق،ص171.

[11] ابن خلدون ،العبر،ج7، ص351.

[12] هناك من يقسم الأسلحة الخفيفة إلى قسمين ،هما الأسلحة الجارحة أو الراضة وهي السيف والرمح والدبوس والخنجر والفأس والطبر،والأسلحة الرشقية وهي التي تستخدم على مسافة بعيدة مع العدو مثل القسي والسهام والمجانيق.الرفاعى: محمود فيصل،(الأسلحة الخفيفة في التراث العربي الإسلامي)،أفاق الثقافة والتراث،ع7،السنة 2،رجب \ديسمبر 1415 هـ\1994م،ص48.

[13] الطرسوسي،المصدر السابق، ص71.

[14] يوجد في عنق البعير. زكى،المصدر السابق،ص48.

الوتر أنظر شكل (1) و (2)، ثم يتم تزيينها ببعض الزخارف مما يزيد من جمالها[2]، ولقد انتشرت ببلاد المغرب العديد من المناحر المتخصصة في صناعتها وتزيينها، مثل تلك الموجودة بسبتة، والتي بلغ عددها حوالي أربعين منجزة موزعة في أنحائها[3]، وإضافة إلى استخدامها في ميادين القتال تستخدم القوس وخاصة تلك كبيرة الحجم في ضرب الحصون والقلاع لإثارة الذعر بين سكانها ؛ وتتميز هذه القوس بأن سهمها يضل محافظا على قوته وسرعته عند رميه، بعكس قذيفة المجانيق التي تقل سرعتها كلما زادت مسافة قذفها[4]، وللقوس أنواع استخدمها الجيش المريني وهي :

قوس اليد (شكل 1)**:** سميت بقوس اليد لان الرمي بها يتم عن طريق شدها باليد، ولقد تسلحت به أغلب العناصر المقاتلة في الجيش المريني[5] عند لقاء الجيوش[6]، وخاصة في الأماكن الفسيحة[7]، وذلك لخفة وزنها مما يجعلها سهلة الحمل وإمكانية الرمي بها بعدة أوضاع منها: قائما، وقاعدا، ولابثا، وسائرا، وراكبا، ونازلا[8]. وتتم عملية الرمي بها عن طريق مسك الرامي لوسطها بيده اليسري، ثم يثبت السهم في وسط القوس بيده اليمنى، ثم يشده بقوة إلى أن يكون مساويا لمرفقه الأيمن بكتفه، وفي الوقت نفسه يكون مصوبا نظره إلى الهدف، ثم يترك وتر القوس من أصابعه فيندفع إلى الأمام دافعا معه السهم صوب الهدف[9]. ولقوس اليد عدة أنواع استخدامها الجند المريني، أهمها القوس النبعية[10]، ومن المرجح أن أغلب هذه الأنواع تم صنعها ببلاد المغرب من مواد مستوردة من المشرق[11].

قوس الرجل (قوس العقار): تختلف تسميتها من مكان لأخر فعند الفرنجة تسمى الجرخ، وعند المغاربة اللقشة، والترك يطلقون عليها الدَّنبورك[12]. وبالنسبة لشكلها فهي مثل الصليب، واكبر في حجمها من قوس اليد،لها وتر قوي يصعب شده باليد، وسهمها غليظ، عند رميه يحدث صوت زمجرة، ولا يكاد ينجى منها هدف إن أصابته، فهي: "انفع وقت حصار القلاع والحصون"[13]، وفي السفن[14]. تصنع من عدة أنواع من الخشب أهمها خشب الزبوج[15]؛ الذي غالبا ما كان يجلب من بلاد المغرب[16]. ونظرا

---

[1] زكى،المرجع السابق،ص48.
[2] النميري،المصدر السابق،ص224.
[3] السبتي،المصدر السابق،ص37.
[4] عبدالكريم بن إبراهيم، رسالة في فضيلة الرمي،مخطوط،مكتبة جامعة الملك سعود،رقم 7388ف ورقة 10.
[5] النميري،المصدر السابق، ص 301 302 224.
[6] ابن قيم الجوزية، الفروسية،تعليق:سمير حسين حلبي،ط1،دار الصحابة بطنطا،1991م ، ص74، 75، 76
[7] طيبوغا الأشرفى البطلمشى اليوناني،شرح بغية المرامي في أصول معاني الرمي بالنشاب وفروعه،مخطوط (ميكروفيلم 23205)،دار الكتب والوثائق القومية،باب الخلق،القاهرة،ص91.
[8] ابن قيم الجوزية،المصدر السابق، ص76.
[9] الطرسوسي،المصدر السابق،ص77.
[10] لأنها تصنع من عود الطخش ،والذي يُسمى عند العرب بالنبع ابن هذيل،المصدر السابق ،ص79.(المصطفي)
[11] النميري،المصدر السابق،ص224.
[12] حناوي: محمد ،النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف،ط1،دار أبي قراق،2003م، ص262.
[13] الجوزية،المصدر السابق، ص75، 76.
[14] اليوناني،المصدر السابق،ص19.
[15] وهي شجرة عظيمة،ورقها مثل ورق الجوز ولها حمل مثل حمل الزيتون. الطرسوسي،المصدر السابق،ص 124.
[16] الطرسوسي،المصدر السابق،ص 124.

لصعوبة شدها والرمي بها يستوجب على الرامي بها أن يتميز بلياقة وقوة بدنية[1]، ويكون الرمي بها عن طريق الاستعانة بالقدمين[2]، وذلك بدفع رجلي الرامي لها مع جذب ظهره، لان عملية جرها تفرض عليه وضع حزام من الجلد في وسطه وفي طرفيه شدادين من الحديد، يجعل فيهما وتر القوس ويضع الجندي رجليه في بطن القوس وجاذبا بظهره للحزام الذي فيه الشدادان، إلى أن يحصل الوتر في القفل الذي في المجراة. وينزل المفتاح فيها ويجعل النبلة في المجرى ويضم المفتاح عن القفل إلى باطن المجراة، فيدور القفل لأنه كالبكرة في محور حديد مسمر في جانبي فتح المجراة، فإذا زال المفتاح عنه دارت البكرة وانفلت الوتر فيدفع السهم فيخرج بقوة[3]، وعلى ما يبدوا أنه من طريقة عملها تتناسب مع الجندي الراجل أكثر من الفارس. أما عن ابرز الأحداث التي استخدم فيها المرينيين هذا السلاح كان عند حصار الأمير عبدالحليم بن أبي علي لمدينة فاس سنة 763هـ\1362م زمن السلطان تاشفين بن أبي الحسن حيث كانت عناصر الرجَّال الأندلسية هي من ترمي بها[4].

قوس اللولب: سميت بهذا الاسم لأن عند الرمي بها تستخدم فيه آلة محدبة الشكل تسمي اللولب ووزنه خمسة أرطال[5]. وهي من ضمن الأسلحة التي استخدمت أيام المرينيين عند حصار الأمير عبدالحليم لمدينة فاس سنة 763هـ\1362م[6].

السهم أو النشاب أو النبل: فهو من مكملات القوس وذخيرته، وقال عنه صاحب رسالة في فضل الرمي: "الكفار يخافون من النبل أكثر مما يخافون من غيره من الأسلحة، لما ثبت عندهم من تواريخ الإسلام، وتواريخهم أن الفتوحات الإسلامية أغلبها كان بالرمي ، والسهم"[7] أنواع منها المِدْجابُ ، والمُسَيَّرُ ، واللَّجِيفُ ، والحَظْوَة ، والرَّهْبُ[8]، ويتكون من من عدة أجزاء هي: العود: يكون شكله رفيعاً ويصنع من الخشب الصلب، ويتم نحته، ثم الريشة أو القُذَذُ: وهي تثبت بمؤخرة العود، ووظيفتها المحافظة على سرعة السهم وتزيده قوة، وهذا ما جعل القوس أشد خطر من باقي أسلحة الرماية[9]، وللريشة عدة أنواع منها: اللُّؤامُ واللُّغابُ[10]، والنصل: وهو جزء يصنع من الحديد، يثبت في الجزء الأمامي من العود، وللنصل عدة أشكال منها المدبب، وذا الحواف، والمسنن بعكس

---

[1] الجوزية،المصدر السابق، ص75، 76

[2] دوزي،المرجع السابق،ج8،ص408،

[3] الطرسوسي،المصدر السابق، ص123.

[4] النميري،المصدر السابق،ص 224.

[5] البارودي،المرجع السابق،ص231.

[6] ابن الخطيب،نفاضة،ص136.

[7] ابن إبراهيم،المصدر السابق،ورقه 10.

[8] المِدْجابُ (وهو يختلف عن غيره لان لا ريشة له ولا نصل) المُسَيَّرُ (الذي فيه خطوط) واللَّجِيفُ (السهم العريض) الحَظْوَةُ (سهم صغير قدر الذراع) الرَّهْبُ (السهم العظيم) . ابن سلام،المصدر السابق،ص27 26.

[9] ابن إبراهيم،المصدر السابق،ورقة10.

[10] اللُّؤامُ وهي (ما كان ظهر الريشة فيها يلي ظهر الأخرى وهي الأجود) ،واللُّغابُ (وهي التي يلتقي فيها ظهران أو بطنان للريش،وهى ليست جيدة). ابن سلام،المصدر السابق،ص27 26.

الاتجاه الذي يدخل فيه حتى يصعب إخراجه[1]. وللنصل أنواع منهاالمِعْبلةُ، والمِشْقَص، والمِشْقَص، والقِطْعُ، والسَّرْوةُ، والمُدَمْلَكُ[2].انظر السهم وأجزائه.

الرمح (القنا): يصنع من فروع الأشجار الصلبة وخصوصا من قصب الشركي المنتشر في بلاد المغرب، حيث يسوى ويركب في رأسه نصل من الحديد[3]، ونصله أنواع منه: المشَّعب، والعريض، والرفيع، والمستوى، والمموج[4].وليس للرمح طول واحد فمنه ما يتراوح طوله بين أربعة، وخمسة حتى عشرة أذرع، والرماح الطويلة هي سلاح فرقة الفرسان؛ لأنها أكثر ملائمة لها أثناء القتال، فاجتماع الفارس والفرس والرمح يشكل قوة يخشى بأسها. وللرمح كيفية معينة عند حمله والمسير به، ويكون ذلك بأن يضعه الفارس تحت إبطه وبين أذني فرسه في وضع مستوي[5]. لقد حمل الجند المريني الرماح بنوعيها الطويل والقصير، فقد كانت فرقة الفرسان الأندلسيين تتسلح بالرماح الطويلة[6]، أما فرسان زناتة فكان سلاحها الرماح القصيرة[7] التي تسمى بالمزاريق[8]،كما استخدم الجند المريني نوعاً من الرماح تسمى السمر[9] المنسوقة الأنابيب[10].

السيف: هو سلاح حاد يضرب به باليد، وقد عرف منذ القدم، وكان يصنع من الحجر، أو الخشب، أو العظم ثم تطورت صناعته وأصبح يصنع من النحاس، والحديد، والبرونز[11]، ولكن اغلب السيوف صارت تصنع من الفولاذ، ولقد اشتهرت العديد من المدن الإسلامية بصناعته، مثل طليطلة، وسرقسطة[12]، واشبيلية[13]. وقد كان للسيوف عدة أشكال منها المستقيم، والمقوس[14]، وكانت تكتب على نصول بعضها آيات قرآنية أو عبارات تشيد بقوة السيف.

استخدم الجيش المريني العديد من أنواع السيوف، ومنها السيوف الزناتية التي وجدت صور لها على جدران قصر البرطل في مدينة الحمراء بالأندلس، ولقد تميزت هذه السيوف بمقبض من ثلاث قطع، ورمانات ذات ثنيات صغيرة مستديرة[15] . وهناك من يرى أن هذه السيوف قد جمعت بين تأثيرات مشرقية وتأثيرات غربية[16]،وكذلك نجد

---

[1] زكى،المصدر السابق،ص33.

[2] المِعْبلةُ،وهو(العريض الطويل) والمِشْقَص وهو(الطويل وليس بعريض)والقِطْعُ وهوالقصير العريض، والسَّرْوةُ والهُوَدِوَّر، والمُدَمْلَكُ وهو:لا عرض له. ابن سلام،المصدر السابق،ص27 25،24، 26.

[3] زغروت،المرجع السابق،ص164.

[4] زكى ،المرجع السابق،ص 28.

[5] الحسن بن عبدالله،المصدر السابق،ورقة323.

[6] النميري،المصدر السابق، ص224

[7] أغلب الظن أن حمل الرماح القصيرة دليلا على الشجاعة ،لان من يقاتل بالرمح القصير لا يخشى الموت ،إضافة إلى انه واثق من مقدرته القتالية،وهناك مثل في العامية الليبية يقول عصا الخائف طويلة.

[8] مختار الصحاح عن المزاريق مادة زرق

[9] والأسمر هو الأظمى مأخوذ من الظماء وهو العطش. ابن هذيل ،المصدر السابق،ص75. (المصطفي)

[10] ابن الخطيب ،الإحاطة،ج1،ص 136.

[11] الطرسوسي،المصدر السابق،هامش ص73.

[12] زغروت،المرجع السابق،ص166.

[13] سحر المجالى،المرجع السابق،ص162.

[14] زكى،المرجع السابق،ص33.

[15] ألفارو ،المصدر السابق،ص144.

[16] ويرى ألفار إن التأثيرات القادمة من الغرب الأوروبي تتمثل في الرمانات المستديرة ذات السطح المصقول،أما التأثيرات المشرقية فتتمثل في رؤوس بعض الحيوانات على نهايات الثنيات الصغيرة.المصدر السابق،ص144.

السيوف المشرفية[21]. والسيوف السريجية[43]، والسيوف الهندوانية[65]، ونظرا لقيمة النوع لقيمة النوع الأخير وشهرته عند المرينيين كان يقدم كهدية إلى أصدقائهم من الملوك والحكام، وذلك مثل الهدية التي أهداها السلطان أبو عنان لابن الأحمر سنة 705هـ 1351م[7]. لقد كان المرينيون يفضلون القتال بالسيوف القصيرة التي يصفها صاحب فيض العباب بقوله: "ويالك من سيوف كرمت مناحيها، واتضحت في المعالي معانيها، فإن قصرت وصلتها كماة بني مرين بأيديهم"، وكذلك "والسيوف التي إن قصرت كان وصلها خطاهم"[8]، واستخدام السيوف القصيرة يدل على الإقدام والشجاعة في القتال.

الفأس أو البلطة (الطبر): وهو سلاح له رأس مفلطح نصف مستدير مشحوذ من ناحية، ومن الناحية الأخرى مدبب، يُرَكب في قضيب من الحديد أو الخشب. وغالبا ما يحفر على قضيبه نقوش إسلامية وعبارات دينية[9]، وهو سلاح شخصي للجند، يُقاتل به به عند التلاحم، وأهم من تسلح به في الجيش المريني الحرس الخاص بالسلطان، مثل: قواد العناصر الأندلسية، والنصارى، حيث كانوا يحيطون بالموكب السلطاني، عن يمينه وشماله، مستعدين لضرب من يتقدم نحوه بغير أذن[10].

الدبوس أو القضبان الصلبة: هراوة طولها تقريبا قدمين، مدملكة الرأس في طرفها كتلة[11]. يحملها الفرسان بجوار الفخذ، ويكون لها عقدة من الجلد بالسرج، تُعلق بها لكي لاتقع[12]، وللدبوس عدة أشكال ذكرها الطرسوسي، فمنها ما يُصنع من الحديد، ومنها ما تكون كتلته من الحديد والعمود من الخشب، وقد يزخرف بخيط من الفضة والذهب، أو الفضة وحدها، ويقاتل بها كما يقاتل بالسيف[13]، ويكون القتال بها عندما تكون المسافة لاتسمح باستخدام السيف، وهذا ما نفهمه من قول العمري: "ثم ضاق به المجال ... فأخترط من تحت فخذه عامودا تُهدُ به الأبنية المشيدة"، فالغالب أن الدبوس كان يستخدم لتهشيم الخوذة المعدنية، ففي موقع أخر يقول العمري: "وتفلق به بيض الخوذ مثل بيض الدجاج"[14]، ولقد ذكر الإدريسي أن الدبوس من ضمن أسلحة سكان المغرب، وكانوا يتخذونها من شجر الأبنوس، وقد اشتهر أهالي أودغشت[15] في أقصى جنوب المغرب

---

[1] نسبة إلى المشارف وهى قرى العرب التي تدنو من الريف. الطرسوسي،المصدر السابق،هامش ص51.

[2] ابن عذارى،المصدر السابق،ج3 ،ص353.

[3] نسبة قديما إلى حداد يدعى سريج. القلقشندى ،صبح الأعشى،ج2،ص205.

[4] ابن الأحمر ،نثير فوائد الجمان في نظم فحول الزمان،تحقيق:محمد رضوان الداية،بيروت،1967م، ص305.

[5] يبدوا أنها تنسب إلى الهند لان التاريخ الإسلامي مليء بذكر هذه السيوف لجودة صناعتها.

[6] العمري،المصدر السابق،ج4،ص 301 302.

[7] ابن الخطيب،كناسة ،ص61.

[8] النميري، المصدر السابق، ص298. 161.

[9] زكى،المرجع السابق ،ص39.

[10] القلقشندى ،المصدر السابق ،ج5، ص207.

[11] دوزي،المرجع السابق،ج4،ص289.

[12] اليوناني،المصدر السابق،ص49.

[13] المصدر السابق،ص158، 162.

[14] التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان ، بيروت،1988م، ص268.

[15] أودغشت أو أودغست:مدينة تقع بين صحراء لمتونة وبلاد السودان بين جبلين،بها خلق كثير يعيشون على زراعة القمح والتجارة،تمارس التجارة مع سجلماسة وبلاد الزاب،يمر بها نهر يكثر على ضفتيه شجر الأبنوس الذي يصنع منه أشهر سلاح لديهم وهي الدبابيس.الحميري،المصدر السابق،ص63 64.

الأقصى بصناعتها[1]. ولانستبعد جلب المرينيون للأبنوس أو الدبابيس من هذه المدينة، وذلك لأن الدبابيس كانت من ضمن أسلحة الجيش المريني، وخاصة فرقة العدويون الذين قال عنهم صاحب فيض العباب: "يلبسون أحسن الثياب، ويحملون بأيديهم القضبان الصلبة مكاسرها"[2].

الأمداس: وهي عصى طويلة مثناة بعصي صغار ذات عرى في أوساطها، تدفع بالأنامل عند قذفها[3]، كان يتسلح بها في الجيش المريني العناصر المترجَّلة الأندلسية، ومن أهم الأحداث المرينية عند حصارهم لقسنطينة سنة 758هـ\1356م،ولقد وصف لنا صاحب فيض العباب ذلك بقوله: "وخلف هؤلاء الفوارس ... جموع الأندلسيين المغاورين المرتجلة ... وبنو بالأمداس التي هي رسائل أزوال القتال"[4].

المثلثات: يسميها المغاربة باسم (حمص الأمير) وهي أسلاك شائكة، تُصنع من الحديد المدبب وتسقى بالسم لكي يكون فعلها أقوى تأثيراً. ولها أشكال متعددة، فمنها المثلثة التي تُغرس شوكتان منه في الأرض، وتبقى الثالثة بارزة (انظر الشكل 1)، والمسدسة التي تبرز منها ثلاث شوكات،وتغرس ثلاث في الأرض، (انظر الشكل 2).والمثلثات تنثر في خط سير فرسان العدو، وحول الخنادق، وأثرها يكمن في أنها إذا ما داست عليها الخيل أو غيرها تسببت لها في ألم، وإذا كانت مسممة تؤدى إلى الموت[5].

2 **الأسلحة القتالية الثقيلة:** فهي التي يستوجب القتال بها أكثر من جندي، وتحملها في الميدان مجموعة من الجند أو تجرها الحيوانات، وتُستخدم في ميدان القتال عند صدام الجيوش أو عند حصار المدن لتدمير أسوارها وتخريبها من الداخل بواسطة القذائف،ومن أهمها:

الأبراج الخشبية: وهى آلة مرتفعة، تُصنع من الخشب،وتُنصب أمام أسوار المدن بمسافات معلومة، للتضييق عليها، ومهاجمة أبراجها حتى يتم النيل من حراسها، وبذلك يَسهل اقتحامها، ويُشرف على بنائها ابرز شخصيات الدولة وامهر المهندسين، فلقد "عين ـ السلطان أبا عنان عند حصاره لقسنطينة سنة 758هـ\1356م ـ لبناء كل برج منها، عظيماً من عُظماء دولته، وسيوف بأسه وصولته"، ويربض بهذه الأبراج الجند الرماة الذين وصفهم صاحب فيض العباب بقوله "من مطلع خشب تسكنه رماة الحدق[6] ،وترمي فرق الأعداء ... وتحل بأعلاه "[7] ،وهنا نلاحظ الدور الكبير الذي كان يلعبه الرماة داخل الجيش المريني، ومن ابرز الأحداث التي استخدم فيها الجيش المريني هذه الأسلحة، كان عند حصاره لمدينة تلمسان سنة 736هـ\1335م،حيث شُيد" قُبالة كل برج من أبراج البلد ـ تلمسان ــ برجا " به جند رماة مهمتهم قتال العدو وشغله،حتى يتسنى لهم بناء برجا أخر اقرب منه إلى أسوار المدينة،وهكذا استمرت عملية "التقرب

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق،ص5.انظر كذلك الحميري،المصدر السابق،ص63 64.

[2] النميري، المصدر السابق،ص225.

[3] دوزي، المرجع السابق،ج4، ص349.

[4] ابن منكلى،المصدر السابق، ورقه46.

[5] الطرسوسي،المصدر السابق،ص175.

[6] يقصد بهم الجند الرماة ،ورماة الحدق هنا وصف أطلقه العرب على امهر الرماة،والين بلغت بهم المهارة انه لو أرادوا رماية إحدى عيني الغزال لرماها.(وبمصطلح اليوم القناصة).زيدان، المرجع السابق، ص184

[7] المصدر السابق، ص294. 495. 496.

بوضع الأبراج من حد إلى ما بعده"، حتى ضُيق الخناق على المدينة وأسوارها،واستمر الحصار حتى تم فتحها في 7 رمضان سنة 737هـ\1336م[1]،والحال نفسه قام به المرينيين عند حصارهم لقسنطينة سنة 758هـ\1356م[2].

الدبابة: هيكل ضخم من عدة ادوار، كل دور يُصنع من مادة معينة، فمثلا الدور الأول من الخشب، والثاني من الرصاص، والثالث من الحديد، والرابع من النحاس الأصفر، ويحمل هذا الهيكل على عجلات ليسهل جره، ويصعد إلى طبقاته الجند للقيام بنقب الحصون، وتسلق الأسوار قليلة الارتفاع[3] (انظر الشكل3)، ولقد استخدمها المرينيون عند حصارهم لقسنطينة سنة 758هـ\1356م، ووصفها النميري بقوله: "ومن دبابات تيسر من فتح المدينة كل مرام"[4].

الكبش: آلة مصنوعة من الخشب، والحديد، تجرها الخيل، تُدق به الأسوار قليلة الارتفاع فتُهدم، والكبش في الأصل عبارة عن دبابة لها رأس في المقدمة مثل رأس الكبش، ويتصل هذا الرأس في داخل الدبابة بعمود غليظ معلق بحبال تجرى على بكر معلقة بسقف الدبابة لسهولة جرها، (انظر الشكل4)، ويتعاون الجنود الذين يتحصنون في داخل الدبابة مع جنود آخرون استتروا بدروع الدبابة ووقفوا خلفها في تحريك العمود لضرب السور به حتى يخرقوه[5]. ولقد استخدمها المرينيون عند حصارهم لسجلماسة أيام السلطان يعقوب بن عبدالحق سنة 660هـ\1261م،حيث قال ابن أبي زرع: "طلع أمير المسلمين يعقوب إلى سجلماسة فحاصرها ونصب عليها الأكبش "[6]، وكذلك استخدمت في حصار فاس سنة 760هـ\1358م على يد الأمير منصور بن سليمان بن منصور بن عبدالواحد بن عبدالحق،حيث ابن الخطيب: "ووالى حصار البلد المذكور فرتب عليه المقاتلة ونصب ... الأكبش"[7].

المنجنيق: آلة تستخدم لقذف الحجارة، بهدف هدم الأسوار المرتفعة التي يتعذر تسلقها، أو اقتحامها بواسطة الأبراج الخشبية. ويتم الرمي بالمنجنيق عن طريق وضع الحجارة الضخمة وقدور النفط الملتهب في قاذفها، ثم ترما تجاه الأسوار؛ لإحداث فتحات بها، وقد كان يطلق على من يعمل عليها اسم "نافضى ذوائب المجانيق"[8]

وللمنجنيق أنواع مختلفة (انظر الشكل 5) منها: العربي، والفارسي، والرومي[9]، والمغربي، ويضع ابن منكلى ـ المعاصر للدولة المرينية ـ بين أيدينا نصاً يصف فيه النوع المغربي الذي من المرجح انه كان يستعمل عند المرينيون في حروبهم حيث يقول: "يُعمل من الخشب الجيد مثلث متساوي الساقين، تكون قاعدته دون القائمة، لازيادة فيها ولانقصان، ويثقب أثقابا جيدا، ويركب في أعلاه الخنزيرة، وليكن من خشب السنديان، وليكن تحتها بطانة من السنديان ... وتحت الخنزيرة سقفا يمنع من

---

[1] ابن خلدون ،العبر ،ج7، ص340.
[2] النميري، المصدر السابق،ص294.
[3] زغروت، المرجع السابق، ص173.ابن منكلى،المصدر السابق،ورقه46.الحسن بن عبدالله،المصدر السابق،ص438.
[4] النميري، المصدر السابق،ص 296.
[5] زكى،المرجع السابق ،ص48 49.الحسن بن عبدالله،المصدر السابق،ص438.
[6] الذخيرة،ص97.
[7] نفاضة،ص98.(المصطفي)
[8] المصدر السابق،نفاضة،ص 136.
[9] الطرسوسي،المصدر السابق،ص166، 167.

وصول الأذى إلى الرجال تحته، وليركب عليه السهم المجعول له... وليكن في طرفه الكفة الحبل الواحد مثبت فيه على مقدار ذراع واحد، والآخر عند وضع الحجر في الكفة في خطاف من حديد قد جعل في طرف السهم، ليخرج منه عندما تنقلب الكفة، فيقذف الحجر الفيها"."[1]. وتستخدم العديد من المواد كقذائف للمنجنيق ومنها: السهام، والحجارة، وقدور النفط، والعقارب[2].

استخدم المرينيون المنجنيق قاذفة الحجارة وقدور النفط الحارق بشكل كبير في قذف أبراج، وأسوار مدن الأعداء، وذلك كما فعلوا عند حصارهم لسجلماسة سنة 660هـ و672هـ\1261م و1273م، التي أمطروها بوابل من قدور النفط الحارقة، والحجارة[3].

العرّادة: آلة اصغر من المنجنيق تقذف بها الحجارة لمسافات طويلة، وقد تستخدم في رمى السهام دفعة واحدة إلى مسافات بعيدة[4]، وبمرور الوقت أطلقت تسمية عرادة على على عربة المدفع[5]. وقد استخدم المرينيون هذا النوع من السلاح عند حصارهم للمدن، للمدن، وكان ذلك واضحا في عهد السلطان يعقوب بن عبدالحق عند حصاره لمدينة سجلماسة سنة 672هـ\1273م، ويصف ابن خلدون ذلك بقوله: "ونصب عليها آلات الحصار من العرّادات"[6].

سلم الحصار: هو آلة يستخدمها الجيش للصعود لأسوار المدن المحاصرة بهدف مهاجمة أبراجها وفتح مغاليق أبوابها، وعادة ما يتخذ السلم من الحبال التي تشكل على هيئة سلم له خطاف، ترمى على شرفات السور وتتعلق به، وبمرور الوقت صارت السلالم تصنع من الأخشاب والحديد، وترتفع أحيانا بمسافات مساوية للأسوار، كما تم تزويد السلم بقاعدة خشبية كبيرة تساعد على تثبيته على الأرض، وفي بعض الأحيان كان يقام سلمان يلتقيان في النهاية العلوية ليثبت كل منهم الأخر، وجعلوا لهذه القاعدة بكرات، أو عجلات ثابتة ليسهل بها نقله[7]. ولقد استخدم المرينيون السلالم عند حصارهم لقسنطينة[8].

قوس الزيار (الشكل 6)**:** يقول الطرسوسي عند وصفه للسهام: "فإما أصنافها فمنها قسي الزيار، وهي أشدها رمياً وأنكاها سهما، ويحتاج إيتارها إلى عدد من الرجال، وتركيب هيولاها من أصناف من الخشب وتنصب على الأبراج وما شاكلها"[9]. وتمتاز هذه القوس بكبر حجمها، وهذا بالطبع يجعل من الصعب جرها إلا بالاستعانة بعدد كبير من الحيوانات القوية مثل البغال[10]، كما أن لها سهم يتراوح طوله بين 60 و180سم ويزن من 2 إلى 3 كجم، أما بالنسبة للرمي بها ففيه بعض الصعوبات، ويرجع ذلك إلى

---

[1] المصدر السابق،ص44.
[2] الحسن بن عبدالله،المصدر السابق ،ورقة444.
[3] النميري،المصدر السابق،ص288. ابن أبي زرع،الذخيرة، ص139. ابن خلدون ،العبرج7، ص248. 249.
[4] زيدان: جورجي ،تاريخ التمدن الإسلامي،ط2،بيروت،دار مكتبة الحياة،ج1، ص156- 159.
[5] زكى،المرجع السابق،ص 40.
[6] ابن خلدون ،العبرج7،ص249.
[7] عون: عبدالرؤوف،الفن الحربي في صدر الإسلام،ص173.
[8] النميري،المصدر السابق،ص296.
[9] الطرسوسي،المصدر السابق، ،ص 117.ص هامش 118
[10] ابن خلدون ،العبرج7،ص291.

آلية عملها المعقدة لاحتوائها على جهاز متطور للرمي، وإلى أن الرمي بها يتطلب عدد من الجند، إضافة إلى ذلك أن الرامي بها يجب أن يكون ذكيا، وصافى الذهن، ومداوما على الرمي بها[1]. فقد استخدم المرينيون هذا النوع من القوس في حصارهم لتلمسان سنة 698هـ\1298م، وكانت معرفتهم لها زمن يعقوب بن عبدالحق عندما اجتهد عددا من المهندسين في صنعها تقربا له[2]، ومن المرجح أنه لم يرد ذكر لمثل هذا القوس عند المرابطين، والموحدين، وهذا بالطبع لا يعنى أن المرينيين اخترعوه، لأن الطرسوسي المتوفى عام 589هـ ذكره لنا قبل قيام دولة المرينية بفترة، كما أن العماد الأصفهاني يذكر أن قوس الزيار كانت من ضمن الأسلحة المستخدمة أيام صلاح الدين الأيوبي[3]، لذا من المرجح أن المرينيين أخذوا هذا السلاح عن بلاد المشرق.

مدافع الكرات الحديدية أو الأسلحة النارية: وهي التي تكون مقذوفاتها كرات حديدية مندفعة بقوة انفجار النفط والبارود[4]، مختلفة عما عرف قديما بالنار اليونانية[5]، وقد كان كان يطلق على من يرمون بها اسم " قادحي شعل الأنفاط"[6]. كان هذا السلاح ضمن أسلحة الجيش والأسطول على حد سواء،فقد استخدمه الجيش المريني عند حصاره لسجلماسة سنة 672هـ\1273م،ولقد أشار ابن خلدون لذلك بوضوح في قوله: "نصب عليها آلات الحصار من هندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة في البارود، بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة باريها"[7]، وكذلك استخدمت المدافع في حروب المرينيين ضد بني عبدالواد ويتضح ذلك من بيتين من الشعر ضمن قصيدة ألقاها ابن الخطيب في مدح السلطان المريني أبى عنان[8].

كما أن الأسطول المريني بسبتة كان مجهز بهذا السلاح، وهذا ما أشار إليه ابن الخطيب عند وصفه للأسطول السبتي في قوله:"والأسطول المرهوب، المحذور الألهوب"[9]، وكذلك استخدمه الجيش المريني بالجزيرة الخضراء التي هاجمها القشتاليون في سنة 743هـ\1342م[10]، ويؤكد المؤرخ القشتالي لوبيز دى أيالا Lopez de Ayala في قوله: انه عند حصار الملك القشتالي ألفونسو الحادي عشر لمدينة الجزيرة الخضراء، قام أهالي المدينة بإلقاء عدة قذائف على أسطوله، وكان لها صوت الرعد وهي على شكل كرة كبيرة من الحديد[11]، وإضافة لذلك استخدم المرينيون

---

[1] الطرسوسي،المصدر السابق، ،ص 117.ص هامش 118

[2] ابن خلدون ،العبرج7،ص291.

[3] الفتح القسي في الفتح القدسي،ط1،دار المنار،2004م،ص86.

[4] ابن خلدون ،العبر،ج7 ،ص 249. احمد عزاوى،المرجع السابق،ج2، ص36.

[5] وهي قذف كرات مشتعلة من النار بواسطة المنجنيق.زيدان،المصدر السابق،ج1،ص192.

[6] ابن الخطيب،نفاضة ،ص136.

[7] ابن خلدون ،العبر،ج7 ،ص 249.

[8] الروم فارم بكل رجـــــم ثاقب ****يذكى بأربعها شواظ لهيب

بذوابل السلب التي تركت بني**** زيان مجـــــــدل وسليب

ابن الخطيب،ديوان الصيب والجهام،نشر محمد الشريف قاهر،الجزائر،1973م،ص288.

[9] ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار،تحقيق مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،1423هـ\2002م ،ص146

[10] الغنيمي،المرجع السابق،ج3،ص286.

[11] Lopez de Ayala:Op.cit.P344

المدافع داخل أسطولهم، وكان ذلك عند القيام بمناورة بحرية أمام مدينة بجاية سنة 753هـ\1352م، حيث يقول صاحب فيض العباب في هذا الحدث: "فما شوهد أبدع من تلك الأجفان السعيدة، وقد قرعت طبولها التي حكت اصطكاك أجرام الهواء، وعلت أصوات بوقاتها وأنفارها التي هي ملاقيح اقتحام الهيجاء. واتت من أنفاطها بكل متأجج الشواظ، يحول دويه بين الألسنة والألفاظ"[1]. وأخيرا يجب أن نشير إلى أن المصادر التاريخية وخاصة ابن خلدون لم يذكر مثل هذا السلاح الناري عند تأريخه للمرابطين والموحدين، وهذا دليل على أن المرينيين ربما هم أول من اخترع هذه المدافع.

- **زى الجيش:** نظرا لحرص المرينيون على أن يظهر جيشهم بمظهر حسن أثناء الاستعراض وعلى ساحات القتال قاموا بالاهتمام بزي جندهم وسوف نحاول فيما يلي دراسة هذا الزى حتى نتمكن من وضع صورة للجندي المريني وهو بكامل زيه من الرأس إلى البدن حتى القدمين:

أ **لباس الرأس:** يشتمل على القلنسوة: وهي غطاء للرأس مقببة من أعلى[2]، يتم تزيينها بخيوط مذهبة وفضية على شكل مستدير بحيث تصبح زاهية الجمال، "، ولقد أطلق المرينيون عليها عدة أسماء منها: الرتفل والشاشية[3]، وذلك بناء على ما ورد عند صاحب فيض العباب عند وصفه لزى الجند المريني بقوله: "وأما القلانس والشواشي المذهبة والمفضضة فتلك التي باهت الشموس الباهرة الألوان"، وكذلك قوله: "جموع الأندلسيين المغاورين المترجلة قد لبسوا ... فوق رؤوسهم الرتافيل"[4]، وربما يرجع هذا هذا التنوع في المسميات راجعا إلى تعدد العناصر المقاتلة من نصارى وعرب وأندلسيين.كما أن العمامة تعد من لباس الرأس وهيعبارة عن قطع من القماش الرقيق طولها اكبر من عرضها، يعمم بها الرأس، وهذا ما ورد عند العمري أثناء وصفه لزى سلاطين وأشياخ وجند بني مرين بقوله: "عمائم طوال رقاق،قليلة العرض من كتان"[5].

ب **لباس البدن:**ويشتمل على:

القباء: عبارة عن معطف مفتوح من الأمام يصل إلى نصف الساق أو أكثر، مقورة من جهة الرقبة، وبدون ثنية، يتسع ابتداء من الحزام إلى الأسفل، ويضيق في الأعلى،مخطط بشرائط من النسيج المرتب أفقيا، وفي البعض الأحيان نجد به أزرار من الأمام للشد، وكذلك به كمين طويلين ضيقين يتم ثنيهما بحيث لايتجاوز ذلك معصم اليد، ويكون لبسه بأن يلقا طرفه الأيمن تحت الذراع الأيسر، ويطرح الطرف الثاني فوقه تحت الذارع الأيمن، ويثبت بالأزرار، ثم يشد من والوسط بحزام[6]، ولقد عرف جند دولة المماليك بلبس الأقبية[7]، وكانت له ألوان مختلفة منها الأبيض، والأحمر، والأزرق.

---

[1] النميري،المصدر السابق،ص273.
[2] المنوني ،المرجع السابق، ص106.
[3] النميري ،المصدر السابق،ص225.المقري،المصدر السابق،ج4، ص401.
[4] النميري،ص225.
[5] العمري،المصدر السابق،ج4،ص130.
[6] محمد مقر ،المرجع السابق،ص223.
[7] محمد احمد دهمان،معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي،ط1،دمشق ،سوريا، 1990م،ص121.

ونتيجة لوجود علاقة جيدة بين الدولة المرينية والمملوكية في مصر[1] برز تأثر المرينيين بالزى الحربي المملوكي[2]. ولقد وصف لنا صاحب فيض العباب جيوش بني مرين بأن كانت ترتدي "أنواع الأقبية التي حسن لها التمييز، وكاد يقطر منها الذهب الإبريز، أبدع ما رقمته الرواقم، واحفلت ما وسمت به إغفالهم المواسم، وفوقها المصفحات من الحلل والأنزاق، والأثواب البديعة المجلوبة من ارض الشام وارض العراق"[3].

الملوطة: أغلب الظن أن أصل هذه الكلمة إغريقي، انتقل إلى اللغة الأسبانية تحت لفظ (MARLOTA)، كان يرتديها الفرسان الأسبان، ولقد اشتهرت بصناعتها مدينة قشتالة الاسبانية، والملوطة تصنع من القماش وتطرز بالذهب، بها كمين قصيرين، وأحيانا يوجد بها غطاء للرأس[4]، ومنها ذات اللون الأبيض، والأخيرة هي ما شاع لبسها عند سلاطين بني مرين، ربما لان هذا اللون يمثل شعار دولتهم، لقد وصف لنا صاحب فيض العباب لباس السلطان أبا عنان بقوله: "خرج مولانا أيده الله وقد لبس ملوطة بيضاء ... أشبه شيء بالمعصم الموشي. أو الصحيفة التي كتبت فيها أثار مجده العلي"[5].

الغفارة: تسمى البرنس، وتصنع من الصوف الذي يتم صباغته، وذلك حتى ينسج منه عدة ألوان، ولقد اختصت مدينة سجلماسة بصناعتها في بلاد المغرب، وما تنتجه هذه المدينة يعتبر من أجود الأصناف لجودة صوفها ودقة نسيجها[6]، وهي تعتبر من أهم الأزياء الشائع بالأندلس، حيث كانت موجودة وبعدة ألوان[7]، وعلى ما يبدوا أن المرينيين أخذوها عن العناصر الأندلسية، وأصبحت إحدى مكونات أزيائهم، فلقد كان السلطان أبا عنان يرتدي غفارة حمراء عند خروجه مع الجيش ولقد اثبت ذلك صاحب فيض العباب في قوله: "ولبس أيده الله ـ يقصد أبا عنان ـ ... غفارة حمراء كأنها خجل نجد الزمان أو وردة ناظرة بأكف الحسن والإحسان"[8].

الإحرام: عبارة عن رداء من ثوب واسع يصنع من الصوف[9]، يلقى على الكتفين وينسدل إلى الأسفل. ولقد أورده العمري عند تصنيفه لزى السلطان والأشياخ والجند في الدولة المرينية، كما انه كان لباس لأهالي الأندلس[10]. وعلى ما يبدوا انه انتقل إلى المغرب كنوع من التأثير المتبادل مع الأندلس.

المضمة: وهى حزام يستدير بالبطن والظهر ويشدهما[11]، يصنع من الذهب، أو الفضة[12].لقد كانت من ضمن زى الجند المريني، يقول العمري :"ولهم المضمات وهي

---

[1] كانت هناك سفارات وهدايا وتعاون أثبتته لنا المصادر التاريخية مثل خلدون،ج7،ص298، 350، 706.
[2] محمد مقر، المرجع السابق،ص223.
[3] النميري،المصدر السابق، ص224، 225.
[4] محمد مقر،المرجع السابق،ص225، 226.
[5] ابن الحاج النميري،المصدر السابق، ص305.
[6] دوزي،المرجع السابق،ج7،ص416،الحموي ،معجم ،ج3،ص192.
[7] المقري،المرجع السابق،ج1،ص223.
[8] النميري،ص305.
[9] المقري،المصدر السابق،ج4،ص401.
[10] مسالك الإبصار،ج4،ص130. 143.
[11] قاموس المحيط ،مادة حزم.
[12] العمري،المصدر السابق،ج4،ص130.

المناطق ولكنهم لا يشدونها إلا في يوم الحرب[1] أو التمييز"[2]، كما اتخذها سلاطين بني بني مرين كجزء من زيهم[3].

ج **لباس القدمين:** يتكون من أولا: الخف: وهو حذاء طويل يتجاوز الكعبين حتى يصل في بعض الأحيان إلى منتصف الساق أو فوقها، وهو بذلك يكون محكما، ويساعد على الحركة، ويحمى جزء كبير من الرجل والساق، والخف يصنع من جلود الحيوانات، ويتم تزيينه وتبطينه بالقماش[4]. وهو لباس القدمين للجند، ولقد لبسه الجند المغربي منذ عصر المرابطين، واستمر ذلك حتى العصر المريني، حيث يقول العمري في ذلك: "ويتقلدون السيوف تقليدا بدويا، والأخفاف في أرجلهم"[5]. ثانيا المهماز: وهو عبارة عن عن قضيب معدني قصير ينتهي برأس حادة، يشد بشرائط من الجلد أو النسيج عند الكعب فوق الخف، ويلبسه الفرسان[6]، ويكون في الغالب مزخرفا[7]، ويستعمل لوخز الفرس من جنبه، قصد التسريع في حركتها [8]، ولقد كان خاص بفرقة الفرسان في الجيش المريني، ولقد تفننت العديد من المدن المرينية في صناعته ومن أشهر هذه المدن درعة[9] جنوب المغرب الأقصى، حيث وصل ثمن ما صنع فيها إلى خمسة عشر دينار، وذلك لجودته[10]، ونظرا لجودة المهاميز المرينية فقد كانت من الهدايا التي يقدمها سلاطين بني مرين إلى أصدقائهم، كتلك الهدية التي قدمها السلطان أبو الحسن للملك الناصر بن قلاوون[11].

- **الآلات الموسيقية:**استخدم المرينيون عدة آلات داخل جيوشهم ومنها: الطبول، والمزامير، فبالنسبة للطبول استخدموها بكثرة، حيث وصل عددها زمن السلطان المريني أبا الحسن إلى مئة طبل، وذلك لدورها في إثارة الروح القتالية في نفوس الجند، " إن النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ويستميت في ذلك الوجه الذي هو فيه"[12]، كما أنها تزرع الرعب في نفوس الأعداء، "وقد ذكر أرسطو في الكتاب المنسوب إليه في السياسة أن في ذلك إرهاب العدو في الحرب، فان الأصوات الهائلة لها تأثير في النفوس"[13]، وإضافة لما سبق تمثل الطبول أداة تنظيمية لمسير الجيش عند العرض

---

[1] لا أظن أن جندي متجها إلى ساحة القتال يلبس حزام من الذهب أو الفضة،لذا فمن المحتمل انه يتم لبسها عند الاستعراض،وفي الحرب يستبدل بحزام أخر يسمى الشقة وهي قطعة من القماش قليلة العرض طويلة لسان العرب مادة شق.،وذلك كما كان سائدا عند المرابطون والموحدين،غومة: سالم ،تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين،جامعة الفاتح،2005م،ص76.

[2] المصدر السابق،ج4،ص130.

[3] النميري،المصدر السابق،ص305.

[4] محمد مقر ،المرجع السابق،ص237.

[5] العمري،نفس،ج4،ص130.

[6] محمد مقر،المرجع السابق،ص237.

[7] الوزان،المصدر السابق ،ج1،ص171.

[8] اليوناني،المصدر السابق،ص51.

[9] درعة:تقع في جهة سجلماسة،وهي تعرف بواديها الذي يعرف بكبره وكثرة العمارة حوله وكثرت الشجر المحيط به.الحميري،المصدر السابق،ص235.

[10] الوزان،المصدر السابق ،ج1،ص171

[11] المقري،المرجع السابق،ج4،ص401.

[12] ابن خلدون ،العبرج1،ص273،319.

[13] العبر،ج1،ص319.

وفي ميادين القتال.تصنع الطبول من النحاس، حيث يتم تشكليها على هيئة شكل اسطواني يكون من الأعلى عريض وضيق من الأسفل،ثم يغطا الجزء العلوي منها بالجلد، وللطبول أحجام منها: ما هو كبير الحجم ثقيل الوزن، لايحمل إلا على ظهر الخيل، ولها صوت مرتفع عند الدق عليها، ومنها العكس.ويتم الدق عليها بواسطة سوط مخصص لذلك.ويقوم بحمل الطبول داخل الجيش عناصر خاصة يطلق عليهم حاملي الطبول، لهم رئيس يتولى أمورهم وينظمها[1]، وإضافة لذلك يحمل قادة الجند في الغالب الغالب طبولا صغيرة في المناسبات الرسمية[2]، لقد نال حاملي الطبول مكانة عالية عند سلاطين بني مرين حيث يسمح لهم بحضور الموائد السلطانية[3] التي يقيمها في بداية كل كل يوم أو في المناسبات الدينية[4].

لقد تعددت المناسبات المرينية التي تدق فيها الطبول، فمنها استخدام الطبول كإنذار للجند المريني لمواصلة المسير إلى ارض المعركة، وذلك لكي تأخذ جميع العناصر والفرق مكانها في الجيش وتصبح على أهبة الاستعداد لمواصلة المسير، كما كانت تدق الطبول بصوت عالي ابتهاجا بالنصر بعد فتح الجيش المريني للمدن المحاصرة، وكذلك تدق عند عودة الجيش منتصرا من المعركة، وكذلك استخدمت كطريقة لإرهاب العدو، كما كانت تدق لإرشاد من ضل طريقه من الجند أثناء الليل، مثلما فعل السلطان المريني يعقوب بن عبدالحق 684هـ\ 1285م عند إرسال ابنه الأمير يوسف لغزو اشبيلية حيث تقطع الجيش في مسارات الجبال الوعرة، فأمر بدق الطبول حتى يعرف من ضل من الجند أين مكان تجمع الجيش ويهتدي إلى الطريق[5].

أما عن المزامير فلقد استخدمها الجيش المريني[6]، وكانت تقوم بحملها عناصر معينة معينة مثل الغز الذين كانت لهم مزامير عظيمة[7]، وعناصر النصارى الذين حملوا مزامير خاصة تسمى الغيطات[8]. وكان الهدف من استخدام هذه الآلات تقوية الروح المعنوية للجيش، وذلك بما تصدره من موسيقى.

- **الألوية والرايات للجيش:**بالنسبة للواء فهو علم كبير، يمثل رمز عام للجيش ويرفع على مركز القيادة العامة، يعقد في طرف رمح طويل ويلف عليه[9]، أما الرايات فهي "شعار الحروب من عهد الخليقة"[10]، والراية تكون صغيرة الحجم تحملها العناصر، والفرق. وتعقد على رمح بحيث يكون لها مجال ليحركها الريح، وذلك بعكس اللواء. وتعتبر الألوية والرايات من علامات الملك، ولقد اختلف الملوك بين مكثرا ومقلل،

---

[1] النميري،ص227.
[2] ابن خلدون ،العبر ج1،ص273.
[3] الوزان،المصدر السابق، ج1، ص288.
[4] العمري،المصدر السابق،ج4،ص130، 131.
[5] ابن أبي زرع ، القرطاس،ص463 المصدر السابق،الذخيرة ،ص137. المصدر السابق،القرطاس ،ص464، 456 ، 353 .
[6] القلقشندى،المصدر السابق،ج5، ص201.
[7] ابن الخطيب،نفاضة ،ص151.النميري،المصدر السابق،ص223.
[8] ابن خلدون ،العبرج1،ص274.
[9] الألوسي،المرجع السابق ،ج2،ص67.
[10] ابن خلدون ،العبرج1 ص320.

وذلك بحسب اتساع الدولة، ولقد تميزت الألوية والرايات بتنوع ألوانها[1]، وبالطبع يؤثر يؤثر في ذلك تنوع العناصر المقاتلة داخل الجيش.

استخدم المرينيون الألوية والرايات داخل جيوشهم واستكثروا منها، ويعتبر الأمير أبا بكر بن عبد الحق أول من اتخذها داخل الجيش[2]، أما السلطان أبا الحسن فهو يعتبر من أهم المكثرين منها حيث وصل عددها في زمنه مئة لواء وراية، ولقد تميزت الألوية والرايات المرينية بجمالها وتعدد أحجامها، حيث كانت تصنع من الحرير الموشى بالذهب بأحجام مختلفة[3].

اتخذ المرينيون من هذه العلامات شعارا لهم أطلقوا عليه العلم المنصور أو سعد الدولة ـ تيمناً بالنصر ـ، وهو عبارة عن علم ابيض مصنوع من الحرير مكتوب عليه بالذهب المنسوج، وفي أعلاه دائرة آيات من القرآن الكريم، ولقد كان يحمل في أغلب المناسبات المرينية كالاستعراض العسكري للجيش، وأثناء الحروب، وعند خروج الموكب السلطاني[4]، وإضافة لذلك كانت هناك أعلام خاصة بالعناصر والفرق تحملها داخل الجيش المريني[5]، فمثلا نجد عناصر الغز وخاصة الرماة منهم لهم راية خاصة تزينها خصلة من الشعر[6]، ولقد كان مخصص لحملها عناصر معينة تأتى خلف فرقة الفرسان[7]، كما انه سمح لقواد الجيش بحمل رايات صغيرة[8].

لازالت بعض الألوية والرايات المرينية موجودة حتى وقتنا الحاضر بكاتدرائية طليطلة بأسبانيا، والمتمثلة في علمين يرجعا إلى موقعة طريف سنة 741هـ\1340م بين المرينيين والقشتاليين، والتي استولت فيها قشتالة على هذين العلمين، فاحدهما تم صنعه زمن السلطان أبا الحسن وهو عبارة عن سجادة مذهبة لونها اصفر تحتوى على شريطين من الأسفل، والأعلى عليهما كتابات بلغ طولها 3،70 متر، والعرض2،20 مترا، أما الأخر صنع في عهد السلطان أبى سعيد عثمان، وهو اقل حجم من الأول، ولونه ازرق صنع من الحرير المنقوش بالذهب، به نقوش بيضاء من جوانبه الأربعة، كما أنه احتوى على آيات قرآنية من سورة البقرة[9].

***

[1] النميري،المصدر السابق،ص227.
[2] ابن أبي زرع،الذخيرة،ص66.
[3] النميري،المصدر السابق،ص227.
[4] القلقشندى، صبح الأعشى،ج5، ص200، 202
[5] حركات،المرجع السابق،ص118.
[6] ابن الخطيب،نفاضة،ص151.النميري،المصدر السابق،ص223.
[7] النميري،المصدر السابق،ص227.
[8] ابن خلدون،ج1،ص271، 321، 273.
[9] البارودي ،المرجع السابق ،ص247 -248.

الفصل الثالث:نظم للأسطول.

أولا: القواعد البحرية ودور صناعة السفن:

(سلا رباط الفتح طنجة – سبتة – قصر المجاز وهران – بجاية – بادس – الجزيرة الخضراء – جزيرة طريف – المنكب – الحبالات – منزل خولان).

ثانيا: الأسطول سفنه ومعداته ومواد صناعته:

1. :أنواع السفن.
2. :أسلحة ومعدات الأسطول.
3. :المواد المستعملة في صناعة السفن.

ثالثا: قيادة الأسطول وفنونه القتالية:

1. :قيادة الأسطول.
2. :فن القتال.

أولا: القواعد البحرية ودور صناعة السفن.

بعدما أسس المرينيون جيشا قويا، تمكنوا به من السيطرة على سواحل بلاد المغرب الأقصى، وافريقية، والأندلس،مما أتاح لهم كسب العديد من القواعد ودور الصناعة البحرية مثل:طنجة، وسبتة، وسلا، ورباط الفتح (جبل الفتح)، وبجاية، وقصر المجاز، وجزيرة طريف، والجزيرة الخضراء، ورندة، والمنكب انظر الشكل(1). ثم قاموا بإعادة بنائها وتطويرها،من أجل بناء أسطول حربي قوي يمكنهم من حماية سواحل دولتهم من الأخطار الخارجية، كما يمكنهم بوساطته تقديم المساعدة للجيوش المرينية المتوجه للجهاد بالأندلس.

إن أهمية تلك القواعد ودور الصناعة البحرية التي امتلكها المرينيون بسواحل بلاد المغرب، وأفريقية، والسواحل الجنوبية للأندلس جعلتنا نتناولها بالدراسة لكي نتمكن من بيان دورها في بناء الأسطول المريني، وقبل الخوض في الحديث عن هذا الجانب يجدر بنا الإشارة إلى أنه من الصعب الفصل بين القواعد البحرية، ودور الصناعة فهما لصيقتان مع بعضهما البعض، لذا فعند تناول أي مركز بحري سوف يتم دراسة خصائصه كقاعدة حربية ودار لصناعة السفن، وسوف نُركز على ما يشتمل عليه من إمكانيات بحرية تميزه عن غيره من المراكز، كما سنحاول أبراز دور المرينيين في بناء وتنظيم هذه القواعد ودور الصناعة. وفيما يلي سوف نتناول هذه المراكز بالتفصيل:

مدينة سلا: مدينة ببلاد المغرب الأقصى، تقع بزاوية محصورة بين المحيط الأطلسي (الأطلنطي) شمالا، ووادي أبى الرقراق[1] غربا[2]، يقسمها وادي إلى قسمين[3]، ومن هذا الوادي تدخل السفن إلى مرساها[4]، بها دار لصناعة السفن، وهناك عدة عوامل ساهمت في نشؤ وتطور هذا الدار من أبرزها الوادي الموجود بها، فهو من جهة يُيسر عملية نقل السفن بعد صناعتها، أو صيانتها من وإلى دار صناعة السفن الموجودة بها، ومن ناحية أخرى وعورة هذا الوادي؛ لوجود صخور حادة بمجراه قد تُحدث أضرار بالغة بالسفن[5]، شكل عامل حماية من خطر الأعداء؛ لأن لايدخله إلا من كان على دراية بمجراه، ويعرف كيف يتفادى هذه الصخور، والعامل الأخير قرب سلا من الغابة المعمورة[6] من جهة الشمال، وهي مصدر غني بالأخشاب اللازمة لصناعة السفن[7]. وبالطبع هذا جعل من سلا أولى المراكز البحرية المهمة ببلاد المغرب الأقصى. سيطر المرينيون على سلا عندما استنجد أهاليها بهم، نتيجة لثورة أشعلها القشتاليون

---

[1] أبى الرقراق:وهو من مصاب الأودية المغربية التي نشأ حولها العمران منذ القدم ،مياهه تأتيه من جبال الأطلس الأوسط،ولقد اكتسب وضعه الجغرافي هذا أهمية كبرى لكونه الحد الفاصل بين شمال المغرب وجنوبه،ومع أن مجرى أبي الرقراق تجتمع فيه الرمال عند مصبه في البحر فتشكل حاجزا خطر على السفن الداخلة إليه، والخارجة منه،فأنهم كانوا يجرفونها وتارة يجرفها التيار،وإذا جاوزته السفن وجدت عمقا جيدا ،أو مرسى أمنا ترسى فيه،وتأوي إليه المراكب التجارية،والأساطيل الحربية. جعفر بن احمد الناصري،سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية،تحقيق:احمد بن جعفر الناصري،ج1،1427هـ.مطبعة المعارف الجديدة الرباط ،2006م ،.ص20.

[2] الوزان المصدر السابق،ج1،ص207 الحموي،المصدر السابق،ج3،ص231.

[3]شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب الانصارى، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ،مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، بطربورغ ،1865م،ص235.

[4] الحميري،المصدر السابق،ص319.

[5] المصدر السابق،ص319.

[6] كما أن هذه الغابة المجاورة لسلا مثلت مركزا للمفاومة البحرية بعد استفحال خطر الغزاة النصارى وكان ذلك واضحا بعد العهد المريني ،أيام الدولة السعدية،أ إبراهيم حركات،(مساهمة المغرب في حركة الجهاد البحري بعد طرد الموريسكوس من الأندلس)،.دعوة الحق، العدد 6،7،(يونيو)،(1979م) ،ص85.

[7] الوزان،المصدر السابق،ج1،ص209.

فيها، حيث تمكنوا من دخولها سنة 658 هـ\1260م[1]. وأصبحت قاعدة بحرية تابعة لهم، لقد اهتموا بها، ففي زمن يعقوب بن عبدالحق تم إصلاح شؤونها، وترميم سورها الغربي[32].كما بني بها دار للصناعة قبلي وادي. أبى الرقراق سنة 668هـ\1269م تحت أشراف المهندس الأندلسي محمد بن علي بن عبدالله بن محمد بن الحاج الأشبيلي[4]، وكان ذلك بأن"حفر لها ـ أي دار الصناعة ـ قنالا أو ترعة توصلها بالوادي. مارة بالأرض الفاصلة بينها وبينه ... وجعل لها بابين: أحداهما مقابلا لمنارة حسان بالعدوة الأخرى، والآخر مفتوحا في مواجهة القبلة فكان ماء الترعة يدخل من أحداهما. ويخرج من الآخر. بصناعة هندسية وقواعد علمية فنية"[5] [6]، ولقد الشعراء بذلك[7].

كما لقيت سلا اهتماما من السلطان أبا سعيد عثمان بن يعقوب، الذي أمر سنة 710هـ\1310م بإنشاء الأساطيل بدار صناعتها لحماية سواحل الدولة من الأخطار الخارجية[8]. ومن ناحية أخرى قام السلطان أبا الحسن بزيادة سفن أسطول سلا، وذلك عند تزويده دار صناعتها بكميات كبيرة من الأخشاب اللازمة لصناعة السفن[9]، ولقد ذكر لنا الدوكالي هذه العمل في شعره بقوله[10]:

---

[1] ابن أبى زرع،المصدر السابق،ص301.

[2] هدم هذا السور زمن عبدالمؤمن بن علي الكومي الموحدي ،وأدى ذلك إلى حدوث ثلم فيه ومنه تسلل النصارى إلى مدينة سلا وقاموا بإشعال الثورة بها.انظر السلاوي ،المصدر السابق،ج4،ص26.

[3] ابن خلدون ،العبر،ج7،ص236.

[4] كان من مدجنى مدينة اشبيلية والمدجنون هم المسلمون الماكثون في القواعد الأندلسية الخاضعة للنصارى. وهو من العارفين بالحيل الهندسية بصيرا باتخاذ الآلات الحربية الجافية والعمل بها وانتقل إلى فاس في عهد السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبدالحق وبناء له دولاب ودار الصناعة.انظر الناصري،المصدر السابق،ج4، ص26. وهامشها.وهذا بالطبع يبين الدور الأندلسي في الرقي بالأسطول المريني.

[5] الناصري،المصدر السابق،ج2،.ص21.

[6] نلاحظ هنا تأثرهم بطرق بناء دور الصناعة بالأندلس مثل دار صناعة طرطوشة،الحموي،المصدر السابق،ج4،ص30.ودار صناعة القصر الحميري،المصدر السابق،ص476.

[7] أشاد أبو عبدالله محمد بن علي الدلالي بهذه الجهود بقوله.

ثم أتى بعد بنو مرين وملكوا المغرب بعد حين

فكان يعقوب الذي قد جددا دار صناعة سلا كما بدا

فأنشئت له بها الأجفان كثيرة ليس لها حسبان

وعبر البحر بها مرارا مجاهدا بنفسه اختيار

وأدرك العز الذي لم يسبق لغيره فسل بطون الورق

الناصري،المرجع السابق،ج2،ص24.

[8] البارودي،المرجع السابق،ص294.

[9] الحريري،المرجع السابق،ص287.

[10]

وبلغ الأسطول في عهد أبي حسن منهم أجل مرغب

مائة جفن ثم أربعينا قد عبر البحر بها يقينا

أما السلطان أبا عنان فلقد تركزت جهوده في تطويرها، بحيث جعل دار صناعتها تنتج أنواع متعددة من السفن ذات الطابع الحربي مثل الغراب[1]، والشيطى، والشلر[2]، ولقد أورد لنا ابن بطوطة نصا بهذا الاهتمام في قوله: "ومما شاع من أفعال مولانا ـ يقصد أبا عنان ـ أيده الله في الجهاد إنشاؤه الأجفان بجميع السواحل، واستكثاره من عدد البحر، وهذا في زمان الصلح والمهادنة[3]، إعداد لأيام الغزاة، وأخذا بالحزم في قطع أطماع الكفار، وأكد ذلك بتوجهه أيده الله بنفسه إلى جاناته[4] في العام الفارط ليباشر قطع الخشب للإنشاء، ويظهر قدر ماله في ذلك من الاعتناء، ويتولى بذاته أعمال الجهاد مترجيا ثواب الله تعالى وموقنا بحسن الجزاء"[5]. كما يورد لنا النميري نصا أخر بقوله: "وفي تلك الأيام أمر مولانا أيده الله ـ السلطان أبا عنان ـ بدفع غراب كبير برسم سوق الخشب من المعمورة، وإعداده بدار الصنعة المشهورة ـ دار صناعة سلا ـ.لتنطلق أحوال الإنشاء وتكمل صورة الأجفان"[6].

حاول المرينيون أن يبدعوا في الرقي بهذه الدار لكي تصبح مميزة عن غيرها،فقد أقاموا بها البابان الكبيران الموجودان بها، فالباب الأول يفتح جهة القبلة، وهو كبير وشكله على هيئة قوس عظيم، مزخرف بكتابة بالخط الكوفي، وتملأ زواياه عن اليمين والشمال زخارف، ونقوش لأوراق الشجر، وقد كُتب على واجهته الشرقية من الأعلى الشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعلى رأس القوس اسم الجلالة (الله)، ونقش من حوله على الحجر آيات كريمة، تحث على الجهاد في سبيل الله[7]. أما الباب الثاني يقع بالناحية الغربية وهو الذي تدخل منه السفن لصيانتها، وهو لايحمل أي كتابة أو زخارف. لقد كان للبابين أهمية حربية؛ وذلك كما أشار الناصري بقوله: "وقد روعي في هذين البابين العظيمين معا احتياطات إستراتيجية وتحصينات حربية، وفوهات ومرامي، تدافع من ورائها الجنود والبحارة وهم في مأمن إذا دهم العدو من البر، أو الأسطول من البحر المرسى أو دار الصناعة"[8].

بعد تجهيز السفن داخل هذه الدار تفتح المياه بقناة ".من بعد تدفع السفينة فيها، ومن خلالها تخرج من الباب القبلي سابحة على وجه الماء حتى تصل إلى الوادي،لقد كان قوس هذا الباب

أتلف	من	عمارة	الإصبان	معظمها	حقا	بلا	نكران
ولم	تزل	صبابة	الأجفان	معروفة	بهذه		الأوطان

الناصري،المرجع السابق،ج2،ص24.

[1] النميري،المصدر السابق،ص201.

[2] يستخدم الشيطي والشلر في المهام التجسسية أو الاستطلاعية.انظر ابن منكلى،المصدر السابق،ص36.

[3] وهنا نلاحظ العقلية الحربية لهذا السلطان المتمثلة في استغلال الصلح والهدنة في تدعيم قوته الحربية في شتى المجالات وعلى رأسها المجال البحري.

[4] من المرجح أن بها غابة بها أشجار تلزم لصناعة السفن.وهى بها قبائل ببلاد فازاز ببلاد المغرب:ابن أبي زرع، روض القرطاس ،ص289. وتقع غرب مدينة مكناس : المنوني،المرجع السابق،ص223. ومن الواضح أنها تقرب كثيرا إلى دار صناعة سلا ولذا نسبنا نص ابن بطوطة إلى انه جزء من اهتمام السلطان أبا عنان(فارس بن علي) بسلا ودار صناعتها.

[5]ابن بطوطة،المصدر السابق،ج2،ص308. محمد عبدالعزيز الدباغ،(بنو مرين من خلال رحلة أبن بطوطة) دعوة الحق،ع 7،(ابريل)،(1962م) 5،ص36.

[6] النميري،المصدر السابق،ص354. ص201.

[7] إن ما ورد بدار صناعة سلا من رسوم ونقوش وكتابات ،يعتبر دليلا واضحة على ما لقيته دور الصناعة من اهتمام من جانب المرينيين ، إضافة إلى أن النقوش والآيات القرآنية التي تحمل معاني الجهاد، تُشير للمبدأ الديني للمرينيين القائم على الجهاد في سبيل الله، كم انه يعكس تطور الفن المعماري لديهم.

[8] الناصري،المصدر السابق،ج2،ص21،22.

مرتفعا جدا؛لتخرج منه السفينة ناشرة أشرعتها بسهولة. ولقد كان الباب المقابل لمنار حسان معدا لدخول السفن إلى دار الصناعة"[1].

أما بالنسبة لمساهمة سلا في النشاط الحربي المريني، فهي تتمثل في عدة مناسبات أهمها: المساهمة في تجهيز الأسطول المريني المتجه إلى الجزيرة الخضراء لتخليصها من الحصار المضروب عليها من قبل القشتاليين وذلك سنة 678 هـ\1279م، كما ساهمت في سنة 711هـ\1311م في تجهيز الأسطول المريني الذي رافق الأمير أبا البقاء يعيش عند توليه أمر الثغور الأندلسية (الجزيرة ورندة وحصونها)[2].

رباط الفتح أو جبل طارق: وهو يقع عند الجزيرة الخضراء، ومنه فتح طارق بن زياد الأندلس، ويوجد به مرسى للسفن، ويقول العمري عن أهمية هذا الجبل أنه: "منيع جدا يتمكن من حازه من الجزيرة، وسبتة وما بينهما"[3].ولقد بُنيت فوقه مدينة زمن الموحدين وحُصنه بسور منيع وسُميت بمدينة الفتح[4]. وفي سنة 669هـ\1270م سيطر عليه المرينيون[5]. وفي سنة 709هـ \1309م استولي عليه النصارى، واستمر تحت سيطرتهم ما يقارب من أربعة وعشرون سنة.استعاده السلطان أبا الحسن سنة 773هـ\1333م[6].

ونظرا لأهمية رباط الفتح باعتباره ثغر الجهاد كما يقول صاحب نفح الطيب: "الجبل باب الأندلس وركاب الجهاد وحسنة بني مرين ومآثر آل يعقوب"[7]أهتم المرينيون به وجعلوا منه مدينة حربية فوق الجبل يصعب حصارها واختراقها، فنجد مثلا السلطان أبا الحسن يقوم بتجهيزه بكامل العدة والعتاد[8]، وهذا ما نفهمه من هذا النص: "ارتجاع ـ أبا الحسن ـ جبل الفتح الفتح ليد المسلمين ... وانفق على بنائه أحمال مال، واعتنى بتحصينه، وبنى حصنه وأبراجه وسوره وجامعه ودوره ومخازنه"، كما انه قام بتحصين سفحه بسور من جميع جهاته وصرف عليه أموالا كثيرة[9]. وكذلك يورد لنا العمري نصا على اهتمام هذا السلطان بالجبل حيث يقول فيه: "وعمره السلطان أبو الحسن،واتخذه عتادا لجنده إذا دخلوا الجزيرة لحرب الكفار، وقد كان اسكنه طائفة من عسكره"[10]، إضافة لذلك قام ببناء دار لصناعة السفن به[11]. وفي زمن ابنه أبا عنان اهتم بتحصين الجبل، وبنى دار صناعته[12].كما أمر بان يصُنع له مجسماً لرباط الفتح لكي يملئ منه ناظريه. ولقد أورد لنا ابن بطوطة نصا يبين فيه ذلك حيث قال: "وبلغ من اهتمامه ـ يقصد أبا عنان ـ بأمور الجبل أن أمر ـ أيده الله ـ ببناء شكل يشبه شكل الجبل فمثل أشكال أسواره وأبراجه وحصنه وأبوابه ودار صنعته، ومساجده ومخازن عدده وأهرية زرعه،

---

[1] السلاوي،المصدر السابق،ج4،هامش ص26.
[2] ابن أبى زرع،المصدر السابق،ص331 398.
[3] المصدر السابق ،ج4 ،ص146.
[4] الحميري،المصدر السابق ،ص382.
[5] ابن أبى زرع،المصدر السابق ،ص308.
[6] السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص121.
[7] المقري،نفح الطيب،المصدر السابق،ج4،ص408.
[8] ابن بطوطة ،المصدر السابق،ج2،ص308.
[9] ابن الخطيب،نفح الطيب،ج4،ص404.
[10] المصدر السابق،ج4،ص146.
[11] ابن بطوطة،المصدر السابق،ج2،ص308.
[12] السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص122.

وصورة الجبل وما اتصل به من التربة الحمراء فصنع ذلك بالمشور السعيد فكان شكلا عجيبا أتقنه إتقانا يعرف قدره من شاهد الجبل وشاهد هذا المثال"[1]. وكذلك من خلال الوصف الذي قدمه ابن بطوطة يمكن أن نستنتج العديد من المرافق والمنشآت داخل مدينة جبل طارق، والتي عجزت المصادر عن ذكرها. وهي بالطبع ما هي إلا دليل على اهتمام سلاطين بني مرين بهذا المركز الحربي.

مدينة طنجة: ببلاد المغرب الأقصى، تقع على ساحل البحر، وتبعد على سواحل الأندلس حوالي 18كليو متر[2]، ويوجد بها نهرا ينبع من جبالها ويصب في البحر[3]، بها كذلك ميناء، وقاعدة بحرية[4]، إضافة لدار صناعة السفن الحربية والتي وجدت منذ أقدم العصور[5]، لقد كانت كانت طنجة زمن دولة الموحدين ثغر العدوة، ومرفأ الأساطيل[6]، وعند سقوط دولة الموحدين لم لم تتأثر هذه المدينة بذلك؛ لأنها كانت تتبعهم اسميا، وكانت رسميا تحت إدارة العزفيين[7]. لقد كانت طنجة في بداية الدولة المرينية تابعة لأبى القاسم العزفي، ولكن في سنة 672 هـ\1273م تمكن المرينيون من السيطرة عليها[8]، وهكذا أصبحت من أهم القواعد البحرية لتجهيز الأسطول الأسطول المريني، ومركز قيادته العليا، ففي سنة 678 هـ\1279م جهز المرينيون في طنجة أسطول لفك الحصار القشتالي المفروض على الجزيرة الخضراء[9].

مدينة سبتة: يقول ياقوت الحموي: "هي من قواعد بلاد المغرب، ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق* الذي هو اقرب ما بين البر والجزيرة، وهي مدينة حصينة تشبه المهدية التي بأفريقية على ما قيل؛ لأنها ضاربة في البحر داخلة كدخول كف على زند"[10]. ويحيط بها البحر من جميع الجهات عدا جهة الغرب[11]. وربما هذا ما جعلها تحتوى على العديد من المراسي حيث وصلت إلى ما يقارب الثلاثون مرسى، ولكن ليست بنفس المزايا والأهمية[12].

جاءت سيطرت المرينيين على سبتة بعد القضاء على دولة الموحدين وإخضاع معظم أجزاء بلاد المغرب الأقصى، حيث توجه إليها الأمير يوسف بن يعقوب بجيش وحاصرها، ولقد ترتب

---

[1] ابن بطوطة،المصدر السابق،ج2،ص309.
[2] البارودي،المرجع السابق،ص292.
[3] الحميري،المصدر السابق،ص395،396. مؤلف مجهول،الاستبصار،ص139.
[4] العمري،المصدر السابق،ج4،ص128.
[5] الحسن بن محمد الغسال،إيضاح البرهان والحجة في تفضيل ثغر طنجة،،مطبعة سليمن بن حيون،1325هـ\1907م،ص3.من الواجب التنبيه إلى أن هذا الكتلب أول كتاب طُبع من الكتب التي تتناول طنجة،وهو لم يحقق إلى الآن.
[6] ابن خلدون ،العبر،ج7،ص246،245.
[7] العزفيون من بيوتات سبتة وأهل رياسة وعلم ودين،ولما ضعف أمر الموحدين استقلوا بسبته،وأعمالها بما فيها مدينة طنجة وكان يترأسهم أ ابوالقاسم محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين العزفي اللخمي،ولد سنة 607هـ\1211م،وتوفي سنة 677هـ\1279م ،دامت دولته زهاء ثلاثين سنة. السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص37.
[8] ابن خلدون،العبر، ج7، ص247،246.
[9] ابن خلدون،العبر،ج7،ص267.
* الزقاق:هو مضيق جبل طارق ويسمى المجاز الأعظم؟المراكشي،المصدر السابق،تحقيق:ج.س.كولان و ليفى بروفنسال،ط3،ج1،بيروت،دار الثقافة،1983م،ص6.
[10] ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج4 ،ص182،183.صفى الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي،مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،تحقيق :علي محمد البجاوي، ج2،ط1،دار الجيل بيروت،1992م ،ص688.
[11] الحميري ،المصدر السابق،ص303.
[12] السبتي،المصدر السابق،ص50.

على ذلك توقيع صلح سنة 672هـ\1273م مع حاكمها الأمير أبي العباس العزفي والذي بموجبه يحتفظ العزفي بحكم سبتة لقاء خراج سنوي يؤديه إلى المرينيين[1]. لقد ظلت العلاقة بين بين سبتة والمرينيين علاقة تعاون متبادل، ولكن بعد تعرضها إلى الاحتلال من قبل بني الأحمر سنة 705هـ/1305م، قام المرينيون سنة 709هـ/1309م باسترجاعها منهم[2]، وترتب على ذلك إلغاء بنود الصلح العزفي المريني، وأصبحت سبتة تابعة رسميا للمرينيون ولكن تُركت إدارة شؤونها الداخلية للعزفيين .

نالت مدينة سبتة اهتمام كبير من سلاطين بني مرين وذلك من خلال بناء وتطوير دار صناعتها، فمثلا نجد السلطان أبا الحسن يكلف وزيره أبو ثابت عامر بن فتح الله السدراتي، بالأشراف على تطوير دار صناعة السفن بسبتة[3]. حيث أصبحت بعد ذلك تشتهر بصناعة أشهر أشهر السفن الحربية وهى الطريدة[4]، ويبدوا أن هذا الاهتمام جعل سبتة تتميز بأسطول قوي ذاعت شهرته في مختلف أنحاء المعمورة،فها هو ابن حجلة المقيم بمصر ينشد أبياتا لأمير الإسكندرية يلبغا الخاسكى أو الخاصكى[5] ينصحه فيها بالاستعانة بالخبرات المغربية، والأساطيل السبتية لصد خطر النصارى[6].

قصر المجاز (قصر مصمودة أو القصر الصغير): مرسى بسواحل بلاد المغرب الأقصى مقابل لسواحل الأندلس وقريب منها، بينه وبين سبتة اثنا عشر ميلا وبينه وبين طنجة عشرون ميلا، يخترقه نهر يصب في البحر[7]،.وبه مدينة أسسها الموحدون بغرض عبور الجيوش إلى الأندلس، الأندلس، واغلب سكانه لهم دراية بالبحر[8]. كما يحتوي على دار لصناعة السفن، يصنع بها أنواع من السفن وخصوصا كبيرة الحجم مثل الحراريق[9] [10].

---

[1] ابن خلدون،العبر،ج7،ص327.
[2] ابن أبى زرع،المصدر السابق،ص393.
[3] الحريري،المرجع السابق،ص287.
[4] ابن منكلى،المصدر السابق،ورقه 37.
[5] لفظ مملوكي جمعه الخاصكية،وهم نوع من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من المماليك الأجلاب الذين دخلوا في خدمته صغارا ويجعلهم في حرسه الخاص،وجعل هذا الاسم خاصا بم يحضرون على السلطان في أوقات خلوته وفراغه،وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المتقدمين،ويحضرون في طرفى كل نهار في خدمة الأصطبل والقصر،ويركبون مركوب السلطان ليلا ونهارا،ولا يتخلفون في قرب ولا بعد ويتميزون عن غيرهم في الخدمة بحملها سيوفهم ولباسهم المطرز المزركش،ويتوجهون في المهمات الشريفة ويتأنقون في مركوبهم وملبوسهم.محمد أحمد دهمان،معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكى،دار الفكر المعاصر ،بيروت،ط1 ،1990م،ص66.
[6]

وحقك		عندي		للفرنج		مكايد	
فليت	ولى		الأمر		يدرى	بما	ادري
فمن	لي	بأسطول		به	أهل	سبتة	
بغرباتهم		مثل		النسور		إذا	تسرى

محمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندراني،الإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية،تحقيق:عزيز سوريال عطية، ج3،حيدر آباد،دائرة المعارف العثمانية،1390هـ\1970م، ص88
[7] مؤلف مجهول،الإستبصار،ص138.
[8] الوزان،المصدر السابق،ص316.
[9] سيتم التعريف بها عند الحديث عن أنواع السفن.
[10] الحميري،المصدر السابق،ص476..

استخدم المرينيون قصر المجاز كقاعدة تُجهز بها الأساطيل للجهاد بالأندلس، وكان بداية ذلك في سنة 673 هـ\1274م عند نجدتهم لبنى الأحمر من خطر مملكة قشتالة، ولقد كان يشرف على تجهيز سفنها في الغالب من يتولى شؤون مرسى سبتة، الذي كان في هذه الفترة يرئسه الفقيه أبا القاسم العزفي[1] .

وهران: تقع على ساحل بلاد المغرب، وأسست سنة 290 هـ\902م على يد بحارة أندلسيين، ويوجد بها مرسى صغير ومرسى كبير[2]، والمرسى الكبير يقول عنه ابن الوزان انه كبير جدا ولا يكاد يكون هناك مرسى اكبر منه ببلاد المغرب؛ لأنه يسع المئات من المراكب والسفن الحربية[3]. سيطر عليها المرينيون سنة 699هـ\1299[4]. واهتموا بمختلف جوانبها، ويورد لنا ابن خلدون نص بذلك في قوله: "كان بها القائد عبد[5] بن سعيد بن جانا من صنائع بني مرين، وقد ضبطها وثقفها وملأها أقواتا ورجلا وسلاحا، وملأ مرساها أساطيل"[6]. واستمرت وهران قاعدة للمرينيين في عهد أبا عنان[7]. حيث استخدمها كقاعدة بحرية لحملاته صوب المغرب الأوسط والأدنى، وذلك لقربها من هذه الأماكن.

مدينة بجاية: تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط في المنطقة الواقعة بين افريقية والمغرب الأوسط، وعنها يقول الإدريسي: "ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط ... والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة... وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل، والمراكب والسفن. ... لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير، ويجلب من أقاليمها الزفت والقطران، وبها معادن الحديد الطيب،وموجود بها من الصناعات كل غريب ولطيفة"[8]. كما أن صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار يقول أنه كان بها بدل دار الصناعة داران[9].وهكذا نظراً لموقع بجاية، وتوفر المواد اللازمة لصناعة السفن بها أصبحت قاعدة حربية تمتلك أسطول حربي قوى[10]. كما أنها أصبحت مركزا لصناعة السفن.

بداء اهتمام المرينيين ببجاية منذ عهد السلطان أبا الحسن[11]، وذلك عند توجهه إلى تونس لتقديم المساعدة لأصهاره الحفصيين للقضاء على الفتن التي ظهرت ببلادهم، حيث مر ببجاية وسيطر عليها، وأصلح شؤونها، وهذا ما أشار إليه أبن خلدون في قوله: "ودخل بجاية ورفع عنها الظلمات وحط عنهم ربع المغارم.ونظر في أحوال ثغورها فثقفها وسد فروجها وعقد عليها لمحمد بن النوار"[12]. كما لقيت هذه المدينة اهتمام بدار صناعتها وأسطولها من قبل السلطان أبا

---

[1] ابن أبى زرع،المصدر السابق،ص313 380 .
[2] الحميري،المصدر السابق،ص612،613. بينما يجعل ابن الوزان تأسيسها إلى قبل التاريخ المذكور على يد الأفارقة القدماء. قارن مع الوزان ،ج2،ص30.
[3]. الإدريسي،المصدر السابق،ص252. الوزان،المصدر السابق،ج2،ص31
[4] ابن أبى زرع، المصدر السابق،ص386.ص410.
[5] في بعض النسخ عبو.،ولكن نجد في ص372 يذكر انه عامل وهران في عهد السلطان أبو الحسن اسمه عبدالله بن سعيد بن جانا ،. ابن خلدون ،العبر،ج7، هامش ص 372ومن المرجح أن الاسم الأخير هو الأقرب إلى الصواب.
[6] العبر،ج7، ص 372
[7]ابن خلدون العبر،ج7،ص156 373.
[8] المصدر السابق،ص260.
[9] مؤلف مجهول،ص130.
[10] الوزان،المصدر السابق،ج2،ص50.
[11] يجب الإشارة إلى أن بجاية كانت تمر بفترات تنتقض فيها عن الحكم المريني ولكن سرعان ما يرجعوها إلى دائرة نفوذهم.
[12] ابن خلدون،العبر،ج7،ص356.

عنان؛ لأنها كانت تمثل له قاعدة لضرب القوي المعارضة بإفريقية مثل قبائل بني سليم العربية التي كانت تثير الفتن، والقلاقل للدولة المرينية في سنة 754هـ\1353م[1]. وبالطبع هذا الاهتمام الاهتمام جعل بجاية ومرساها من أهم المراسي المرينية التي تصلح لان تكون ميدانا لاستعراض الأسطول فلقد استخدمها السلطان أبا عنان لاستعراض أسطوله عند توجه حملته نحو افريقية 748هـ\1347م[2].

بادس[3]: تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط ببلاد المغرب الأقصى بين جبلين. تكثر بهما الأشجار التي تمثل مصدر للأخشاب اللازمة لصناعة المراكب والسفن، وهذا بالطبع ساهم في أن تكون بها دار صناعة[4]، إضافة إلى مرسى للسفن[5]. ونظرا لأنها "مرفأ الجواز ببلاد غمارة" غمارة" لقيت هذه المدينة اهتمام كبير من المرينيين فقد قام يعقوب بن عبدالحق في سنة 674هـ\1275م بتحصينها وذلك ببناء سور حولها[6]، وبالتالي أصبح لها دورا في النشاط الحربي المريني، فلقد شاركت في سنة 678هـ\1279 بأسطولها كغيرها من القواعد المرينية في فك الحصار المفروض على الجزيرة الخضراء من قبل القشتاليين[7].

الجزيرة الخضراء: تقع على ربوة مشرفة على البحر، ولها سور متصل به، يقول الحموي: "وسورها يضرب به ماء البحر ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزائر لكنها متصلة ببر الأندلس الحائل من الماء دونها"[8]. ويوجد بها مرسى للسفن يتمتع بدرجة عالية من الآمان وهو أيسر المراسي للجواز بين المغرب والأندلس، وذلك لقرب المسافة بينهما، كما يوجد بداخلها دارا لصناعة السفن متقنة البناء وعالية الأسوار[9]، ومن أشهر أنواع السفن التي تصنع بها الحراريق[10].

تعتبر الجزيرة الخضراء من القواعد.الأندلسية التي امتلكها المرينيون، واستخدموها كمحطة لاستراحة أساطيلهم وتجهيزها عند العبور للأندلس. وكان بداية ذلك في سنة 674هـ\1275م. كما قام المرينيون بتزويدها بمختلف العدة والعتاد[11].

جزيرة طريف: تقع على البحر الأبيض المتوسط، وتأتى في أول مضيق جبل طارق من ناحية الغرب وتقرب كثيرا من سواحل الأندلس، وتتصل بالمحيط الأطلسي[12]. يعتبرها البعض تابعة للجزيرة الخضراء[1].

---

[1] النميري،المصدر السابق،ص70 266.
[2] المصدر السابق،ص271،270.
[3] اسم لموضعين بالمغرب :بادس فاس وهى على البحر وبادس الزاب.انظر المقدسي المصدر السابق،ص149. وما نقصده في البحث بادس فاس.
[4] الوزان،المصدر السابق،ج1،ص325،326.
[5] أبي عبيد البكري،المصدر السابق،ص90.
[6] ابن خلدون،ج7،ص256.
[7] ابن أبى زرع،المصدر السابق،ص331.
[8] الحموي،المصدر السابق ،ج2،ص136.
[9] الحميري،المصدر السابق،ص223.
[10] العمري،المصدر السابق،ج4،ص147.
[11] ابن خلدون،العبر،ج7، ص273،254 265.
[12] الحميري،المصدر السابق،ص329.

امتلاكها المرينيون سنة 673 هـ\1274م،عند تنازل ابن الأحمر عنها لهم نظير تقديمهم المساعدة الحربية له، ولقد استخدموها كقاعدة حربية لاستراحة الأسطول المريني[2]. ونظرا لأهميتها تشبث بها المرينيون وعلى رأسهم يوسف بن يعقوب، حيث نجده بعد موت أبيه، وعند مجيء ابن الأحمر لمواساته وتهنئته يتنازل لأبن الأحمر عن اغلب القواعد الأندلسية التي بحوزته ما عدا طريف[3]. وكذلك أهتم بها السلطان أبا الحسن، وجعل منها قاعدة لتجمع جيوشه التي توجه الضربات المتتالية لمملكة قشتالة، ولعل هذا ما جعل القشتاليين يطمعوا فيها ويقوموا في سنة 741هـ\1340م بالسيطرة عليها[4].

المنكب: بلدة على الساحل الجنوبي للأندلس، بها مرسى[5]، ودار لصناعة السفن[6]. ولقد أصبحت تابعة للمرينيين في زمن السلطان يعقوب بن عبدالحق، ولقد ساهمت في الجهاد بالأندلس بما تملكه من أساطيل[7].

الحبالات: موقع على السواحل الغربية للمغرب الأقصى بالقرب من نهر سبو، ويقول محقق بيوتات فاس انه مازال يسمى بهذا الاسم إلى وقتنا الحاضر[8]، وبه دار لصناعة القوارب والسفن صغيرة الحجم والتي تُدفع من هذا الوادي حتى تصل إلى المحيط الأطلسي، وهذه الدار يرجع بنائها إلى عهد الخليفة الموحدي عبدالمؤمن الكومي سنة552هـ\1107م[9].

منزل خولان: وهو موضع على مقربة من مدينة فاس على نهر سبو، به دار لصناعة السفن استخدمها المرينيون في تجهيز أنواعا من سفن أسطولهم، ويورد لنا صاحب زهرة الأس نص بذلك حيث قال: "أمر مولانا المتوكل أبو عنان رحمه الله بإنشاء جفنين اثنين أحداهما شيطي يجر مائة وعشرين مجذافا، والثاني شلير يجر ستين مجذافا بمنزل خولان ودفعا بوادي سبو إلى أن وصلا لمعمورة سلا وكان ذلك في شوال سنة ست وخمسين وسبعمئة "[10].

***

---

[1] مؤلف مجهول،ذكر بلاد الأندلس،تحقيق وترجمة :لويس مولينا،مدريد المجلس الأعلى للأبحاث العلمية،1983م،ج1، ص86.
[2] ابن خلدون،العبر،ج7،ص235.
[3] ابن خلدون،العبر،ج7،ص279.ولكن نجد صاحب روض القرطاس يضيف إلى جانب الجزيرة وطريف ،رندة ووادي أش وأحوازها،انظر ص276.
[4] ابن خلدون،العبر،ج7،ص347. ويجب أن نشير إلى أن ما حصل من افتك للجزيرة على يد النصارى انه لا يناقض قولنا باهتمام السلطان أبا الحسن بها وذلك لان السبب في ذلك يحدثنا به ابن خلدون والذي يُرجعه إلى إهمالا من جند الحراسة الليلية الذي كان سببه تسرب النصارى للجزيرة وعمل كمين بها.انظر نفس المصدر السابق،ص347.
[5] الحميري،المصدر السابق،ص216،548.
[6] العمري،المصدر السابق،ج4 ،ص145.
[7] ابن خلدون،العبر،ج7،ص276.
[8] إسماعيل بن الأحمر،بيوتات فاس الكبري،تحقيق ونشر:دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط،1972،ص53.
[9] علي الجزنائى، جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط، 1411هـ\1991م، الرباط، ص73.
[10] الجزنائى،المصدر السابق،ص37.

ثانيا: سفن الأسطول ومعداته ومواد صناعته.

بعد الحديث عن أهم القواعد ودور الصناعة البحرية، وجهود المرينيين في بنائها وتطويرها، لإنشاء أسطولهم، نتناول فيما يلي سفن ومعدات ومواد صناعة الأسطول المريني.

1 **أنواع السفن:** لكي يكون الأسطول أسطولا يقول ابن منكلى يجب أن يشتمل على سبعة أنواع[1] من السفن وهي: القراقر، والمراكب، والأجفان، والشواني، والشخاتير، والشلير، والزورق، أو القارب."ومتى نقص الأسطول عن هذه الأنواع السبعة المذكورة أختل نظام تعليته عند القتال، وربما خرج عن تسميته أسطولاً"، فمن هذه الأنواع تتشكل هيكلية الأسطول القلب والجناحان والميمنة والميسرة[2].

لقد أشتمل الأسطول المريني على أغلب تلك الأنواع المذكورة، وهذا يجعلنا نرجح أنه كان أسطول متكامل، ويمكن تناول سفن الأسطول المريني فيما يلي:

الجفنة: شاعت هذه التسمية عند سكان بلاد المغرب[3]، وهي تسمية لمركب من قطع الأسطول صنع لغرض القتال، وذلك على حسب ما ورد عند المؤرخين القدماء والمحدثين مثل ابن جبير في قوله: "والناس في هذه المدينة يرجمون الظنون في مقصد هذا الأسطول الذي يحاول هذا الطاغية تعميره وعدد أجفانه فيما يقول ثلاثمائة"[4]، وكذلك ورد عند ابن بطوطة في رحلته حيث تناول أسم جفنة على أساس انه مركب حربي[5]. ونجد دوزي في معجمه يعرف الجفنة بقوله: "تجمع على جفان: وهي سفينة حربية"[6].

كما ورد ذكر الجفنة أو الأجفان في كثيرا من المصادر المرينية[7]، وكان ذكرها في الغالب مقرونا بالحرب، والجهاد سواء في المغرب أو الأندلس تحت اسم الأجفان الغزوانية، وربما إرفاق كلمة الغزوانية هو دليل على صحة قول درويش النخيلي بأن أجفان تطلق على السفن عامة[8]، وما يميز الحربية منها هو إرفاق لفظة الغزوانية معها.لقد استخدم المرينيون الجفنة لنقل الجند المطوعة من قبائل المغرب للجهاد بالأندلس[9].

الحراقة: جمعها حراقات وحراريق، وهي مركب بحري كبير يتم تسييره بواسطة المجاذيف[10]، ويوجد على متنه أنواع مختلفة من الأسلحة القاذفة مثل مكاحل البارود، والعرادات، والمنجنيقات التي يُرمى بها النفط المشتعل على الأعداء[11]؛ وربما لهذا

---

[1] يجب الإشارة إلى أن الأنواع المذكورة من السفن هي في الغالب أنواع رئيسية،وتقع تحتها أنواع فرعية تختلف في التسمية.

[2] ابن منكلى،المصدر السابق،ورقه 35.

[3] ابن منكلى،المصدر السابق،ورقه 33.

[4] رحلة ابن جبير،دار صادر بيروت،ص310.

[5] المصدر السابق ،ج2،ص308.

[6] المرجع السابق،ج 2 ،ص332.

[7] النميري،المصدر السابق ،ص160.ابن بطوطة،المصدر السابق ،ج2،ص308.الجزنائى،المصدر السابق،ص37.ابن الخطيب،نفاضة ،ص117.ابن أبى زرع،المصدر السابق،ص131.

[8] درويش النخيلي،السفن الإسلامية على حروف المعجم،الإسكندرية،1974م،ص24. 25.

[9] ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص314. 331.

[10] رفيق المهايني ، "الأسطول العربي منذ فجر الإسلام حتى أواخر عهد المماليك"،(رسالة غير منشورة قُدمت لنيل شهادة أستاذ في العلوم،جامعة الأمريكية،كلية الآداب والعلوم ،6 آذار 1942م،،بيروت)،ص20.

[11] عبدالرحمن البرقوقي،حضارة العرب في الأندلس،مصر،المكتبة التجارية،1341هـ 1923م،ص166.

السبب أطلق عليها دوزي في معجمه اسم "حراقة نفط أو حراقة بارود"[1]، ولقد أشار صاحب فيض العباب إلى الحراقات كقطعة من قطع الأسطول المريني، كما انه أشار إلى أنه كان تستخدم لقذف المواد الحارقة حيث قال: "وحراقات تحرق قلب المناصب وتتيح صرعه"[2]. إضافة إلى ذلك استخدمت الحراقات للنقل والركوب[3]، وعلى ما يبدوا يبدوا أن قيادة هذه المراكب كانت تسند إلى عناصر معينة من الجيش، حيث يقول القلقشندى أن الحراريق يركبها الأنجاد من الرماة والرؤساء المهرة[4].

شَلَّير(بفتح الشين وكسر اللام مع تشديدها)**:** وهو يصنف ضمن الشواني، وعلى الأرجح أن اسمه مشتق من الكلمة الفرنسية Galére (بمعنى شينى)؛ لأنه من الجائز قلب الجيم إلى الشين في اللغة العربية[5]. وهو أسرع القطع في الأسطول، ولذا استخدم في المهمات التي تتطلب السرعة، مثل الاستكشاف، وإرسال البريد العسكري، فبدونه يكون الأسطول ناقصاً[6]، ولقد استخدمه المرينيون ضمن قطع أسطولهم، فلقد ورد ذكره ذكره عند صاحب زهرة الأس حيث قال: "أمر مولانا المتوكل أبو عنان رحمه الله بإنشاء ... شلير يجر ستين مجذافا بمنزل خولان"، كما كانت من ضمن قطع الأسطول المريني الذي شن حملة على أفريقية سنة 748هـ\1347م[7].

الشيني أو الشونة: جمعها شواني وهي من المراكب المعدة للجهاد في البحر[8]، يسميها يسميها أبن منكلى الشواني الغزوانية[9]. ومنها كبيرة الحجم التي تستخدم لنقل الجند المقاتلة[10]، والمؤن، والمياه[11]. وإضافة لذلك لها مهام حربية حيث يتم تجهيزها بالجند من حملة القسي والسهام، وقاذفات الأنفاط، ويتم تسييرها بواسطة المجاذيف التي يقوم عليها مجموعة من المتخصصين في التجديف يبلغ عددهم مئة، ولهم مكان خاص محمى بداخلها[12].

لقد كانت الشينى من أهم قطع الأسطول المريني وهذا ما تدل عليه النصوص التاريخية التي تشير إلى ذلك، فلقد أشار صاحب فيض العباب إلى أن الشواني كانت على رأس سفن أسطول المريني المتوجه إلى افريقية سنة 748هـ\1347م[13]. كما نجد دليلا أخر عند ابن الخطيب[14] في إحدى موشحاته التي يمدح فيها احد سلاطين بني مرين يذكر فيها الشواني التي تجوب شاطئ الرباط، حيث قال:

---

[1] المرجع السابق ،ج3، 1981م، ص173

[2] النميري،المصدر السابق ،ص354.

[3] تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار،المعروف بالخطط المقريزية،ج1، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،ص218.

[4] المصدر السابق،ج5 ،ص272.

[5] البارودي،المرجع السابق،ص302.

[6] ابن منكلى،المصدر السابق،ورقه 35.

[7] الجزنائى ،ص37،35.

[8] تاج العروس،مادة شونة.

[9] المصدر السابق،ص35.

[10] عبدالفتاح عباده،سفن الأسطول الإسلامي،1913م ص5. ومتوسط ما تحمله يبلغ المائة والخمسون جندي.انظر نفس المرجع والصفحة.

[11] ياسين الحموي،تاريخ الأسطول العربي،دمشق،1945م،ص32.

[12] عباده،المرجع السابق ،ص4. 5.

[13] النميري،المصدر السابق ،ص160.

[14] نفاضة ،ص68.

وطف من الرباط بركن طائف
بمنزل اغتباط دار الخلائف

ثم يقول :

أهلة الشواني في افقه تسير

وفي رسالة بعث بها ملك بني الأحمر أبو الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل (733-755هـ\1333-1354م) إلى السلطان أبا عنان يخبره بنبأ وفاة ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر عند حصاره لجبل طارق، يرد ذكر الشواني المرينية التي حفظت بحر العدوة ونشرت فيه الأمان، وهذا النص: "وأما البلد المحصور فظهر فيه من عزمكم الأمضى ما صدق الآمال والظنون، وشرح الصدور بمقامكم وأقر العيون من صلة الإمداد على الخطر، وتردد السابلة البحرية على بعد الوطن وتعذر الوطر؛ واختلاف الشواني التي تسرى إليه سرى الطيف"[1].

الشيطي:هو مركب صغير ذا شراعين واسمه تحريف عن الكلمة اللاتينية Sagitta ويقابلها في الإيطالي Satie[2].ونظرا لخفة حركته، وسرعة تنقله[3] استخدم لإغراض حربية متعددة منها: التجسس على أساطيل العدو، واستكشاف الطريق للسفن الكبيرة مثل القراقير والغربان[4]، والغربان[4]، ويقوم بتسييره تقريبا بواسطة مئة وعشرون مجذفا[5]، ويقول عنه النميري انه من من أهم القطع الحربية التي استخدمها المرينيون داخل أسطولهم[6].

الطريدة[7]: سفينة حربية لها عدة أحجام حسب مهامها، فمنها ما هو صغير الحجم وتمتاز بسرعتها[8]، ولقد خصصها المرينيون لنقل قائد قواد الأسطول لكي يقوم بمعاينة وتفقد الأسطول الأسطول قبل الحرب، وكان يوضع أعلاها شعار المرينيين المتمثل في العلم الأبيض[9]. أما الحجم الكبير منها فهي تكون في شكلها اقرب ما يكون إلى البرميل من السفينة[10]، مفتوحة المؤخرة[11]، وتسير بالمجاذيف، ويقول ابن بطوطة أن بنهر السند نوعا من السفن تسمى الأهورة[12] تسير بالمجاذيف، تشبه نوعا من الطريدة ببلاد المغرب[13]، ولقد استخدم المرينيون هذا النوع في أساطيلهم[14] لحمل الفرسان والخيول إلى ساحات القتال، وذلك استنادا لنص ابن بطوطة الذي يبين فيه مهام هذا النوع من الطريدة: "كان عندنا طريدتان مفتوحتي المؤخرة فيها

---

[1] القلقشندى،المصدر السابق،ج7،ص44.
[2] دوزي،المرجع السابق ،ج6،ص306. 397.
[3] البارودي،المرجع السابق،ص303.
[4] ياسين الحموي،المصدر السابق،ص57.
[5] الجزنائى،المصدر السابق ،ص37.
[6] المصدر السابق،ص354.
[7] هناك نوع أخر من المراكب أو السفن يسمي الطراد وهي سفينة صغيرة الحجم سريعة الجري،وهو ما أشرت إليه في المتن بتصنيف النوع الأول ولكن نتيجة لان طراد لم يرد في مصادر المرينيون بهذا الاسم بل باسم طريدة ،اى هناك دمج في التسمية بين النوعيين حيث يطلق عليهم اسم طريدة فقط ،ولكن هناك فرق في المهام،وبدراسة المهام نجد أن نوع يختص بمهام الطراد ونوع يختص بمهام الطريدة،ولذا فضلت أن تكون التسمية واحده ولكن تنقسم إلى نوعين حسب المهام، بخصوص الطراد والطريدة والفرق بينهما يمكن الرجوع إلى ،عبادة ،المرجع السابق،ص6.وكذلك انظر تاج العروس، ج8،مادة طرد،ص320.
[8] تاج العروس،ج8،مادة طرد،ص320.
[9] النميري،المصدر السابق،ص276. 277.
[10] دوزي،المرجع السابق،ج7،مراجعة جمال الخياط،دار الشؤون الثقافية العامة،1991م ،ص36.
[11] ابن منكلى،المصدر السابق،ورقه 35.
[12] بفتح الهمزة والهاء وسكون الواو وفتح الراء.
[13] المصدر السابق،ج2،ص16.
[14] النميري،المصدر السابق،ص271،272.

الخيل، وهي بحيث يركب الفارس فرسه في جوفها ويتدرع ويخرج"[1]، وبالنسبة لكمية الحمولة التي تستوعبها هذه الطريدة فهي مابين أربعون[2] إلي ثمانون فرساً[3]، ولقد أشاد ابن أبي حجلة بالطرائد المرينية زمن السلطان أبا عنان:

أبا فارس عمر طرائدك التي يبيت بها الشيطان وهو طريد.

وقال في قصيدة أخرى:

أبو فارس أمست طرائد سفنه لأعدائه في حربها العكس والطرد
وغربانه لو صور الموت بينها لأمسى وفي جوف النسور له لحد[4] .

الغراب: جمعها أغربة، وهي من السفن الحربية المعروفة منذ عصر القرطاجيين والرومان، أما عن سبب تسميتها بهذا الاسم يقول النويري الإسكندراني إن: "المراكب الغزوانية تسمى غربانا وذلك لرقتها وطولها وسوادها بالأطلية المانعة للماء عنها كالزفت وغيره.فصارت تشبه في سوادها الغربان من الطير لسوادها وسواد مناقيرها"[5]، كما أننا لانستبعد أن سبب التسمية راجع راجع إلى أن مقدمتها كانت على شكل رأس غراب، وذلك استنادا إلى انه قديما كانوا يشكلون مقدمة السفينة على هيئة رأس طائر[6]. لقد استخدم المرينيون الأغربة ضمن أساطيلهم، ووضعوا ووضعوا فوقها أعلامهم البيضاء[7]، ولقد كان لدا المرينيين حجمان من الأغربة، فبالنسبة للحجم الصغير يقول عنه دوزي بأنه: "سفينة شراعية صغيرة بصاريين ... لها شراعان ويجدف بها وتستعمل للقرصنة[8]"[9]، يتولى قيادتها قائد أسطول المدينة أو المرسى، ولقد ذكر لنا النميري ذلك ذلك عند وصفه للأسطول المريني ببجاية زمن السلطان أبا عنان بقوله "ولم يكن إلا أن أمر بأن تصله ...غراب الفقيه الخطيب القائد أبي العباس بن الخطيب ـ وهو قائد أسطول طنجة ـ مبيد الأعاد، ... والطنجي الذي يحرز القصب لكن قصب السبق في الجهاد"[10]، ويستخدم هذا الحجم في الحروب حيث يكون مجهزا بالعناصر المقاتلة من رماة وغيرهم يحملون معهم مختلف أنواع الأسلحة[11]، أما الحجم الكبير فهو يستخدم لحمل الأخشاب ونقلها لدور صناعة السفن، وفي ذلك يقول النميري: "وفي تلك الأيام أمر مولانا أيده الله ـ السلطان أبا عنان ـ بدفع غراب كبير برسم سوق الخشب من المعمورة، وإعداده بدار الصنعة المشهورة. لتنطلق أحوال الإنشاء ... فما كان بأسرع من خروج ذلك الغراب ناشراً من أجنحته مجاديفه مخلولاً من إشراك حبائله

---

[1] المصدر السابق،ج2،ص171.
[2] عباده المرجع السابق،ص6.
[3] ابن منكلى، المصدر السابق،ورقه37.
[4] ابن أبى حجلة التلمساني،منطق الطير،مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 1910.المنوني،المصدر السابق،ص111.
[5] النويري الإسكندراني،المصدر السابق،ج3،ص232.
[6] عبادة،المرجع السابق،ص7.
[7] النميري،المصدر السابق،ص354.
[8] نستشف من كلمة القراصنة أن هذه السفن تمتاز بسرعتها لأنهم يستخدمونها لمطاردة السفن في البحر ،كما يجب أن ننتبه إلى أن سكان بلاد المغرب وخصوصا المرينيون لم يستخدموا هذا السفن لقطع الطرق والنهب والسلب.
[9] المرجع السابق،ج7 ،ص392.
[10] النميري،المصدر السابق،ص276.ابن أبي زرع، المصدر السابق،ص491.
[11] النويري الإسكندراني،المصدر السابق ،ج3،ص89.

ومخاطيفه"[1]، ونظرا لمهمته هذه تم تزويده بمائة وثمانون مجذافا[2]. لقد ذاعت شهرة الأغربة المرينية في المشرق، فلقد نصح أبا حجلة في أبيات شعرية، الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى حاكم الإسكندرية بأن يستنجد بهم لصد خطر النصارى الذي يهدد المدينة[3]، كما أن له أبياتا أخرى يتباها فيها بهذه السفن في الأسطول المريني أيام السلطان أبا عنان [4]

القارب أو الزورق: وهو من المراكب التي ترافق سفن الأسطول ويطلق عليها توابع الأسطول[5]، ومهمتها تقديم المساعدة للسفن كلما تطلب الأمر ذلك[6]. تسير القوارب بواسطة المجاذيف التي يتراوح عددها من أربعة وعشرين إلى ثلاثين مجذافاً[7]. لقد كانت هذه المراكب ضمن الأساطيل المرينية، وكان منها صغيرة الحجم، ومنها غير ذلك، ولقد كانت القوارب صغيرة الحجم هي الشائع استخدامها؛ لأنها تمتاز بسرعتها، ولقد استخدموها في عدة مهام منها استطلاع شواطئ العدو قبل دخول السفن الكبيرة إليها، وذلك لخفتها وسرعة دورانها وكرها وفرها، ولقد كان يتولى قيادة هذه القوارب عناصر قتالية عرفت بقوتها وبأسها إضافة لما يتبعهم من باقي المقاتلين، كما كانت تجهز القوارب بأسلحة متعددة كان أغلبها أسلحة قاذفة وخفيفة مثل الرماح، والنبال.إضافة، والسيوف التي تستخدم عند القتال المتلاحم إلى ذلك وفي نصا أخر للنميري نستنتج أن القوارب أستخدمت كذلك لتنقل من الشاطئ إلى السفن الكبيرة داخل البحر[8].

البحر[8].

القُرقُورة: بضم القافين وهي أعجمية الأصل أخذها عنهم العرب[9]، ويقول البستاني أن القرقور سفينة طويلة أو عظيمة وجمعها قراقير[10]، أما دوزي فيضيف إلى ما سبق أنها المراكب التجارية[11]. ويتم تسيير هذه السفينة بالاعتماد على الرياح؛ فبفعلها تسير مسافات طويلة في وقت قصير وهذا ما أشار إليه النويري الإسكندراني بقوله: "وسيرُ القرقورة بالريح العاصف؛ لأنها تسير به في الأمد اليسير مالا تسير به الإبل في الأمد الطويل"[12]. ولقد أورد ابن منكلى عدة أنواع لها، وهي: القرقورة المسطحة، والعربية، والكملة، والكندلة[13]. وتستخدم القرقورة لعدة مهام منها: أن يركبها الناس في الاحتفالات[14]، كما تستخدم في الرحلات البحرية

---

[1] النميري،المصدر السابق،ص354. ص201.
[2] ابن منكلى،المصدر السابق،ورقه36.
[3] النويري الإسكندراني،ج3،ص88.وبخصوص الأبيات راجع مبحث القواعد ودور الصناعة البحرية.
[4]

قطائعها	مثل	النجوم	قلاعها	وغربانها	قطع	الليل	دامس
كان	مجاذيف	الغراب	قوادم	يطير	بها	والنسر	في الأفق كانس

ابن بطوطة،تحقيق عبدالهادي التازي،ج4،مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية،1417هـ\1997م ،هامش ص201.
[5] عباده،المرجع السابق،ص7.
[6] الزبيدي،تاج العروس،مادة قرب.
[7] ابن منكلى،المصدر السابق،ورقه 36.
[8] ابن منكلى،المصدر السابق،ورقه36،35،النميري،المصدر السابق،ص277.
[9] ابن منكلى،المصدر السابق،ورقه 33.
[10] قاموس المحيط،مادة قرق.
[11] دوزي،المرجع السابق،ج8،ص245..
[12] النويري الإسكندراني،المصدر السابق،ج3،ص90.
[13] المصدر السابق،ص34.وهي أسماء لها علاقة بحجم القرقورة وكمال عدتها.
[14] المقريزي ،المصدر السابق،ج1،ص476.

والتجارة[1].وتحمل بها البضائع كما يقول النويري الإسكندراني:"القرقورة الواحدة تحمل من البضائع ما تحمله المئتين من الإبل"[2]، ولقد شكلت القرقورة جزء من سفن الأسطول المريني[3] ، المريني[3] ، وطبعا كان للمرينيون بضائع ومعدات حربية لا يمكن نقلها إلا في هذا النوع من السفن.

2 **الاسلحة والمعدات:**بعد تناول سفن ومراكب الأسطول المريني، يمكن الآن دراسة أسلحته ومعداته التي حرص المرينيون على تجهيز سفنهم بها، وقبل الخوض في الحديث عن هذا الجانب نورد نصوصا تتضمن أوامر سلطانية إلى قادة الأساطيل من أجل تجهيز الأساطيل بالأسلحة، والمعدات،والعناصر المقاتلة فمثلا السلطان يعقوب بن عبدالحق "يأمر ـ القائد الفقيه أبى القاسم العزفي ـ بتعمير الأساطيل لجهاد المشركين"[4]، وذلك عند استنجاد ابن الأحمر به. ونصا أخر لصاحب فيض العباب نجده نجده يقول فيه: "ولم ينشب أن أمر ـ يقصد أبا عنان ـ أيده الله بتجهيز الأساطيل "[5].

وبناء على الأوامر السلطانية التي تصدر إليهم قام قادة الأساطيل بتجهيز الأساطيل، ومن ضمن ما جهزوا به أساطيلهم الأسلحة. والأسلحة هنا نوعان: منها ما استخدم في البر[6]، وكذلك في البحر مثل: السيوف، والرماح، والنبال، وآلات الحصار[7] بما فيها المجانيق[8]، والنوع الثاني يستخدم في البحر مثل: الحراقات. ومن هذه الحراقات ُتقذف الأنفاط شديدة الشظايا على سفن الأعداء وعلى حصونهم، "واتت من أنفاطها بكل متأجج الشواظ ... مرسل في الجو ذؤابة كعقيق البرق"[9]. ولقد أفرد الطرسوسي جزء خاص عن قذائف الأنفاط وتركيبتها، وأنواعها حيث نجد منها ما يصلح لضرب الأعداء على البر، ومنها ما يصلح لضربهم في البحر[10]. واستكمالا للأسلحة فأننا لانستبعد أن المرينيين استخدموا الأبراج[11] فوق سفنهم كسلاح لقتال الأعداء، واستندنا في ذلك لاستخدامهم سفن الشونة التي عرفت بوجود أبراج للقتال على متنها، وإضافة لما سبق استخدم المرينيون (اللجام أو الفأس): وهو عبارة عن كتلة طويلة من الحديد مدببة المقدمة مثل سن الرمح تحمل على السفينة ثم يدفعونها على سفينة العدو فتصدمها من مقدمتها فتخرقها وتغرقها[12]، وكذلك يقول البرقوقي وزيدان أن اللجام أداة في مقدمة المركب كالفأس أو هي " حديدة طويلة محدودة الرأس وأسفلها مجوف كسنان الرمح تدخل من أسفلها في خشبة كالقناة بارزة في مقدمة المركب يقال لها الأسطام فيصير

---

[1] ابن بطوطة،المصدر السابق،ج1،ص321.
[2] النويري الإسكندراني،المصدر السابق،ج3،ص90.
[3] احمد عزاوى،المرجع السابق،ج3،ص256.
[4] ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص313.
[5] النميري،المصدر السابق،ص160.
[6] هذا النوع من الأسلحة تم تناوله بالشرح في الفصل الذي تناولنا فيه أسلحة الجيش ،لذا سنكتفي هنا بذكر أسماء الأسلحة دون شرح.
[7] النميري،المصدر السابق،ص356 274.
[8] ابن الخطيب ،نفاضة ،ص98.99.
[9] النميري،المصدر السابق،ص354 273.
[10] الطرسوسي،المصدر السابق ،ص176.
[11] البرج بالضم الركن والحصن والجمع أبراج وبروج وقيل للبروج بروج لظهورها وبيانها وارتفاعها.الزبيدي، تاج العروس،مادة برج. وعلى ما يبدوا أن التسمية أُطلقت كذلك على تلك الأبراج التي تبنى فوق المراكب والسفن حيث يقف عليها المقاتلون ويقاتلون منها الأعداء. رفيق المهايني ،المصدر السابق،ص92.
[12] الحسن بن عبدالله،المصدر السابق ،ورقه 454. 455.

اللجام كأنه سنان رمح بارز في مقدمة المركب فيطعنون به مراكب العدو فلا يلبث حتى ينخرق فينصب فيه الماء"[1].

وقبل الانتقال للحديث عن عدة الأسطول يجب الإشارة إلى شيء مهم وهو انه في الغالب سفن الأعداء ما تُجهز كذلك بمثل هذه الأسلحة، وهذا يجعلنا نتساءل عن الطريقة للوقاية من خطر هذه الأسلحة؟ وللإجابة عن ذلك يمكن القول انه تم ابتكار وسائل للوقاية من خطر هذه الأسلحة، فبالنسبة للوقاية من السهام والرماح والسيوف فلقد تم الحديث عنها في فصل عدة الجيش، أما للوقاية من تلك الأنفاط المشتعلة، فيتم عن طريق تغليف السفن بقطع اللبود المبللة بالخل والماء حتى لاتشتعل فيها النار، أو يتم طلائها بالطين[2]، ولوقاية الجند يتم طلاء ثيابهم من الداخل والخارج بخلطة من عدة مواد منها (الشب، والنشادر، والجبس، وبياض البيض، والشحم، والنفط المخلوط بالكبريت)[3]. أما وقاية الأبراج التي فوق الشواني فتتم بإحاطتها بالجلود المسقاة بالخل أو المطلية بالطين أو الأدوية التي تمنع النار من إحراقها[4].

أما عن المعدات البحرية التي استخدمها المرينيون فهي متنوعة ومنها: الكلاليب، ويستخدم هذا السلاح في مسك سفن العدو وسحبها حتى يصبح من السهل التسلل إليها وتدميرها، ويكون ذلك بأنه إذا ما تم الاقتراب من مركب العدو يلقى عليه الكلاليب فتوقفه، ثم يشد ويسحب ثم توضع عليه الألواح كالجسر حتى يتم الوصول إليه، وبعد ذلك يحدث قتال بين الطرفين، وطبعا إذا كان العدو قويا أبطل فعل الكلاليب بفأس ثقيل من فولاذ يضربونها به فتنقطع[5]،وكذلك نجد الحِبال وهي المعروفة عندهم "بأمراس الكتان"[6]، ولقد كانت للحبال أنواع تصنف حسب المادة التي تُصنع منها. فمنها ما يُصنع يُصنع من الكتان وهو ما استعمله المرينيون، ومنها ما يصنع من ألياف نبات جوز النارجيل ويسمى بالقنباري وهو يجلب من الهند واليمن، ومنها ما يصنع من جلود البقر، ومنها ما يصنع من ورق البردي، وسعف النخل[7]. وتستعمل الحبال لربط مراكب مراكب الأعداء وجرها، وتستخدم في المنجنيق عند جذب أعلاها لتوضع فيه القذائف، وإضافة لذلك فقد استخدمت في الجر والتسلق[8]. وكذلك تجهز السفن المرينية بمعدات أخري منها على حد قول النميري:" فما شوهد أبدع من تلك الأجفان السعيدة، وقد قرعت طبولها ... وعلت أصوات بوقاتها ... والرايات قد خفقت ... والأعلام قد تلونت"[9].

وكذلك استخدم المرينيون معدات ساعدتهم في تسيير سفنهم في البحر، منها ما ذُكر في مصادرهم، ومنها لم يذكر،فما ذكر يتمثل في: المجاذيف، وهي تعتبر من المعدات الأساسية في تسيير السفن، ويعتمد عليها في حالة الهجوم أو الهرب من العدو، وهي

---

[1] زيدان،المصدر السابق،ج1،ص212،البرقوقي،المصدر السابق،ص171، 172.
[2] الحسن بن عبدالله،المصدر السابق،ص452. إبراهيم أحمد العدوى،قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط،مكتبة مصر،ص183.
[3] ابن منكلى،المصدر السابق،ص50.
[4] رفيق المهايني،المصدر السابق،ص92.
[5] البارودي،المرجع السابق،ص304
[6] ابن الخطيب، نفاضة ،ص98،99.
[7] بطرس البستاني،دائرة المعارف،مادة حبل.
[8] رفيق المهايني،المرجع السابق،ص94.
[9] النميري،المصدر السابق،ص273.

أكثر فعالية من الشراع لان الأخير متوقف عمله على هبوب الرياح، لذا غالبا ما تُجهز المراكب الحربية بالمجاذيف، ولقد أشار ابن خلدون إلى أهميتها في مقدمته[1]، ويتم صناعة المجاذيف من الخشب، وبعد ذلك يتم تثبيتها في عدة صفوف على المراكب حتى يسهل التجذيف بها، لم يكن هناك عدد معين للمجاذيف فقد تتعدد، وقد يكون العكس فهذا متوقف على حجم ونوع ومهام المركب أو السفينة داخل الأسطول[2]، وخلال عملية التجذيف قد يتبادل على المجذاف عدة أشخاص، كما من الممكن أن تكون عملية التجذيف بعدة أوضاع ومنها وضع الوقوف على الأقدام[3]. وكذلك من المعدات المستخدمة في إجراء السفن نجد الأشرعة، ويعرفها الزبيدي بقوله: "الشراع القلع وهو كالملاءة الواسعة فوق خشبة من ثوب أو حصير مربوع وتربط على أربعة قوي تصفقه الريح بالسفينة. وإنما سمي به لأنه يشرع أي يرفع فوق السفن وجمعه أشرعة"[4]. فعند الدول المطلة على البحر المتوسط استخدمت الأشرعة المصنوعة من القماش. وللشراع دور كبير في تسيير السفن التجارية، ومراكب النقل والتي غالبا ماتستخدم في الأسطول لنقل البضائع، ومع ذلك فان الأشرعة لم تخل من العيوب، ومن عيوبها عدم صمودها أمام قذائف المنجنيق المشتعلة التي سرعان ماتحرقها، ولذا كانت المجاذيف هي المفضلة في المراكب الحربية. وعلى كل حال فإن المرينيين لم يستغنوا عن استخدام الأشرعة في بعض سفنهم وخصوصا تلك المرافقة للأسطول والتي تحمل المؤن والذخيرة[5].

3 **المواد اللازمة لصناعة الاسطول:**ولكي نحاول أن نلم بأقصى قدر من المعلومات عن الأسطول المريني يستوجب الأمر تناول المواد اللازمة للصناعة داخل الأسطول، فمثلا استخدم الخشب في صناعة السفن، والمجاذيف، والصواري، والسلالم، كما استخدم الحديد لعمل المسامير، والمراسي، والكلاليب، والفؤوس وغيرها من الآلات الحربية، كما أن النحاس استخدم في صناعة السلاسل التي تستخدمها السفن، وكذلك الألياف النباتية استخدمت لعمل الحبال، والقطران أو الزفت استخدم لطلاء السفن كي لاتتأثر بالمياه، كما استخدم القطران مع الكبريت في صنع النفط البحري الذي لاينطفئ في الماء[6]. ويمكن اعتبار أن كلا من الخشب والحديد والزفت القطران أو القار من المواد الأساسية لبناء الأسطول لذا سوف نقتصر في الحديث عن هذه العناصر.

الخشب: كانت الدولة المرينية تتمتع بوفرة الأخشاب اللازمة لصناعة السفن، حيث كانت الجبال الممتدة على طول السواحل المغربية عامرة بها مما ساهم في سد حاجة دور صناعة السفن المرينية، وأشهر مصادر هذه الأخشاب غابة المعمورة بالقرب من دار صناعة سلا[7]، وجبل درن[1]، وجبل نكّور، وجبال فازار، وبادس، وأودية وجبال

---

[1] ،ج1،ص313. 314.

[2] يمكن ملاحظة ذلك عند الرجوع إلى أنواع السفن في هذا المبحث.

[3] رفيق المهايني،المرجع السابق،ص110 109.

[4] تاج العروس،مادة شرع.

[5] رفيق المهيني، المرجع السابق،ص110 .111.

[6] محمد ضيف الله بطاينة ،(الأسطول الإسلامي نشأته وتطوره)،دورية الدارة،ع3،السنة الحادية عشر،ربيع الأخر\ديسمبر،1406هـ\1985م،ص25.

[7] النميري،المصدر السابق،ص201.

بجاية، أما أشهر أنواع الأخشاب المتوفرة فهي الصنوبر، والأرز، والبلوط[2]. ولقد تميزت هذه الأخشاب بجودتها العالية، حيث أنها يمكن أن تُعَمر ألف سنة إذا لم يطلها الماء[3].

ولنقل هذه الأخشاب من مصادرها إلى دور الصناعة استخدم المرينيون الأنهار، ومثال ذلك نهر أبي الرقراق الذي كان يمر بكثير من الغابات، حيث تنقل عبره الأخشاب إلى دار صناعة سلا ورباط الفتح[4]، ونلاحظ هذا بشكل واضح في عهد السلطان أبي عنان حيث جلب الأخشاب من غابة المعمورة ثم نقلت عبر النهر بوساطة مراكب تسمى الغراب إلى دار صناعة سلا[5].

الحديد: هو المادة الرئيسية الثانية اللازمة لصناعة المراكب،والسفن، وكان في بعض الأحيان يستعاض عنها باستخدام الحبال والتي كانت تخاط بها ألواح السفن[6]. وتعتبر بجاية أهم مصدر للحديد[7]، كما أن الوزان يشير إلى مصدر أخر للحديد عند حديثه عن مملكة مراكش حيث يذكر انه كانت بها مدينة تسمى الجمعة بها منجم للحديد، مما ساهم في كثرة الحدادين والصناعات الحديدية بها، ولقد كانت تُباع صناعاتها في البلاد المجاورة إليها. كما أن جبل بني سعيد بنواحي فاس يمتاز بكثرة الحديد حيث يقوم الحدادين هناك بجمع هذا المعدن وصهره؛ ومن بعد يبيعونه.بفاس ويتم الاستفادة منه.

القطران أو الزفت أو القار: مادة سوداء تُطَلي بها السفن[8] بغرض حمايتها من تأثير العوامل الطبيعية، وتعتبر بجاية من أهم الأقاليم التي يكثر بها[9]. ويُصنف الوزان القطران إلى صنفين حيث يقول: "القطران نوعان: نوع طبيعي يلقط من فوق أحجار توجد في قلب بعض العيون ... ونوع اصطناعي يستخرج من العرعر أو الصنوبر"، أما عن طريقة تصنيعه فيقول: "وقد رأيت كيف يصنع في الأطلس ببلاد المغرب، يتخذون فرنا مستديرا عميقا في طرفه الأسفل ثقب متصل بتجويف على شكل صحن. ثم يأخذون فروعا خضراء من العرعر أو الصنوبر فيكسرونه قطعا صغيرة، ويضعونها في الفرن الذي يغلق بابه ويسخن بنار معتدلة. فيقطر الخشب عند تسخينه وتسيل المادة في التجويف من الثقب المتخذ لهدا الغرض في قعر الفرن. وهكذا يجمع القطران ويوضع في القرب"[10]. ولقد كان المرينيون يطلون سفنهم بهذه المادة وهذا ما تشير إليه هذه البيت:

---

[1] جبل أو جبال درن:يطلق على سلسلة جبال أطلس،حيث أن المصادر الإسلامية تطلق مصطلح جبل للدلالة على سلسلة جبال،والمهم انه جبل عظيم بالمغرب مشهور بقنقور،وله أسماء أخرى كجشكو واوراس، وأخره يصل حتى جبال نفوسه في منطقة طرابلس.الحميري،المصدر السابق،ص235.

[2] الحميري، المصدر السابق،ص235، 576، 577، 435. الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص260. ، ابن منكلى، المصدر السابق، ص37 الوزان، المصدر السابق،ج1، ص326.

[3] محمد ضيف الله بطاينة ،دورية الدارة،نفس السنة والعدد، ص25.

[4] الوزان،المصدر السابق،ج1،ص247.

[5] النميري،المصدر السابق،ص201.

[6] المهايني ،المرجع السابق،ص121.

[7] الإدريسي،المصدر السابق،مج1،ص260

[8] المحيط،مادة قور.

[9] الإدريسي،المصدر السابق،مج1،ص260.

[10] المصدر السابق،ج1،ص281.

قطائعها مثل النجوم قلاعها وغربانها قطع الليل دامس[1]

***

[1] ابن بطوطة،المصدر السابق ،تحقيق عبدالهادي التازي ،ج4،هامش ص201.

ثالثا: قيادة الأسطول وفنونه القتالية:

نالت نظم الأسطول المريني اهتماما كبيرا من قبل سلاطين بني مرين. ومن ضمن تلك النظم القيادة والفنون القتالية للأسطول، وهذا ما سنحاول دراسته فيما يلي:

1) **قيادة الأسطول:** اهتم المرينيون بها وكان بداية ذلك تأسيس مركزا لها بمدينة طنجة، هذه المدينة تم السيطرة عليها سنة 672هـ\1273م، وأصبحت القاعدة التي تتجمع بها الأساطيل المرينية وتنطلق للعمليات الحربية؛ ويجدر الإشارة إلى أن سبب اختيار طنجة كمركز لقيادة الأسطول هو ليس كونها أكثر المدن المرينية أهمية، بل لأن منافستها مدينة سبتة، والأكثر أهمية منها مازالت في تلك الفترة تحت حكم العزفيين[1]، كما أن المرينيين لم يكونوا على استعداد للدخول في صراع مع العزفيين[2]، وبالتالي ظلت طنجة مركزا للقيادة. وعندما حانت الفرصة قام المرينيون ببسط نفوذهم على مدينة سبتة في سنة 728هـ\1328م، وقاموا بنقل مركز القيادة إليها[3]، لقد زاد اهتمام المرينيين زمن أبا الحسن بسبتة كمركز لقيادة الأسطول[4]؛ وربما يرجع ذلك لكثرة العمليات الحربية صوب الأندلس، وذلك لأن في زمنه استفحل خطر الممالك النصرانية، حتى أصبح يهدد العديد من المراكز المهمة للمرينيين مثل الجزيرة الخضراء ورباط الفتح.

إضافة إلى اهتمام المرينيين بتأسيس مركز لقيادة أساطيلهم، اهتموا كذلك بتنظيم قيادة الأسطول حيث اشترطوا على من يتولي قيادة الأسطول أن يكون على دراية بالإشراف على تجهيز الأسطول وتقويته، ويكون عارفا بمسالك البحر ومراسيه، وعلى ما تدل عليه الرياح عند هبوبها وحركات المد والجزر، كما نصحوا من يتولى القيادة بأن لايهجم على مراسي العدو وهو جاهلا بها حتى يتجنب خطر وجود كمين بها، وألا يتقدم إلى مراسي العدو إلا بعد معرفة أرضها وخلوها من الحجارة التي قد تلحق ضرر بسفن ومراكب أسطوله، كما عليه الإكثار من التموين على ظهر سفنه لتكفي الجند طيلة فترة رحلته سواء في الطريق أو عند الحصار البحري للعدو، وأن يصطحب عدة صيانة حتى إذا ما تلف شيء استبدل بغيره[5]، وكذلك يدخل ضمن اهتمام المرينيين بتنظيم قيادة أسطولهم المناصب الحربية وسوف نتناولها بشكل مفصل فيما يلي:

القيادة العامة: وهي تعتبر من أعلى المناصب الحربية داخل الأسطول المريني، ويتم إسنادها إلى السلطان المريني نفسه[6].

القيادة العليا للأسطول: ونرجح أنه يقابل اللقب الذي ورد عند صاحب فيض العباب وهو قائد القواد[7]، وورد عند ابن خلدون باسم قائد البحر أو الرئيس[1] أو

---

[1] ابن خلدون،العبر،ج7 ،ص.

[2] ابن خلدون،العبر،ج7،ص 246 254 247 ،253.يحيى ابن خلدون،بغية ،ص157.

[3] ابن خلدون،العبر،ج7،ص327.

[4] المقري،نفح الطيب،ج4،ص386.

[5] احمد رمضان احمد،تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط (العصر الوسيط) 35هـ \ 655هـ .978م\1571م،وزارة الثقافة هيئة الآثار المصرية،1986م،ص28.

[6] ابن أبي زرع،القرطاس،ص313.

[7] النميري،المصدر السابق،ص270.

المُلند[2] Maland، والتسمية الأخيرة نجدها كذلك عند أبن الخطيب[3] في أبيات مدح فيها القائد المريني أبا القاسم بن بنج بقدوم مولود عليه حيث قال فيها:

يستبشر الأسطول منه بقائد كالبدر تحت شراعه أو بنده

والبحر يفخر منه يوم ولادة بمُلنده ابن مُلنده ابن مُلنده

ولقد خصص المرينيون لمن يتولي هذا المنصب نوع من السفن ليركبها داخل الأسطول من نوع الطريدة، وتكون في مقدمة الأسطول[4]، وبها يتنقل لتفقد سفن أسطوله، كما ينتقل بها للوصول للبر حيث مقر السلطان ليستلم منه الأوامر المتعلقة بالحرب[65].

ومن أهم الشخصيات التي تولت هذا المنصب محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم العزفي، الذي قاد العديد من المعارك البحرية، ومنها تلك التي خاضها المرينيون ضد مملكتي قشتالة وأرغون وذلك سنة 740هـ 1340م عند تهديدهما للجزيرة الخضراء[7]، كما قاد حملة البحرية ضد القبائل العربية بإفريقية في موقعة القيروان[8] سنة 749هـ 1348م[9]، وكذلك القائد محمد بن يوسف بن الأحمر الملقب بـ (الأبكم[10]) الذي تولى القيادة العليا للأسطول المريني فترة حكم السلطان أبي عنان؛ وذلك عند تكليف السلطان المريني له بالذهاب إلى سبتة والإشراف على تجهيز الأساطيل المرينية للخروج إلى إفريقية[11]، وكذلك تولي هذا المنصب القائد أبوالقاسم ابن أبي بكر بن بنج زمن السلطان أبي سالم إبراهيم[12].

وعلى ما يبدو أن مهمة صاحب هذا المنصب تجاوزت قيادة الأسطول، حيث بدأ يتدخل في شؤون البيت المريني، مثل التدخل في الصراع القائم بين أبناء هذا البيت على العرش،والذي ظهر بشكل واضح عقب وفاة أبا عنان. فمثلا نجد القائد محمد ابن الأحمر يساند الأمير منصور بن سليمان عند مطالبته بالعرش المريني، وكذلك

---

[1] المصدر نفسه، ج1،ص312.،ج7،ص393.

[2] وبخصوص مصطلح (المُلند) يقول دوزي في معجمه أن (المُلند) Maland تعنى أمير البحر (في الأسبانية) حيث يقول " قاد أبو الحسن سلطان بني مرين حملة عسكرية في الأندلس بعد أن فسد مُلند الطاغية النصراني وأخذ ما كان له في البحر من الطرائد والشواني .إن هذه الكلمة جاءت حقا من كلمة أمير " دوزي ، ،ج10 ،نقله للعربية :جمال الخياط ،ص113.

[3] ابن الخطيب،نفاضة ،المصدر السابق،ص80. ابن خلدون ، ج1،ص312.

[4] النميري ،المصدر السابق ،ص276.

[5] يقول النميري:أنه بعد تجهيز الأسطول ببجاية قام السلطان أبا عنان باستدعاء طريدة قائد القواد ابن الأحمر وغراب القائد أبي العباس بن الخطيب،لإعطائهم الأوامر. ص277،276. وابن منكلى عند حديثه عن الأسطول بالدولة الفاطمية في مصر،يقول بعد تجهيز الأسطول يأتي بين يدي الخليفة،المقدم والريس،فيوصيهما ويدعوا للجماعة.ص74.نلاحظ هنا رغم بعد الفترة الزمنية تشابه الطقوس التي كانت موجودة في عهد الدولة المرينية ببلاد المغرب مع الموجودة في عهد الدولة الفاطمية بمصر،وحتى المناصب نجدها نفسها،مع الاختلاف في التسمية،فعند المرينيين نجد قائد القواد،والقائد،وعند الفاطميين نجد المقدم والريس.

[6] النميري،المصدر السابق ،ص278.

[7] ابن خلدون،العبر،ج7،ص310.

[8] القيروان:أسسها قائد الجيوش الإسلامية عقبة بن نافع(ت64هـ\682م) سنة (50هـ\670م) وبناها على بعد ستة وثلاثين ميلا من البحر المتوسط ونحو مائة ميل من تونس.أبي العباس احمد بن يحيى البلاذري،فتوح البلدان،تحقيق وتعليق:عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع،بيروت،مؤسسة المعاف،1407هـ\1987م،ص319 320 322.شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري،نهاية الإرب في فنون الأدب،تحقيق:عبدالمجيد ترحيني،بيروت ندار الكتب العلمية،24،ص21 24.

[9] ابن خلدون ،بغية ،ص157.

[10] ابن الخطيب، نفاضة ، ،ص101.

[11] النميري، المصدر السابق،ص160.

[12] ابن الخطيب ، نفاضة ،ص105.

ساند السلطان أبا سالم إبراهيم عند مطالبته بالعرش،.ومن جهة أخرى نجد القائد الأعلى للأسطول المريني أبوالقاسم بن أبي بكر بن بنج يقوم بمساندة السلطان أبا سالم للقضاء على منافسيه على العرش، وذلك عند قيامه بالقبض على أخوى معارضه الأمير منصور بن سليمان وتم نفيهما إلى أرض الأندلس[1]، كما قام هذا القائد بالقضاء على كل من له قرابة بهذا السلطان حتى لايترك مطالب بالعرش[2] مما ساهم في اضطراب أركان الدولة المرينية في أواخر أيامها.

قائد أسطول المدينة أو المرسى[3]: نلاحظ هنا اقتران القائد باسم المدينة أو المرسى المرسى المُكلف بقيادة أسطوله،.ومن أهم المدن التي كان لها قائد بحري هي: قابس وبجاية، ووهران[4]، وطنجة، وسبتة، وسلا، وبادس[5]، ومن ابرز القادة الذين تولوا هذا المنصب هم: محمد بن القاسم الرنداحى[6] قائد أسطول سبتة زمن يعقوب بن عبدالحق،ويحيى بن أبي طالب العزفي الذي كلفه السلطان أبا سعيد عثمان بقيادة أسطول مدينة سبتة، وكذلك القائدان محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم العزفي، وأبو زيد عبد الرحمن بن أبي طالب اللذان توليا قيادة أسطول سبتة زمن السلطان أبا الحسن، وزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية الذي شارك في إحدى حملات السلطان أبا الحسن ضد القشتاليين[7]، كما تولى القائد محمد البطوي قيادة أسطول مرسى وهران[8]، وفي عهد السلطان أبا عنان تولى القائد أبو العباس أحمد بن الخطيب قيادة أسطول طنجة[9]، وأبوالقاسم بن بنج تولى قيادة أسطول رباط الفتح. وقد كان كل من يتولي هذا المنصب تخصص له سفينة من نوع الغراب يقود من خلالها الأسطول المريني[10]، ولقد كافأ المرينيون من يُخلص في خدمتهم من هؤلاء القواد بترقيته إلى منصب القيادة العليا أو قائد القواد[11]، ويبدوا أن صاحب هذا المنصب قد القي على عاتقه عبئ تجهيز الحملات البحرية المرينية، وخير دليل مشاركتهم في مختلف الحروب المرينية في بلاد المغرب[12] وافريقية[13] والأندلس[14].

قائد السفينة: من المرجح أنه كان لكل سفينة مرينية قائد يتولى شؤونها يسمى الرئيس أو الريس، وكان عند استلامه للسفينة يؤدى يمينا خاص يقسم بأن لايتهاون

---

[1] ابن الخطيب،المصدر السابق،ص101 ، 102، 105.
[2] ابن الخطيب،نفاضة ،ص117.
[3] النميري،المصدر السابق،ص270.
[4] حركات،المرجع السابق،ج2،ص117.
[5] ابن أبي زرع ، القرطاس، ص409،433.
[6] ورد عند أبي زرع في روض القرطاس بلقب الرجراجي وليس الرنداحى، ص373.
[7] ابن خلدون ،العبر ،ج7 ،ص345. السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص133.
[8] ابن خلدون،العبر،ج7،ص278.، 327.،346، 335.
[9] النميري،المصدر السابق،ص277.ابن خلدون ،العبر،،ج7،ص390.
[10] النميري،المصدر السابق،ص276،270.
[11] ابن الخطيب،نفاضة ،ص80.المنوني،ص112.
[12] البارودي،المرجع السابق،ص307.
[13] النميري،ص277.
[14] ابن خلدون،ج7،ص278.

بسفينته، وألا يلقيها للهلاك طالما أنها سليمة ولم يحل بها سؤ[1]، وللأسف لم اعثر في المصادر بأسماء من تولوا هذا المنصب في زمن الدولة المرينية.

وفي نهاية دراسة قيادة الأسطول والشخصيات التي تولتها يستوجب الإشارة إلى نقطتين مهمتين: الأولى: أن تلك الشخصيات التي تولت قيادة أساطيل المرينيين لم تكن ذات أصول مرينية، بل ترجع إلى عائلات مغربية، وأندلسية، ونصرانية، ومن افريقية، لقد كان لهذه العائلات تاريخ في القيادة البحرية مثل عائلة الرنداحى أو الزنداحى[2]، التي التي تولت شخصيات منها شؤون البحر ببلاد المغرب منذ فترة مبكرة، حيث تولى جدهم الأول حجفون أو حجبون الرنداحى قيادة أساطيل المرتضى الموحدي عند معارضته للدعوة الحفصية سنة 647 هـ\1249م[3]. وعائلة العزفي(وهم حكام مدينة سبتة في الفترة من (647 728هـ/1239- 1327م) برئاسة أبوالقاسم العزفي كبير مشيختهم، حيث كانت فترة توليه معاصرة لفترة حكم الخليفة الموحدي المرتضى[4]. ولقد ولقد عرفت هذه الأسرة بدرايتها بأمور البحر، وربما يرجع ذلك إلى الموقع الإستراتيجي الذي تميزت به مدينة سبتة، والذي اكسبها خصائص بحرية هامة، منها احتوائها على ميناء للأساطيل ودور لصناعة السفن[5]، ومن العائلات كذلك عائلة بني الأحمر التي عُرفت بحبها للجهاد[6]حيث ساهم تاريخها الجهادي في أن يُكسب أبنائها مهارات حربية أهلتهم إلى قيادة أساطيل الدولة المرينية. إضافة إلى ذلك كان هناك قادة من أصول نصرانية وتحديدا من جنوه[7]، ومن الحفصيين[8]. أما النقطة الثانية: اعتماد المرينيون على هذه الشخصيات في قيادة الأسطول، يرجع إلى قلة خبرتهم في مجال البحر، باعتبارهم عاشوا في الصحراء،.إضافة إلى منح المرينيون لهذه الشخصيات حوافز مالية مجزية لقاء قيادتهم للأساطيل المرينية مما جعلهم يتسابقوا من اجل العمل داخل الأسطول المريني. إن ما سبق ذكره لايعد منقصة من المرينيين بل نرجح أنه سياسة حكيمة استخدموها لجلب امهر القيادات في مجال البحر للنهوض بأسطولهم، حتى أصبح له نفوذ في البحر المتوسط.

---

[1] المهايني،المرجع السابق،ص 150 ، 151.

[2] بخصوص أصل هذه العائلة يقول صاحب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام ما يلي:"عبدون بن خزرون الرنداجي أمير بني ارنيان ؛وبطونهم من القبائل الزناتية المتغلبين على كورة شذونه لأول الفتنة،النازلين بقصبة قلشانة؛ قام بسلطانه وراثة عن والده أحد أكابر البرابرة المتآمرين لما خرجوا عن الجماعة" ص238،239. ويؤيده في ذلك ابن خلدون لأنه يقول أن عبدون بن خزرون كان يمتلك شريش وهي ضمن إقليم شذونه.ابن خلدون ،ج4،ص202. في الوقت الذي يقول مختار العبادي استنادا إلى درة الحجال إلى أن الرنداحى يرجع إلى أسرة أندلسية عريقة عاشت بالمرية.انظر العبادي ،دراسات في المغرب والأندلس،ص388.إن المسافة بين المرية وشذونة بعيده وإلا قلنا ربما لقربهما صار فيه خلط بين المؤرخين ، واستنادا إلى درة الحجال ففعلا المرية تقع على البحر وعائلة الرنداحى لهم دراية بالبحر ويمكن أن نربط بينهما من هذه الناحية ونصدق ما قاله العبادي نقلا عن درة الحجال،وفي الوقت المصدر السابق لا نهمل التفاصيل الذي كتبها صاحب أعمال الأعلام لأنه قال: إنهم يرجعون إلى كورة شذونه وهو إقليم كبير فربما يمتد إلى البحر ولذا كون أنهم لهم خبرة بالبحر فلا يمكن أن نستبعد رجوعهم لشذونة.وبالنسبة لي فأرجح ما جاء به صاحب أعمال الأعلام وابن خلدون لأنهم يتفقا على نفس المكان.

[3] ابن خلدون،العبر،ج6، ،ص401. ج7 ،ص246.

[4] ابن خلدون،العبر،ج7، ص278،ص326.،ص246.

[5] ابن خلدون،العبر،ج7 ،ص246 العمري،ج4،ص126.

[6] ابن الخطيب،اللمحة ،ص22.

[7] حسن خضيرى أحمد،(العلاقات السياسية بين فاس وغرناطة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري\ الرابع الميلادي)، دورية كلية الآداب ،ع1،جامعة المنوفية،1997\ 1998م، ص73.

[8] ابن خلدون ،العبر ،ج7 ،ص345. السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص133.

2) **فن القتال:** يعتبر هذا العنصر من المكونات الرئيسية للنظم الحربية للأسطول المريني، فهو يمثل خلاصة أفكار المرينيين، والقادة الذين تقلدوا مهمة قيادة الأسطول، ولكي نلم بفن القتال السائد عند المرينيين يستوجب علينا دراسة كلا من استعراض الأسطول، ومناوراته، وخططه الحربية باعتبارها معاقل للفنون القتالية.

استعراض الأسطول: كان المرينيون يقوموا باستعراض للأسطول للتأكد من تجهيزاته، وكان ذلك في الغالب تحت إشراف السلطان، ولقد وصف صاحب فيض العباب هذا الاستعراض في قوله: "وصل القائد أبوالقاسم بن بنج ...فاستأذن – من السلطان أبا عنان – في ترتيب الجفان عند الإبراز وحفظ مراتب القواد عند الظهور والامتياز. فصدر الأمر الكريم أن يتقدم قائد القواد البحرية الرئيس ابن الأحمر، وبعده القائد الخطيب أبو العباس بن الخطيب...وبعد ذلك ترتب القواد حسب ما اقتضته المدن التي تولوا أمر بحرها والبلاد. وأوعز أيده الله أن لا يتعدى احد مكانه من مصطف الأجفان، ومطار الغربان... وحذت لهم.حدود ومراسم ... وأقبلت الأجفان مالئة متسع الفضاء ... جامعة مانعة ... أسانيد صواريها ظاهرة العلو، ومقدمات جهادها ماتعة الخلو ذوات تصريف قوي ... مطلعة مجاديفها الرباب إذا غنت ... لقلوعها الطي والنشر، ولسيرها المطابقة التي زاد بها البشر. كريمة التمايل والاهتزاز، حامية للحقائق في المجاز... مأمونة الغلط ... حسنة المادة والصورة ... عارفة بجمع الأعداد فوق الكراسي ... مشحونة بالأبطال"[1].

المناورات البحرية: كانت هذه المناورات عبارة عن حرب وهمية الهدف منها التدرب على فنون القتال بالبحر، ولم يكن لها وقت محدد[2]، وتشترك في هذا المناورات مختلف قطع الأسطول المريني، لكي يتسنى لكل ممارسة مهامها الحربية، وتكون المناورة بأن تمثل قطع الأسطول القتال، كما يتم وضع أهداف للجند ـ خاصة الرماة منهم ـ بغرض التصويب عليها وضربها وكأنهم يصوبون على سفن الأعداء، وبالطبع بعد نهاية المناورة تعطى مكافئات لمن يشارك في هذه العمليات من الجند[3].وخاصة لأولئك الذين اثبتوا مهارتهم.

ولقد وصفت لنا المصادر المرينية هذه المناورات بشكل واضح، فمثلا صاحب روض القرطاس يقول: "فأقبلت أساطيل المسلمين المظفرة حتي وافت.حضرة أمير المسلمين ـ يعقوب بن عبدالحق سنة 684هـ \1285م) – بالجزيرة، فبرزت أمامه بالمرسا وهو جالس بمشورة قصره من البلد الجديد، فلعبوا أمامه في البحر وتناطحوا قدامه كفعلهم في حربهم، فأمر رحمه الله لكافتهم بالإحسان الجزيل، وصرفهم إلى وقت الحاجة إليهم فيأمرهم بالإتيان"[4]. وفي نص آخر لصاحب فيض فيض العباب قال فيه: "وتلوم ـ يقصد أبو عنان ـ أيده الله بخباء الجلوس على الشاطئ وأعلامه المنصورة منشورة ... وجعل ينظر إلى أساطيله المظفرة وقد ضربت بأجنحة مجاديفها كالعقبان الكواسر ورفعت أعلامها المتهايجة لهبوب

---

[1] النميري،ص270،271،272 .
[2] إبراهيم حركات،المرجع السابق ،ج2،ص117.
[3] ابن أبي زرع،القرطاس،ص385.
[4] ابن أبي زرع،القرطاس،ص385.

الرياح النواشر ... ولبس أهلها الدروع فكأنهم الأسود اللابسة لأثواب الأراقم، وأطلعوا أشعة السلاح فكأنهم البدور الطرزة ... والطبول تصول على جنبات الجو، والأجفان تتسابق كالرمال الجوافل في الدو. والناس قد حشروا وضحى أجمعين، ولبوا داعي العز والظهور وأتوا إليه مهطعين"[1].

الخطط الحربية: هي عبارة عن إستراتيجية الهدف منها إلحاق هزيمة أو خسائر بقوات العدو أو التقليل من حدة هجماته، ولذا حرصت دول المغرب منذ القدم على العمل بسياسة الخطط في القتال، وكذلك حرص المرينيون على العمل بها.

لقد تعددت هذه الخطط الحربية فنجد منها ما كان يتم عند خروج الأسطول للحرب في وقت الليل، وكان الهدف منها إخفاء الأسطول عن أعين الأعداء، وكانت تتم بعدة إجراءات منها: منع اتخاذ نار أو مصباح أو ديكا (خوفا من أن يصدر صياح) على ظهر سفن الأسطول[2].

ومن الخطط ما يكون أثناء القتال، مثل خطة الكلاليب، وتكون باقتراب السفن من مراكب العدو، ومن بعد يتم جذبها بالكلاليب، وبعد ذلك توضع ألواح بين السفن أشبه بالجسر، وعن طريقها يتم التسلل إلى سفن الأعداء[3]، ولقد استخدم المرينيون هذه الخطط في عملياتهم البحرية[4]، ومن المرجح أن هذه الخطة كانت تستعمل بالليل عندما ينام من هم على سفن العدو حيث يتم سحبها والتسلل إليه والاستيلاء على ما فيها. ومن خطط الأسطول أثناء القتال قيام سفن الأسطول بتشكيل كتلة واحدة ثم تسير صوب سفن العدو وعند اقترابها منها تشن هجوم قوى بمختلف الأسلحة القاذفة على سفينة قائد أسطول العدو حتى يتم تدميرها، وبضرب مركز القيادة يمكن أن تُشل حركة أسطول العدو، وهكذا يتحقق النصر، وتعتبر موقعة المَلَنْد سنة 740 هـ\1339م [5] خير دليل، ونورد بهذا الخصوص نص لابن خلدون بقوله: "وتوافت أساطيل المغربين بمرسى سبتة تناهز المائة. وعقد السلطان عليها لمحمد بن علي العزفي الذي كان صاحب سبتة يوم فتحها، وأمره بمناجزة أسطول النصارى بالزقاق. وقد اكتمل عديدهم وعدتهم، فاستلاموا وتظاهروا في السلاح. وزحفوا إلى أسطول النصارى وتواقفوا مليا.ثم قرّبوا الأساطيل بعضها إلى بعض وقرنوها للمصاف، فلم يمض إلا كلا ولا حتى هبّت ريح النصر، وأظفر الله المسلمين بعدوّ هم وخالطوهم في أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيوف ... وقتلوا قائدهم المَلَنْد واستاقوا أساطيلهم"[6].

ومن الخطط المرينية ما يكون عند تحرك الأسطول من مكان إلى أخر، حيث يتم تشكيل صف طويل متسلسل من كل القطع الحربية للأسطول؛ والهدف من ذلك عدم ترك ثغرة بين سفن الأسطول للحيلولة دون اختراقه أثناء المسير، ولقد أورد أبن خلدون نصا بذلك عند وصفه لعبور الأسطول المريني إلى الأندلس بعد هزيمة

---

[1] النميري،المصدر السابق،ص276,275.
[2] الحسن بن عبدالله،المصدر السابق،ورقه 453.
[3] العدوى، المرجع السابق ،ص93.
[4] البارودي،المرجع السابق،ص304.
[5] ابن خلدون،العبر،ج7، ،ص345.
[6] العبر ج7 ،ص346. البارودي،المرجع السابق،ص313.

القشتاليين في موقعة المَلَنْد يقول فيه: "ثم شرع ـ السلطان ـ أبو الحسن في إجازة العساكر من المتطوعة والمرتزقة. وانتظمت الأساطيل سلسلة واحدة من العدوة إلى العدوة. ولما تكاملت العساكر بالعبور أجاز هو في أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أخر سنة أربعين وسبعماية ونزل بساحة طريف"[1].

كما ابتكر المرينيون خطط حربية تعتمد على سرعة قطعهم البحرية، فمثلا نجد القائد المريني أبا بنج عند رجوعه من مهمة له في تونس يصادف في بسواحل بجاية مركبا للنصارى الروم من نوع الشيطي يتجسس على شواطئها، وعندما حاول الشيطي الهرب زاد ابن بنج في سرعة غرابه وعندما قرب منه أرسل عليه وابلا من السهام، ومن بعد قبض عليه وجلبه إلى بجاية. وفي حادث أخر بنفس المكان صادف القائد أبي العباس الخطيب مركبا للنصارى الروم في مهمة تجسس فقام بأسره، وهنا استغل القائد المريني العوامل المناخية، فعلى ما يبدوا أن مركب الروم كان يعتمد في مسيره على سرعة واتجاه الريح، لذا قام ابن الخطيب باعتراضه والقبض عليه، وهذا نص الحادث كما جاء عن صاحب فيض العباب: "وأما الخطيب أبو العباس فانه لقي أيضا جفنا للروم أتيا من أعلامه بالنعمان ومن قاره باليحموم، مظهرا للمتجردة لكن من السيوف الرغبة للكلوم، جاعلا كل أيامه يوم بؤس فمن لقيه أيقن الأجل المحتوم المختوم. إلا أن الخطيب أبا العباس ضيق عليه مهاب الرياح اللوافح، وانقض عليه انقضاض الأجادل على اليعاقيب السوابح. وأرسل عليه عفص السهام المريشة ففيه". الكفرة إقعاصا ... وفي الحين اخذ الخطيب الجفن ومن فيه"[2].

***

[1] ابن خلدون،العبر ،ج7،ص346.
[2] النميري،المصدر السابق ،ص341.

الفصل الثالث:النظم الحربية للمنشآت المرينية.

أولا:المنشآت الحربية المرينية.

ثانيا:الاستحكامات الدفاعية للمنشآت الحربية.

ثالثا:مـــــواد البناء وطرق استخدامها.

النظم الحربية للمنشآت المرينية.

أولا: المنشآت الحربية المرينية:

أهتم المرينيون منذ بداية أمرهم ببناء المنشآت الحربية الدفاعية، والهجومية بسواحل بلادهم ومناطقها الداخلية، فعلى السواحل الشمالية، والغربية أقاموا مدن حولوها بالتدريج إلى قواعد حربية، وأحاطوها بالأسوار وشيدوا فوقها الأبراج، أما المناطق الداخلية فقد شهدت حركة ترميم وبناء واسعة لما تحويه من حصون وقلاع، وذلك بهدف تقوية حدودهم، والتوسع صوب خصومهم بني عبدالواد بالمغرب الأوسط. ومن هنا سوف نتناول أهم تلك المنشآت من مدن، وحصون، وقصبات، وقلاع، وما اشتملت عليه من استحكامات دفاعية.

مدينة فاس الجديدة أو البيضاء[1]:

انطلاقا من قول ابن خلدون: "إن كل امة لابد لهم من وطن وهو منشأهم ومنه أولية ملكهم"، اتخذ المرينيون فاس عاصمة لهم سنة 674 هـ \1275م، ويرجع اختيارهم لمدينة فاس لعدة أسباب منها: بُعدها عن مراكش عاصمة الموحدين[2]، وتوسط موقعها ببلاد المغرب. كما أشار لذلك القلقشندى عند قوله: "إن فاس متوسطة بين ملك المغرب ... ولذلك صلحت أن تكون قاعدة الملك"، فالمسافة بين فاس وكلا من مراكش، وتلمسان، وسبتة، وسجلماسة تكاد تكون متساوية[3]. انظر الخريطة رقم (1)، وكذلك من الأسباب التي شجعت المرينيين على اتخاذ فاس عاصمته لهم أن السلطان يعقوب بن عبدالحق رأى أن "أمره قد استفحل، وملكه قد استوثق، واتسع نطاق دولته، وعظمت غاشيته وكثر وافده، رأى أن يختط بلدا"، وأراد أن "يتميز بسكناه في حاشيته وأهل خدمته وأوليائه الحاملين سرير ملكه.فأمر ببناء البلد الجديد لصق فاس ـ العتيقة ـ"[4].

أقام المرينيون فاس الجديدة على الناحية العلوية للوادي الذي يخترق فاس القديمة، وهي تبعد عن العتيقة 675 متر تقريبا[5]، ولقد كلفوا ببنائها البنائيين وغيرهم ممن لهم علاقة بالبناء وكان ذلك بإشراف امهر المهندسين مثل أبو الحسن بن القطان وأبو عبدالله بن الحبَّاك[6]. ولقد حرص المرينيون على أن تشتمل مدينتهم الجديدة على عدة أحياء وهى: المدينة البيضاء (البلد الجديد)، وربض النصارى، ومدينة حمص[7]، ولقد تم تزويد هذه الأحياء بمختلف المرافق من دور ومنازل وقصور ومدارس وحمامات وأسواق[8]، كما زودت تلك المرافق بالماء عن طريق قنوات[9]، تنقل المياه إليها من العيون المجاورة، وذلك عن طريق رفع هذه القنوات على قناطر خاصة بها[10]، فبالنسبة للمدينة البيضاء ـ بناها يعقوب بن عبدالحق بعد قضائه على دولة

---

[1] العمري،المصدر السابق،ج4،ص108.
[2] ابن خلدون،العبر،ج1،ص470.
[3] القلقشندى،المصدر السابق،ج5،ص157،156.
[4] ابن خلدون،العبر،ج7،ص258.
[5] روجيه لوتورنو،فاس في عصر بني مرين،ترجمة نيقولا زياده،مكتبة لبنان، بيروت ،1967م،ص26.
[6] ابن خلدون ،العبر،ج7،ص258.
[7] العمري،المصدر السابق،ج4،ص111.وقارن القلقشندى،المصدر السابق،ج5،ص154.
[8] نفس المصدر والجزء والصفحة.ابن أبي زرع،الذخيرة ،ص90.
[9] الوزان،المصدر السابق،ج1،ص221.
[10] العمري،المصدر السابق،ج4،ص108.

الموحدين سنة 668 هـ\1269م[1] ـ، أما ربض النصارى يقول عنه صاحب الذخيرة السنية: "وأخرج ـ يقصد السلطان يعقوب بن عبدالحق ـ أجناد الروم الذين كانوا يسكنون مدينة فاس ـ العتيقة ـ عنها وبنا لهم حظيرة بخارج المدينة وأسكنهم فيها"[2]. ومن المرجح أن الحظيرة هي ذلك البناء الذي يسميه بعض المؤرخين ربض النصارى. أما عن مدينة حمص: فهي التي يعرف موضعها بالملاح وهو ملاصقة لفاس الجديدة، بناها السلطان عثمان بن يعقوب [3].انظر مخطط (1).

إن اهتمام المرينيين بفاس الجديدة وتحصينها دليل على أن توجه المرينيين منذ بداية أمرهم كان توجه حربي، أي انه لم يكن هدفهم تأسيس عاصمة والاستقرار بالمغرب الأقصى فقط، بل كانت لهم خطط توسعية، وبالطبع هذا ما أشار إليه لوتورنو عند قوله:"كانت فاس قبل كل شيء، مدينة عسكرية: وكان سورها الأحمر المزدوج، الذي كانت تعلوه الأبراج وتدعمه الحصون المربعة يشير بما لايقبل الشك إلى رغبة مؤسسيها في اتخاذها قلعة منيعة "[4].

مدينة البُنية:

مدينة حربية بناها المرينيون سنة 674هـ\1275م، على الضفة اليسري لنهر العسل، وكانت بجوار ميناء الجزيرة الخضراء، ويقول المؤرخ ليوبولد بالباس[5]:إنها أسست من بقايا بنايات نصرانية بنيت عند حصارهم للجزيرة الخضراء،ولقد استخدمها المرينيون كمحطة لاستراحة جندهم وسفنهم المتجهة إلى الأندلس،كما لا نستبعد أنهم في أوقات السلم استخدموها كقاعدة لمراقبة الأندلس والجزيرة الخضراء، وفي أوقات الحرب استخدموها لإمداد جيوشهم وأساطيلهم المجاهدة ضد النصارى، ويضيف بالباس إلى ذلك أنها كانت تمثل ملجاء يهرب إليها السلاطين من مشاكل الحكم المستمرة من ثورات وغيرها ومن أعمال الشغب ضد الحكم، كما أن قصورها توفر لهم الراحة والآمان أكثر من تلك الواقعة داخل المدن الآهلة بالسكان[6]، ولقد تم تجهيز هذه المدينة بالمرافق اللازمة مثل القصر، والمسجد، والسوق، والحمامات، والقناطر مثل قنطرة مارين، والنجا، كما أقيم بها طرق[7]، ومن المرجح أنهم أحاطوها بأسوار ومداخل وأبراج، ودعموها بحامية من الجند.

مدينة تطوان:

[1] القلقشندى،المصدر السابق،ج5،ص154.
[2] ابن أبي زرع،الذخيرة،ص91.
[3] العمري،المصدر السابق،ج4،ص111. القلقشندى،المصدر السابق،ج5،ص155.
[4] لوتورنو،المرجع السابق،ص33.
[5] ليوبولدو طريس بالباس،التاريخ الحضري للغرب الإسلامي،الحواضر الأندلسية،ترجمة محمد يعلى،ج1،ط2007،1م،دار أبي الرقراق،الرباط،ص127.
[6] ليوبولدو بالباس،المرجع السابق،ج1،ص105.
[7] ابن زرع،الذخيرة،ص90

تعتبر تطوان من تلك القلاع أو القصبات[1] التي بناها المرينيون شمال المغرب الأقصى، ومع مرور الوقت طوروا منشآتها وأصبحت مدن تتمتع بمختلف المرافق المدنية والحربية[2]، ومن أهم المنشآت التي تم بنائها بها القصبة، وذلك سنة 685هـ\1286م، كما استكمل في سنة 708هـ\1308م تحصين قصبتها، وبناء باقي مرافقها، واتخذوها مقرا لإقامة عساكرهم، وذلك لمراقبة الثورات التي قد تأتى من سبتة التي "صارت ركابا لمن يروم الخروج عن السلطان من القرابة المستقرين وراء البحر غزاة في سبيل الله" أمثال عثمان بن أبي العلاء، الذي احتلها مع أعوانه من بني الأحمر [3].وفي الوقت نفسه اتخذوها مقرا لمحاصرة سبتة، على عادتهم عند حصار المدن، مثل حصار تلمسان، والجزيرة الخضراء.

مدينة سلا:

هي مدينة ساحلية وقاعدة بحرية تقع على الساحل الغربي للمغرب الأقصى، اهتم بها المرينيون، وذلك بأن أقاموا عليها منشآت حربية ذات استحكامات قوية مثل السور الذي بنوه على جهتها الغربية المقابلة لوادي أبي الرقراق، كما قاموا بعمليات ترميم لباقي أسوارها التي تعرضت للدمار بسبب غزو القشتاليين لها سنة 658هـ\1260م، ولقد كان السلطان يعقوب بن عبدالحق على رأس من شاركوا في هذا التحصين، ولقد رافقه في ذلك القادة وزعماء القبائل[4]، إن ماسبق ذكره جعل سلا أكثر حصانة وآمان من قبل، وهذا ما نفهمه من أبن الخطيب عند مدحه لسلا بقوله: "العقيلة المفضلة، والبطيحة المخضلة، والقاعدة الموصلة السدرة المفصلة.ذات الوسامة والنظارة، والجامعة بين البداوة والحضارة" وكذلك قال: "وهي ـ على الجملة من غيرها ـ أوفق، ومغارمها ـ لاحترام الملوك الكرام ـ لها أرفق، ... وتتأتي بها ـ للعُبّاد ـ الخُلوة، وتوجد عندها للمهموم السلوة"[5]، ولكن وعلى ما يبدوا انه بعد الفتنة التي حدثت بسلا عقب مقتل السلطان المريني أبا سالم إبراهيم سنة 763هـ \1361م.ضعفت تحصيناتها مما غير رأى.ابن الخطيب فيها، حيث قال عند مقارنته مالقة بسلا:"وسلا على ما علمت سور حقير وقور إلى التنجيد والتشييد فقير آطام خاملة،وللرم آملة وقصبتها بالبلد متصلة،ومن دعوى الحصانة منتصلة، سورها مفرد، لاسلوقية[6] تقيه. وبابها مقصد لا ساتر يحميه، ... وفي عهد قريب استباحها الروم في اليوم الشامس،ولم ترد يد لامس ،من غير منجنيق نُصب، ولاتاج مُلك، عليها عُصب قلة سلاح، وعدم فلاح"[7]، لكنه بالغ في ذلك. "مدح للأولى، تجاوز حد التفضيل، وقدح في بها".ة، بلسان طويل، تجاوز حد التمثيل، وخرج من درجة التعليل"،

---

[1] القصبة :هي تسمية بمعنى القلعة ولقد شاع استخدامها ببلاد المغرب والأندلس،وهي ذات طابع حربي فهي تشمل مقر إقامة السلطان ،وبها مباني لإقامة الجند،ومسجد للصلاة.

[2] إبراهيم حركات، (العمران وفن البناء في عهد المرينيين)، دعوة الحق،ع6،السنة 7، ذو القعدةامارس،1383 هـ\1964م،ص41.

[3] السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص95 96.

[4] ابن أبي زرع،القرطاس،ص301.

[5] ابن الخطيب معيار،ص152 155.وانظر كذلك جعفر بن أحمد الناصري،أبن الخطيب بسلا،سلا،منشورات الخزانة العلمية الصبيحية،1987م،ص23،108.

[6] سلوقية:نوع من الأبراج والخنادق التي تكون خارج سور المدينة.دوزي،المرجع السابق،ج6،ص129.

[7] ابن الخطيب،خطرة الطيف رحلات في المغرب والاندلس1347 1362 ،حققها وقدم لها احمد مختار العبادي،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع2003م ،ص59.وانظر كذلك مُلر،ماركوس يوزف،مفاخرة سلا ومالقة لأبن الخطيب،الجغرافيا الإسلامية،نصوص ودراسات حول جغرافية وطبوغرافية الأندلس،القسم الأول،جمع وإعادة طبع فؤاد سزكين،معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية،جامعة فرانكفورت،ألمانيا،1993م، مج151،ص345

"والعجب من أبن الخطيب، كيف تصدى لذم سلابها". الذم المُقذع، بعدما اختارها للاستقرار بها"[1].

مدينة بادس:

تقع على السواحل الشمالية لبلاد المغرب الأقصى، فهي ذات أهمية عسكرية، وتجارية فمنها يخرج التجار إلى بلاد السودان، وطرابلس، والقيروان، ونفطه' أي أنها إحدى أهم البوابات التي تربط بين البحر وتلك البلاد الداخلية[2]، لذا.قام السلطان يعقوب بن عبدالحق بتحصينها، وذلك عند تكليفه لإبراهيم بن عيسى (كبير بني وسناف بن محيو) ببناء سور على بادس لزيادة تحصينها[3].

مدينة وجدة:

تقع شمال المغرب الأوسط، ولقد اهتم المرينيون بها، حيث كلفوا المهندسين والبنائيين[4]، بالقيام بتجديد بنائها في سنة 696هـ\1297م[5]، والقيام بإعادة بناء أسوارها، وتجهيزها بمختلف بمختلف المرافق مثل القصبة، والمسجد، والحمامات ثم اسكنوا بها قبيلة بني عسكر لتقوم بحمايتها، ويرجع هذا الاهتمام المريني بوجدة لأنها تمثل قاعدة حربية تُشن منها الغارات على دولة بني عبدالواد[6].

مدينة المنصورة[7] أو تلمسان الجديدة[8]:

أسس المرينيون مدينة المنصورة بجوار تلمسان عاصمة بني عبدالواد بهدف ضرب حصار طويل عليها حتى يتم لهم الإطاحة بها انظر المخطط (2)، لقد جاء بناء هذه المدينة بعد تكرر المناوشات الحربية بين الطرفين، وزيادة الهجمات المرينية على أملاك بني عبدالواد في سنة 689هـ\1290م، و695هـ\1295م، و696هـ\1296م، و697هـ\1297م، و698هـ\1298م، وفي السنة الأخيرة وتحديدا في شهر شعبان قام المرينيون بحصار تلمسان وذلك بإقامة سياج من الأسوار حولها، ثم شرعوا في بناء المنصورة[9]، وكانت البداية ببناء قصر قصر السلطان وإحاطته بسور، ثم تم بناء باقي مرافق المدينة وذلك في شتاء 701هـ\1301م، وفي سنة 702هـ\1302م شرعوا في بناء السور الأعظم حول مدينة المنصورة لتحصينها[10]، وبعد استكمالها بدأت هذه المدينة تساهم في حصار تلمسان ومنها الحصار الطويل الذي انتهى

[1] الناصري،المرجع السابق،ج2،ص106.
[2] الوزان،المصدر السابق،ج1،ص327.
[3] ابن خلدون،العبر،ج7،ص256.
[4] ابن خلدون،العبر،ج7،ص126.
[5] يجعل ابن زرع دخول وجدة سنة 696هـ ،القرطاس،ص385.
[6] أبن أبي زرع،القرطاس،ص285.
[7] هكذا ورد تسميتها عند ابن خلدون،العبر،ج7،ص127.
[8] هكذا ورد تسميتها عند ابن زرع،القرطاس،ص387.
[9] ابن خلدون،العبر،ج7،ص126 127.
[10] ابن زرع،القرطاس،ص387.

بسقوط عاصمة بني عبدالواد في يد المرينيين[1]. نستنتج مما سبق أن بناء هذه المدينة يعد أسلوب أسلوب جديد في حصار المدن عرفه المرينيون، وإضافة إلى ذلك، نلاحظ أن بناء المنصورة ما هو إلا دليلا على تطور الاستحكامات المرينية، وهذا ما سنتناوله في موضوعات قادمة.انظر المخطط رقم (3).وانظر الصورة (1)

الجزيرة الخضراء:

نظرا لأهميتها الحربية لقيت هذه الجزيرة اهتمام كبير من المرينيين، فعن طريقها يمكنهم العبور إلى الأندلس، وتمثل هذا الاهتمام في القيام بتحصينها، وتقوية استحكاماتها، وابرز هذه الأعمال تمت في زمن السلطان عثمان بن عبدالحق، الذي أمر سنة 715هـ\1315م، ببناء مدخل أمام القنطرة المؤدية للجزيرة الخضراء؛ حتى يتسنى له مراقبة الداخل إليها والتحكم فيه، كما بني حولها سور لزيادة منعتها[2].

مدينة أفراك:

أسمها عبارة عن كلمة مغربية ذات أصل عربي بمعنى (فراق)[3]، بناها المرينيون سنة 729بها.28م على طريق الخارج إلى سبتة مباشرة، وهي ذات طابع حربي الهدف منها مراقبة سبته، وتأمين الأخطار التي قد تأتى منها[4]. كما استخدمت لنزول السلطان وأهله أثناء السفر، وجُهزت بالمرافق اللازمة للمقيمين بها[5]. كما أنها من المرجح أنها لم تخلو من الاستحكامات الحربية.

مدينة القاهرة:

بُنيت في زمن السلطان أبا عنان أسفل جبل السكسوي بالسوس جنوب المغرب الأقصى، لكي تكون مقرا لعساكره، وسبب بنائها حربي، الغرض منه مراقبة السواحل الغربية للمغرب الأقصى، حتى لاتكون مرسى لسفن المعارضين للحكم، كما أنها كانت قاعدة لمحاصرة الثوار في جبل السكسوي مثل ثورة عبدالله السكسوي (المتحالف مع أبو الفضل محمد) ضد الدولة المرينية سنة 754هـ\1353م[6].

مدينة المنصورة:

وهي مدينة بناها السلطان أبا الحسن بجوار مدينة سبتة[7]، لغرض مراقبة أحوالها، ولقد تم إسكان حامية حربية بها، وهناك من يرجح أنها ما هي إلا أفراك التي سبق الحديث عنها[1].

---

[1] ابن خلدون،العبر،ج7،ص126 127.
[2] السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص105.
[3] السبتي،المصدر السابق،ص32.
[4] ابن خلدون العبر،ج7،ص327.
[5] السبتي،المصدر السابق،ص32.
[6] ابن خلدون،العبر،ج7،ص389.
[7] ابن مرزوق،المصدر السابق،ص303.

مدينة رندة:

تعتبر من المدن الأندلسية البحرية التي أهتم المرينيون بتحصينها، بحيث أصبحت تتميز بكثرة منشآتها الحربية، وفيها يقول ابن مرزوق: "وفي بلدة رندة من أثار البناء المحدث عن أمره والمعاقل المحصنة والأبراج الشامخة والآبار المعينة"[2].

رباط تازة:

مدينة تقع شمال المغرب الأقصى، سيطر عليها المرينيون سنة646هـ\1248م[3]، وذلك لعدة أسباب منها: أولا: عامل عسكري، فهي متاخمة للأملاك بني عبدالواد بتلمسان. لذا اتخذوها قاعدة لمراقبة أحوالهم، وهذا ما أشار إليه ابن زرع عند حديثه عن يعقوب بن عبدالحق: "خرج من مدينة فاس إلى رباط تازة يستشرف منها أخبار يغمراسن بن زيان"[4] وكان ذلك سنة 658هـ\1259م، والعامل الثاني تجارى فهي تقع على ممر مهم لعبور القوافل التجارية من فاس تجاه الشرق، وهذا جعل منها منطقة تجارية لها أسواق كبرى تعرض فيها مختلف البضائع، كما اشتملت على فنادق لإيواء الوافدين إليها، هذا الجانب جعلها تتمتع بثراء[5]، لذا أصبحت محط أنظار المرينيين.

رباط الفتح جبل طارق:

أهم تحصينات به كانت زمن السلطان أبا الحسن سنة 733هـ\1333م بعد استرجاعه من يد النصارى القشتاليين الذين سيطروا عليه سنة 709هـ\1309م،حيث بدأ ببناء استحكاماته، وترميم مواطن الضعف به، وأقام به مختلف المرافق وشحن مخازنه بالمؤن، والأسلحة، كما زوده بحامية حربية من العناصر المقاتلة للمرابطة به[6]، ولقد وصف لنا ابن بطوطة تلك الاستحكامات بقوله: "وأول بلد شاهدته من البلاد الأندلسية جبل الفتح، فلقيت به خطيبه الفاضل أبا زكريا يحيى بن السراج الرندي، وقاضيه عيسى البربري، وعنده نزلت وتطوّفت معه على الجبل، فرأيت عجائب ما بني.مولانا أبا الحسن ـ رضي الله عنه ـ وأعد فيه من العدد، وما زاد على ذلك مولانا أيده الله ـ يقصد السلطان أبا عنان ـ.ووددت أن لو كنت ممن رابط به إلى نهاية العمر". ولقد واصل السلطان أبا عنان مراقبة الجبل ومرافقه وصيانة وتحصين ما طاله الخراب، فعلى ما يبدوا انه لاحظ ضعفا في السور فبني سورا جديد، وزاد من القوات المقاتلة داخله[7].

حصون ملوية:

---

[1] البارودي،المرجع السابق،ص274.
[2] المصدر السابق،ص268.
[3] ابن زرع،القرطاس،ص293.
[4] المصدر السابق،ص301.
[5] الوزان،المصدر السابق،ج2،ص276.
[6] ابن مرزوق،المصدر السابق،ص266،265.
[7] ابن بطوطة،المصدر السابق،ج2،ص308.

وهي سلسلة حصون سيطر عليه المرينيون منذ زمن الأمير أبوبكر بن عبدالحق سنة 646هـ\1248م. ولقد سلمها إلى أخيه يعقوب مع رباط تازة[1].

حصون درعة:

هي مجموعة حصون كانت تسيطر عليها بعض القبائل العربية، تملكها منهم يعقوب بن عبدالحق سنة 669هـ\1270م[2].

حصن تاوريرت:

وهو من الحصون الواقعة بين أملاك بني عبدالواد والمرينيين، في سنة695هـ\1295م قام يوسف بن يعقوب، بإعادة بنائه وتسويره وركبت له أبواب من الحديد، واسكن به قبيلة بني عسكر العربية وقدم عليه أخيه يحي بن يعقوب[3]، ويمثل هذا الحصن قاعدة حربية يمكن من خلالها مراقبة تحركات بني عبدالواد وتوجيه ضربات إليهم[4].

قلعة دبدو:

تقع على منحدر جبل مرتفع[5]، وهذا الموقع الجغرافي أعطاها استحكامات إضافة إلى الاستحكامات التي شيدها المرينيون بها[6]. ولقد سكن بهذه القلعة إحدى فروع قبيلة ورتاجن المرينية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه القبيلة استقرت بقلعة دبدو منذ عهد عبدالحق بن محيو الذي انتهج سياسة توزيع أراضى بلاد المغرب الأقصى على القبائل المرينية[7].

قصبة العرائش:

بناها المرينيون زمن يعقوب بن عبدالحق وتحديدا سنة 657 هـ\1258م[8].

قصبة مكناس:

بناها المرينيون سنة 674 هـ\1275م، وقاموا بتحصينها، وبنو بها العديد من المنشآت المدنية أهمها مدرسة الشهود، وكانت تسمى باسم مدرسة القاضي، لأن القاضي أبو علي الونشريسى يعطى بها دروس، وفي زمن السلطان أبا الحسن أضافوا لها زاوية المشاورين، وزاوية القورجة والعديد من القناطر والمرافق.

قلعة شفشاون:

---

[1] ابن زرع،المصدر السابق،ص293 ،292.
[2] نفس المصدر،ص307.
[3] ابن زرع،القرطاس،ص385.
[4] ابن خلدون،العبر،ج7،ص290.
[5] الوزان،المصدر السابق،ج1،ص351.
[6] حركات،(العمران) المرجع السابق ،ص41.
[7] الوزان،المصدر السابق،ج1،ص351.
[8] حركات،(العمران) المرجع السابق،ص41.

أسسها أبو حسون المريني سنة 866 هـ\1461م قبل اضمحلال الدولة المرينية بثلاث سنوات[1].

***

[1] حركات،(العمران) المرجع نفسه،ص41.

ثانيا: الإستحكامات الدفاعية للمنشآت الحربية.

بعد أن تناولنا المنشآت المرينية، يستوجب الأمر علينا تناول استحكاماتها الدفاعية المتمثلة في الأسوار، والأبراج، والمداخل، هذه الاستحكامات التي لا غنى عنها لأي منشأ حربي كان أو مدني. إن نظام الاستحكامات أسلوب عملت بها الدول منذ القدم وتوارثته الحضارات، وبذلت في سبيل تطويره جهدا كبيرا، وكل ذلك سعيا وراء توفير الأمن والأمن[1]، ويشير البعض إلى أن هذا يدل على أن تلك الدول كانت دائما في وضع المدافع[2]،ولكن هذا ما نستبعده تماما فتقدمها وتوسعها في مختلف الأنحاء دليل على أنها كانت في موقف مهاجم. وتعتبر الدولة المرينية من تلك الدول والحضارات الإنسانية التي أولت اهتماما كبيرا بهذا الجانب، وقبل الخوض في الاستحكامات المرينية وتفاصيلها، يجدر الإشارة إلى أن ما أمدتنا به المصادر والآثار المتبقية من معلومات كان يختص بتحصينات المدن فقط، ولكن لا أظن أن ما اشتملت عليه المدن يختلف كثيرا عما هو موجود بالقلاع والحصون والأربطة.

الأسوار:

السور هو عبارة عن حاجز يصنعه الإنسان من مواد بنائية بطريقة محكمة، ويتم بنائه حول أي مكان يُخشى عليه مثل المدن، والقلاع، والحصون، والأربطة، وذلك بغرض الدفاع عنها والحفاظ على بقائها[3].

يتألف السور من عدة أجزاء هي: الأساس أو القاعدة، وهو الذي يحفر في الأرض، حيث يراعا في عمقه وعرضه سمك وارتفاع السور، فكلما ارتفع السور زاد عمق أساسه وكلما كان سميك زاد عرضه، لأن ذلك يزيد من قوة وثبات السور، وصموده أمام العوامل الطبيعية والبشرية، ويستخدم في تعبئة أو بناء الأساس مواد بنائية مثل تلك التي تستخدم في بناء السور، وإضافة إلى الأساس، يتكون السور من الجدار أو الحائط المرتفع الذي يتم بنائه فوق الأساس، ويستخدم في بنائه مواد بنائية، قد تكون خلطة من التراب (الطابية)[4] أو اللبن أو الآجر أو الحجر، كما يُلحق بالسور في جزئه العلوي الشرفات التي يستقر بها الجند، بغرض الرماية، وكذلك من الأجزاء المهمة في السور الأبراج[5]، وهي تكون بأعلى السور، وتمتد على طوله بمسافات في الغالب تكون متساوية، كما أنه منها ما يوجد على أركان السور، ومجانبة لمداخله من أعلى.

حرص المرينيون ـ مثلهم مثل سابقيهم ـ على بناء الأسوار حول منشآتهم، والهدف من ذلك توفيرا للأمن والآمان، وصد الأخطار الخارجية، وجاء اهتمامهم ببناء الأسوار حول المدن قبل

---

[1] الموسوي: مصطفى عباس ،العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية والإسلامية،ص233.

[2] -J. HERRO, La ville au Moyen Age en occident. Paysages Pouvoir et Conflits, Paris, 1990, p 322.

[3] الأعظمي: محمد طه محمد،"الأسوار والتحصينات الدفاعية في العمارة العراقية القديمة"، (رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، 1992)،ص 192.

[4] سوف يرد ذكر تفاصيل عنها في المبحث الثالث.

[5] إن اعتبار الأبراج والمداخل جزء من السور لاينفي فصلها لوحدها باعتباره من ضمن المنشآت الدفاعية،ولها تصاميم وطرق بناء كثيرة يطول الحديث فيها،لذا سوف تحتل الأبراج والمداخل عناصر لوحدها.

الاهتمام بباقي المنشآت المدنية، ويظهر ذلك واضحا عند بنائهم لمدينة فاس[1]، والمنصورة، وتحصين سلا[2]، ورباط الفتح أو حصن جبل طارق، والجزيرة الخضراء[3].

تميزت الأسوار المرينية بشكل جعلها تختلف عما هو موجود ببلاد المشرق[4]. حيث كانت أشكالها غير منتظمة وشبة مستطيلة، ولعل هذا يرجع إلى طبيعة الأرض المرتفعة والمنخفضة انظر مخطط (4)، يقول الناصري عن بناء سور سلا: "أحاط أبو الحسن ارض شالة ـ سلا ـ بسور مشرف على مجرى الوادي أسفله، يرتفع فوق الأرض المنخفضة ... .وهذا السور المسور لهذه الأرض، مخمس الزوايا الغير مستقيمة"[5] انظر المخطط (4). إضافة إلى ذلك تميزت الأسوار بكثرة الزوايا الداخلة والخارجة انظر الشكل (1)، وهذا على ما يبدوا أنه تكتيكا حربيا عُرف ببلاد المغرب منذ دولة المرابطين، والغاية منه جعل جند العدو يختبئون خلف هذه الزوايا والمنعرجات، ومن بعد يفاجئهم الجند من فوق الأسوار ويقضوا عليهم[6].

وما يلفت النظر عند دراسة الأسوار المرينية نجد أن أسوار العاصمة المرينية فاس تختلف عن باقي المدن، ففي الوقت الذي نجدهم يبنون سورين حول فاس الجديدة، نجد كلا من فاس العتيقة، وسلا، والمنصورة بتلمسان لهم سور واحد[7]، ولقد أكد ذلك العمري بقوله: "وتزيد فاس الجديدة على فاس العتيقة في الحصانة والمنعة، والعتيقة بسور واحد من الحجارة، والجديدة بسورين"[8]. وربما مرجع ذلك لما تتميز به فاس الجديدة من أهمية سياسية وحربية لدى المرينيين باعتبارها العاصمة، ومقر السلطان وحاشيته من حرس وعناصر مقاتلة.

ورغم ذلك الاختلاف إلا أن كل أسوار المنشآت المرينية اشتملت على استحكامات حربية، مثل إقامة الأبراج فوقها انظر صورة (2) و(3)، وبناء ممشى عليها لتنقل الجند إلى الأبراج وهم في مأمن من قذائف العدو، كما زودت الأسوار بسلالم مصنوعة من الحبال، لسهولة رفعها وإلقائها، كما احتوت على شرفات لقذف السهام[9]. وإضافة لما سبق وحرصا على زيادة دافعية الأسوار قام المرينيون بمنع السكان من بناء بيوتهم على مقربة من الأسوار، وذلك حتى يتركوا للمدافعين مجال للحركة والتنقل بجانب الأسوار[10]، وتعتبر أثار أسوار فاس الجديدة والمنصورة

---

[1] ابن خلدون،العبر،ج7،ص258.
[2] ابن زرع،القرطاس،ص 301،387.
[3] ابن مرزوق،المصدر السابق،ص266،265، السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص105.
[4] الأعظمي،المرجع السابق ، ص 196 ،201. ،جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، نسخ وتصحيح وتعليق محمد بهجة الأثري، مطبعة دار السلام ،بغداد، 1342هـ . ص 19 .
[5] الناصري،المصدر السابق،ج2،ص118.
[6] عياش: محمد ،"الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد،والمنصورة بتلمسان (دراسة تاريخية أثرية)"،(رسالة ماجستير،غير منشورة،جامعة الجزائر،الجزائر،2005-2006م)،ص 28.
C. MAITROT , « Les fortifications Nord Africaine » Les archives Berbers, publication Bibl du comité d'étude Berbers de Rabat, . n° 3, Année 1915 et 1916, p 180.
[7] ابن خلدون،العبر،ج7،ص293. 236.
[8] المصدر السابق،ج4،ص112.
[9] عياش،المرجع السابق،ورقه 29.
[10] لوتورنو،المرجع السابق،ص40.

بتلمسان وسلا الموجودة في عصرنا شاهدا على ذلك. إن ما سبق قوله يجعلنا نرجح أن بناء المنشآت المرينية لم يكن عشوائيا بل كان على أسس وقوانين تخدم مصلحة الدولة.

وفي الوقت الذي تشتمل فيه كل أسوار المنشآت المرينية على استحكامات حربية، نجد في المقابل اختلاف وتفاوت في مساحة هذه الأسوار وقوة استحكاماتها، وربما يرجع ذلك لعوامل جغرافية، وحربية، فبالنسبة للاختلاف من ناحية المساحة نجد مثلا السور الداخلي لمدينة فاس الجديدة سمكه حوالي 2م، ومتوسط ارتفاعه7[1] أمتار، ويشتمل على شرفات هرمية الشكل مساحتها 90 سم، أما عن ممشى الجند فوق السور فيصل عرضه إلى 1.25 متر ويتناقص في بعض الجوانب إلى حوالي 90 سم، كما يتوزع على طول السور أبراج، أما السور الخارجي عرضه يكون1 متر وفي بعض الأماكن يتناقص حتى يصل 50 سم، أما ارتفاعه في أقصى نقطة له يكون 5 متر، وفي نواحي يقل حتى يصل إلى 3 متر، أما عن المسافة الواقعة بين السور الداخلي والخارجي فتصل بمعدل متوسطه 15 متر[2]، ونُرجع الفرق بين السوريين، إلى أن السور الخارجي، داعم للداخلي وبالتالي نلاحظ انه أقل استحكاما منه.

وفي مدينة المنصورة بتلمسان يبلغ محيط سورها 5 كلم تقريبا انظر صورة (2)، يمتد من الشمال إلى الجنوب في شكل رباعي غير منتظم، وسمك هذا السور من قاعدته 1.50 متر وتتناقص المسافة تدريجيا كلما اتجه إلى الأعلى، ويبلغ ارتفاع السور 9.20 متر، ويصل إلى 12 متر عندما يحسب معه ارتفاع الأبراج، أما عن ممشى الجند فيصل عرضه إلى حوالي 80 سم، ويعلوا هذا الممشى جدار واقي للجند يصل ارتفاعه 70 سم وسمكه 65 سم، وينتهي السور من الأعلى بشرفات للمراقبة والرماية يبلغ ارتفاعها 85 سم وعرضها 70 سم، والمسافة بين الشرفات حوالي 1متر،مما سبق نلاحظ الفرق بين ارتفاع أسوار المنصورة وسابقتها فاس الجديدة، فالأولى أسوارها أكثر ارتفاع، وربما يرجع ذلك إلى أن المنصورة مدينة حربية تطل على أملاك بني عبدالواد أعداء المرينيين، وأنها في الأساس بنيت لغرض حربي، وبالتالي من الواجب أن تتمتع أسوارها بحصانة تكون كفيلة بردع القذائف التي قد تفاجئها بها مجانيق بني عبدالواد.

أما أسوار مدينة سلا فقد عرفت بحصانتها منذ أيام المرابطين، ولكن عند مجيء الموحدين وخاصة في عهد عبدالمؤمن بن على الكومي هُدمت تلك الأسوار سنة 542هـ\1147م، ثم أعاد حفيده يعقوب المنصور بناء أسوارها ما عدا جهتها الغربية[3]، وظلت كذلك إلى أن هاجمها نصارى مملكة قشتالة سنة 658هـ\1260م، ومن بعد قام السلطان المريني يعقوب بن عبدالحق بإصلاح شؤونها ورمم أسوارها وبني سورها الغربي الواقع ناحية وادي أبي الرقراق[4]، والذي امتد من أول دار صناعتها إلى البحر، وبعد استكمال بناء كل أسوارها أصبحت تشكل شكلا

[1] ورد عند عياش ،المرجع السابق، ورقة 56، أن متوسط طوله 7 أمتار ،والصحيح متوسط ارتفاعه.
[2] يذكر عياش خلال زيارته الميدانية أن المسافة تصل في الأجزاء الشرقية للسور إلى وإلى 8 أمتار وفي بعض الجهات تفوق 25 متر، المصدر السابق، ورقة 57.
[3] حسين: حمدي عبدالمنعم محمد، مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري،مؤسسة شباب الجامعة ،1993م،ص75.
[4] ابن خلدون ،العبر،ج7،ص236.

خماسي انظر مخطط (4)، ولقد بلغ طول سورها من الواجهة الشمالية الغربية،حوالي 300 متر ومن الواجهة الجنوبية الشرقية حوالي 80 متر.وقد زاد اهتمام المرينيين بتحصين أسوار سلا بعدما أصبحت تظم بداخلها مقبرتهم، حيث بلغ ارتفاع، أسوار الجزء المخصص كمقبرة والمسمى شالة مابين 6 - 7 أمتار[1].

أما من ناحية قوة الاستحكام، فنلاحظ انه هناك فرق واضح بين حصانة أسوار فاس الجديدة والقديمة، فالجديدة أسوارها أكثر متانة، كما انه هناك فرق بين أسوار فاس الجديدة نفسها فمثلا السور الداخلي، أكثر متانة من الخارجي، وكذلك هناك فرق بين أسوار فاس الجديدة، والمنصورة بتلمسان فلأخيرة تميزت بارتفاع وسمك سورها، ونرجح سبب ذلك لكون المنصورة فاقت مدينة فاس من ناحية الأهمية الحربية، والدور الذي أنيط إليها، فهي مدينة أسست لغرض حربي وهو القضاء على عاصمة دولة بني عبدالواد، لذا كان لزاما أن تتميز أسوارها بالارتفاع حتى تتفادى أي هجوم مُباغت منهم. أما فاس الجديدة فلها سوران، فهما على كفاءة عالية لتوفير الأمن لها، ويمكن أن نقول أنهما عوضا عن الارتفاع، وخاصة أنها قد تتعرض لثورات ومناوشات داخلية، ولكن من المستبعد أن تتعرض لهجوم بالأسلحة القاذفة. ومما سبق نستنتج أن العقلية الحربية المرينية لاتخط أساس سورا ولاتضع لبنة إلا على أسس حربية ودراية وتفكير بنتائج ذلك.

الأبراج:

البرج هو بناء مرتفع له عدة أشكال منها: المستدير، والنصف دائري، والدائري، و الهرمي، والمربع، والمستطيل، والمَّضلع، ويكون أما مبني لوحده[2] أو ملحق بمبني[3]، ونظرا لأن الأبراج الملحقة هو ما شاع استخدامه فوق المنشآت الدفاعية على مر العصور بما فيها الفترة المرينية، لذا سوف نركز عليها أكثر من غيرها.

يبنا هذا النوع من الأبراج على الأسوار، والقلاع، والحصون حيث نجده ينتشر فوق جوانب المنشئ، وعلى أركانه، وقد يكون مجانبا لمداخله، ويتميز البرج بقاعدته البارزة[4] عن باقي أجزاء المنشئ[5]، وإضافة للبروز نجد الأبراج تتصل بالمنشئ من الأساس إلى القمة، وترتفع عنه قليلا[6]، وينقسم إلى قسمين رئيسيين هما: قسم سفلى مصمت، وقسم علوي تشغله غرفة للحرس، وفي بعض الأبراج يكون كذلك الجزء المصمت عبارة عن غرفة، وتغطا هاتين

---

[1] G .H. BASSET et L. PROVENÇAL, Chella, une nécropole mérinide, Hespéris, 1-2 série, 1922, p 46.

[2] عثمان: محمد عبد الستار:"الإعلان بأحكام البنيان لابن رامي "، دراسة أثرية معمارية ، الإسكندرية ، 1988 ، ص 139 .

[3] لويس معلوف، المنجد في اللغة، بيروت ، 1976 ، ص 31 .

[4] هذا البروز تقليدا جاء من العمارة الرومانية والبزنطية والأندلسية،ثم تأثر به المرابطين وكذلك الموحدين الذين أطلقوا عليها اسم الأبراج البرانية. سالم: السيد عبدالعزيز،(العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها)،عالم الفكر،العدد الأول،المجلد 8،ابريل – مايو يونيو\1977م،ص129.

[5] غالب: عبدالرحيم: موسوعة العمارة الإسلامية ، بيروت ، 1988 ، ص 31

[6] الأعظمي، المرجع السابق،ص.306.

الغرفتين بقبوات نصف كروية انظر شكل (أ.2)،والشكل(ب.2)، وبالطبع يوجد ممشى للجند يربط بين هذه الأبراج[1].

إن هذه الأبراج بمختلف أنواعها لها عدة مهام دفاعية وهي: أنها تمثل مراكز حراسة ومراقبة متقدمة، حيث أنها تتيح للقائمين فوقها السيطرة على مساحة من الأرض خارج الأسوار، ويصبح في إمكانهم قتل كل من يصل إلى مرمى أسلحتهم، كما انه تستخدم لإرسال إشارات تحذير إلى باقي نقاط الحراسة بمختلف المراكز الدفاعية المقابلة[2]، كما انه هناك مهام للأبراج لها علاقة بالبروز الموجود بها، فعن طريقه يمكن للمدافعين التقدم قليلاً إلى أمام واجهة المبنى الذي يقع عليه البرج، وبذلك يمكنهم مراقبة المهاجمين وصدهم، لاسيما أولئك الذين يقتربون من قاعدة السور، حيث يكونوا في موضع يصعب معه مراقبتهم أو صدهم من فوق السور، ويصبحون بمنأى عن بصر ومقذوفات المدافعين، وبذلك فان الأبراج بحكم بروزها تعطي للمدافعين الرابضين فوقها موضعاً دفاعياً جيداً يتيح لهم مراقبة جميع أقسام السور والأرض المحيطة به[3].

وللأبراج أهمية غير تلك الدفاعية فهي تمثل دعامة للأسوار وتزيد من قوتها وثباتها وخاصة عندما تكون على مسافات متقاربة وعند أركانه، كما أن بناء الأبراج بدعاماتها يسهل على البنائين عملية بناء الأسوار بسرعة؛ وذلك بأن تتقاسم أكثر من مجموعة بناء المسافات المحددة بين برج وأخر . كما أن الأبراج بأشكالها، وتعددها، وتناسقها، وانتظام المسافات بينها على أسوار المدن أو القلاع أو الحصون تضفي طابع جمالي على المنشآت[4].

لقد أدرك المرينيون أهمية الأبراج الملحقة؛ لذا قاموا بتشييد عدد كبير منها، ومن هذا الأبراج ما كان على أسوار مدنهم، انظر الصورة (2) (3) ففي مدينة فاس الجديدة انتشرت الأبراج على أسوارها، وخاصة على سورها الداخلي[5]، وكذلك على أسوار مدينة المنصورة حيث بلغ عددها حوالي 80. برجا[6]، وأيضا على أسوار مدينة سلا ما يقرب من 20 برجا،انظر الصور (2) و (3)، أشهرها برج الدموع[7] على سورها الغربي، كما أن مدينة رندة تميزت بكثرة أبراجها، فهي التي قال فيها ابن مرزوق: "وفي بلدة رندة من أثار البناء المحدث عن أمره والمعاقل المحصنة والأبراج الشامخة"[8]. وكذلك من الأبراج ما كان مجانباً لمداخل المدن

---

[1] عبدالعزيز سالم،المرجع السابق،ص128.

[2] الأعظمي،المرجع السابق، ص 306.

[3] علي: فاروق محمد،"الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن والعمارة الإسلامية في العراق حتى نهاية العصر العباسي"،(رسالة دكتوراه غير منشورة،جامعة بغداد،2006م)،ورقة 136.

[4] الأعظمي، المرجع السابق ، ورقة .307

[5] عياش ،المصدر السابق،ص58.

[6] MARÇAIS (G ET W.), Les monuments Arabes de Tlemcen, Fontemoingk,Paris.1903.p204.

وكذلك انظر عياش،المرجع السابق، ص83.

[7] ويرجع سبب التسمية بهذا الاسم إلى أن السلطان يعقوب بن عبدالحق وقف به أثناء بنائه ،وتذكر دخول العدو إلى المدينة،فبكى وسالت دموعه ،وسمي بذلك برج الدموع.الناصري،المرجع السابق،ج2،ص 118،14.

[8] ابن مرزوق،المصدر السابق،ص268.

والقلاع والحصون ودور صناعة السفن انظر الصورة (4) و(5) و(6)، باعتبار أن المداخل من اضعف النقاط بالمنشآت ويلزم تقويتها.

اهتم المرينيون بدقة عمارة الأبراج، فلقد اهتموا بزخرفة الأبراج حتى يعطوها طابعا جماليا وأبهة ورهبة، ولقد حظيت أبراج المداخل بالنصيب الأكبر من ذلك باعتبارها تقع في واجهة المدينة، وتعتبر أبراج مداخل سلا وواجهتها الخارجية مثالا على ذلك انظر الشكل (3). كما حرص المرينيون على أن يماثل البرج الأيسر للمداخل في أسوار مدنهم التصميم المعماري للبرج الأيمن للمدخل في السور من الجهة المقابلة لنفس المدينة، ومثال على ذلك مدينة المنصورة بتلمسان، حيث يماثل البرج الأيسر للمدخل الشمالي البرج الأيمن للمدخل الجنوبي ولا ندرى ما سبب ذلك. وكذلك يجب أن ننوه إلى انه ثمة فروق بسيطة في أبراج المداخل المرينية من مدينة إلى مدينة،من ناحية عرض البرجين والمسافة بينهما، ففي مدينة سلا بلغ عرض البرج 5.10 متر، كما كانت المسافة بين البرجين تصل إلى 8.3 متر. كما أن برجا المدخل القبلي لدار صناعة سلا، تبلغ المسافة بينهما 12.64متر[1]، وإضافة لذلك حرص المرينيون على تزويد هذه الأبراج بتقنيات حربية، ومثال ذلك تزويد كل برج بباب يفتح داخل المدينة؛ كما في برجا دار صناعة سلا، حيث نجد البرج الأيمن له باب يفتح داخل المدينة صوب اليمين والبرج الأيسر يفتح صوب اليسار[2] انظر الشكل (4)، كما زودت الأبراج من الداخل بمنحدر عبارة عن ممر مظلم يوصل إلى أعلى السور حيث يوجد ممشى الجند[3]، وبالصعود فوق هاذين البرجين نجد حجرات للجند المدافعين والتي من خلالها يمكن إلقاء المقذوفات من مواد حارقة وسهام على من يحاول اقتحام المدينة،وكانت تبرز هذه الحجرات بشكل واضح في المخطط الذي أورده هنري تيراس (Henri Terasse) في دراسته للبابين بدار صناعة سلا بمجلة هسبيرس Hesperis، الصادر سنة 1922م[4] انظر الشكل (5).

كان للأبراج الملحقة المرينية عدة أشكال منها: المربع، والمستطيل، و المضلع، ولقد شاع عند المرينيين استخدام الشكل المربع على أركان الأسوار[5]، أما المستطيل فهو الذي كان يتوسط يتوسط الأسوار، أما النوع المضلع فهو شكل فريد من نوعه لانجده إلا في البرجان على مداخل مدينة سلا انظر الصورة (4)، والشكل (5). وهو طراز عُرفت به العمارة الرومانية والبيزنطية[6]، ورغم أن الأبراج المضَّلعة تعتبر أكثر جدوى دفاعيا من غيرها من الأبراج، لأنها لأنها تتيح للمدافعين إمكانية المراقبة في كل الزوايا مع حرية حركتهم[7]. إلا أن المرينيين اهتموا اهتموا ببناء الأبراج المربعة والمستطيلة، ونُرجح السبب في ذلك إلى صعوبة تشكيل وبناء الأبراج المضلعة، إضافة إلى أن بنائها يأخذ وقت طويل.

---

[1] H.BESSET et L.PROVENCAL, Op-Cit, P 52-58.

[2] H . TERRASSE, LES PORTES DE L ARSENAL DE SALE, Hespéris, 1-2 série, 1922, p 359-360.

[3] G et w.Marcais. Les monuments.p204.

[4] ص360.

[5] لوتورنو،المرجع السابق،ص37 ،39.عياش ،المرجع السابق،ص88.

[6] إن برجا سلا إما أن يكونا من عمل أيدي المرينيين، وهذا مستبعد لعدم إفصاح المصادر عن بنائهم لمثل هذه الأبراج ،أو أنهما من عمل الموحدين وهذا اقرب للصواب،لأن من الثابت عليهم التأثر بالعمارة الرومانية والبزينطية

[7] عبدالعزيز سالم،المرجع السابق،ص128.

وإضافة إلى الأبراج الملحقة شيد المرينيون نوعا أخر من الأبراج وهي الأبراج العائمة، وأخص بالذكر تلك التي بُنيت زمن السلطان أبا الحسن في وسط البحر قبالة مدينة سبتة وجبل الفتح، ولقد وصفها لنا ابن مرزوق بقوله: "ومن أعجب ما أنشأه في هذا النمط رضي الله عنه، الأبراج التي اجتمع أهل الخبرة بالمباني وعُرفاء العمارة قبل أن تنشأ ليتصور بناؤها على الوجه الذي قدره وأراده، فجاءت على أتم الوجوه والإحسان. فمنها برج الماء الذي أنشأه داخل البحر ووسط الأمواج ببحر بسول من ساحل سبتة، وقد حضرت إنشاءه" أما عن طريقة بنائه يقول: "وكان قد أجتمع الملأ على عدم إمكان بنائه هنالك، فنقلت الصخور التي هي كالروابي والأحجار التي لايتزحزح مثلها إلا بهندسة وأحكام وعجل. فألقيت في تلك التروش، وضم إليها أمثالها، حتى صارت جزيرة في وسط البحر، فأقام عليها ذلك البرج المشيد المعروف هناك. ثم أمر بعمل جسر يمر من الساحل إلى هذا البرج "وعن أهميته الحربية يقول: "صان ذلك البرج جميع المرسي، فلا يتهيأ لأحد من المراكب الدخول لذلك المرسى إلا أن يكون صديقا، وإلا فهو يشرف على جميع ما يدخل تحته، وهو من أعاجيب معمورات المعمور" ويذكر أبراج أخرى من نفس النوع في قوله: "ومنها الذي على المشحن أيضا من المدينة المذكورة، وآخران من هذا النمط بالجبل المحروس ـ يقصد جبل الفتح ـ"[1]، ومن المرجح أن هذا النوع من الأبراج كان يتم الصعود إليه عن طريق درج يدور بداخله إلى أعلى، وذلك على غرار ما كان عند الموحدين عند ببرج الذهب بأشبيلية زمن الخليفة أبو العلاء إدريس بن المنصور سنة 618 هـ\1221م[2].

واستكمالا للحديث عن الأبراج المرينية سوف نقدم وصفا معماريا لبعض أبراج المدن المرينية، ففي مدينة فاس يكون طول الأبراج المربعة 4,20 م، أما المستطيلة فيكون طولها 7 م، أما عن بروز النوعين من الأبراج عن السور فهو متساوي ويتراوح من 3.5 م إلى 4,20 م، ويبقى الارتفاع فهو كذلك متساوي ويتراوح من 5 م إلى 7 م.وفي مدينة المنصورة بتلمسان يصل طول الأبراج المربعة إلى 7م، أما المستطيلة فهي مساوي لأبراج مدينة فاس، وبروزها عن الحائط يتراوح من 3,5 م إلى 4 م، وارتفاع الأبراج المربعة أطول بكثير من الأبراج المستطيلة، فالأخيرة يصل ارتفاعها إلى 12 متر من قاعدة السور إلى أقصى ارتفاع لها، أي أنها تفوق السور بحوالي 2,5 متر تقريبا[3]. هذا من الخارج، أما من الداخل فنجد أغلب الأبراج مزودة بباب للحجرة السفلية ـ إن وجدت ـ توصل لاستراحة الجند بالبرج، ويفتح على داخل المدينة، في الوقت الذي لانجد مثل ذلك في مدينة سلا وهنين[4]، وكان هناك بين استراحة الجند والحجرة السفلية درج للصعود، والبعض الأخر لاتوجد به أثار درج، وربما كان يتم استعمال سلالم من الحبال للصعود[65].

---

[1] ابن مرزوق،المصدر السابق،ص398.
[2] عبدالعزيز سالم،المرجع السابق،ص167.
[3] عياش،المرجع السابق،ص58، 84.
[4] H.BESSET et L.PROVENCAL, Op-Cit, P 52-58.
[5] هذا ربما يدل على عدم الرغبة في توفير وسيلة صعود ،لكي يلتزم الجند بالثبات فوق الأبراج،ولا تستعمل السلالم إلا عند تغير الحرس أو مهام طارئة،كما انه يشير إلى صرامة التعامل مع من يتولى مهمة حراسة الأبراج.
[6] عياش،المرجع السابق،ص85.

المداخل:

تتكون المداخل من العناصر التالية وهى: فتحة المدخل وممر المدخل وباب المدخل، وتعتبر المداخل جزء مهم من أسوار المدن، فهي وسيلة الاتصال بين داخل وخارج المدينة، كما أنها مهمة حربيا للمهاجمين لها والمدافعين عليها، لأن كلا الطرفين يعتبرها نقطة ضعف، فالمهاجم يحاول إعداد العدة لاقتحامها،والمدافع يسعى إلى جعلها أكثر قوة وتحصين، لذا تنوعت المداخل على مر العصور والدول تماشيا مع تطور الفكر الحربي عبر التاريخ، فنجد مثلا المداخل مستقيمة المسار، والمنكسرة أو المزورة[1]، وينبغي الإشارة إلى أن هذا لم يكن حديث التصميم، فالمدن القديمة المصرية الفرعونية مثل مدينة شونة الزبيب التي ترجع إلى 1788 ق.م، والمدن العراقية مثل مدينة الوركاء التي ترجع إلى عهد الأسرات القديمة تميزت بهذا الطراز الدفاعي في تصميم المداخل[2]. ولزيادة حصانة المدخل يتم دعمها من الجانبيين ببرجين، إضافة إلى باب ضخم ومتين من الحديد أو الخشب ونلاحظ ذلك في مداخل المدن القديمة مثل المدخل الجنوبي لبوابة أور بمدينة الوركاء[3]. تناقلت الحضارات هذا التطور في تصميم وبناء المداخل حتى وصل إلى بلاد المغرب، وعملت به الدولة المرينية.

كان المرينيون بين مكثرا ومقلل من المداخل في أسوار مدنهم، وذلك حسب الضرورة الحربية، فمثلا في فاس الجديدة كان عدد مداخلها ثمانية، وفي المنصورة بتلمسان أربعة مداخل، وسلا ثلاث مداخل، ودار صناعتها مدخلان، والجزيرة الخضراء مدخل واحد. وقد كانت هذه المداخل في الغالب تتوزع بشكل متساوي على السور، فنجد مثلا بمدينة فاس أربعة منها في الجهة اليمني، ومثلها في اليسري، ونجد مداخل هذه الجهات تكاد تتقابل مع بعضها، فكل مدخل يكاد يقابله مدخل أخر في الجهة الأخرى من السور، أما في مدينة المنصورة بتلمسان، فرغم تعرج ممرات مداخلها، إلا أن أبوابها الأربعة تكاد تكون متقابلة مع بعضها البعض، فالشمالي يقابل الجنوبي والشرقي يقابل الغربي[4]، وذلك على غرار مدينة بغداد التي كان بها أربعة أبواب أبواب تفتح على جهات مختلفة[5].

فإضافة إلى اختلاف عدد المداخل المرينية من مدينة إلى أخرى، كذلك نجد اختلافا في مساحة هذه المداخل ولعل هذا يكون لضرورة حربية، فمثلا مدينة فاس الجديدة لها مداخل عرض واجهة الواحد منها 9 أمتار، وارتفاعه 8 أمتار، وعمقه 20 متر، أما مدينة المنصورة

---

[1] وهي التي ينصرف فيها الداخل يمينا ويسارا مرة أو عدة مرات، مما يساهم في عرقلة اندفاع المهاجمين، ومن مسمياتها كذلك الباشورة والمدخل المنكسر والمدخل ذو المرفق والمدخل ذو العطف كلها مسميات لنوع واحد من المداخل. انظر عثمان: مرفت،التحصينات القتالية وأدوات القتال في العصر الأيوبي بمصر والشام زمن الحروب الصليبية،ط1،دار العالم العربي، ،2010م،ص110.

[2] الأعظمي،المرجع السابق ، ص 294.العفاري: مجهول مسنسل:" مداخل الدور والقصور في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري". (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد 1987م). الورقات ط - ن.الموسوي،المرجع السابق،ص236.

[3] علي المرجع السابق،ص 20.

[4] محمود عبدالعزيز الأعرج،"المباني المرينية في أمارة تلمسان الزيانية دراسة فنية وأثرية ومعمارية"،(رسالة دكتوراه في الآثار،معهد الآثار،جامعة الجزائر،1990- 1991م)،ص175. السلاوي،المصدر السابق،ج4،ص105.

[5] سامح، المرجع السابق،ص58.

بتلمسان، فهي مزودة بمداخل يتراوح عرضها بين 11,70 متر و12,40 متر[1]. كما أن مدخلا دار صناعة سلا اللذان حسب قول هنري تيراس أنهما بنيا في سنة 668هـ\1269م[2]، فلقد كان احدهما مقابل لمنارة حسان، والأخر مفتوح في اتجاه القبلة، ويتشابهان في كونهما مقوسين، غير أن هناك اختلاف بينهما في الحجم، فالمدخل الذي في مواجهة القبلة ضخم ومنظره يوحي بالرهبة، وكثير الزخارف، وللأسف غمرت الأتربة جزء منه ولم يبقى ظاهرا للعيان سوى مسافة ارتفاعها 9.60 متر، ويصل عرضه إلى حوالي 8,88 متر انظر مخطط (6)، أما المدخل الثاني على الواجهة الغربية والذي تدخل منه السفن لدار الصناعة كان اصغر في الحجم، واقل اهتمام بزخرفته[3]. وربما سبب ذلك يرجع إلى أن الباب القبلي أكثر أهمية منه؛ لأنه في الواجهة ومنه تخرج السفن، ومن المرجح أن تضخيمه وزخرفته والمبالغة في أبهته إلا لهدف زرع الرهبة في قلب القادم إليه.

تميزت المداخل المرينية بنظام دفاعي قوي، وتمثل ذلك في غرف مسقوفة ومفتوحة بنيت جدرانها بالحجارة تشكل في مجموعها ممر المدخل، ولهذه الغرف مهام دفاعية، فالحجرات المسقوفة تشكل كل واحدة منها ممر شديدة الظلمة، وهذا يحول دون الاندفاع بسرعة لمن اقتحم المدخل وذلك لصعوبة الرؤيا، أما الغرف المفتوحة فتكمن مهامها الدفاعية، في أنها تمثل مقر لتمركز الجند المدافعين من فوقها، فعند مرور مقتحمي المداخل بهذه الغرف المفتوحة تنهال عليهم القذائف والنيران من فوقهم[4]، وإضافة إلى ما سبق فإن هذه الغرف في مجموعها تشكل منعطفات يمين ويسار، وهذا بالطبع يحد من اندفاع مقتحمي مدخل المدينة بسرعة وفي خط مستقيم،وتعتبر مداخل مدينة المنصورة بتلمسان وسلا دليلا على هذا النظام الدفاعي، وفي الوقت ذاته لانجد هذا في مدينة فاس الجديدة[5]، وربما يرجع ذلك لكونهما يقعان في أماكن ذات إستراتيجية حربية، وإضافة لما سبق نجد كذلك نظام دفاعي بالمداخل المدن يتمثل في فوهات ومرامي[6] يدافع من ورائها الجند[7]، كما انه تم تزويد المداخل بأبواب ضخمة تصنع من الخشب الخشب أو الحديد، وتعتبر أبواب حصن تاوريرت مثالا على الأبواب الحديدية[8]، ولكي تكون هذه الأبواب أكثر إحكاما تم تزويدها بمغاليق تسير على عجلات، وإضافة إلى هذه الأبواب

---

[1] عياش ،المرجع السابق،ص60 61.

[2] H . TERRASSE, Ebid, p 369.

[3].H . TERRASSE, Ebid, p 358-359.

الناصري،المصدر السابق،ج2،ص22

[4] عياش ،المرجع السابق،ص60 61.

G. MARÇAIS, L'Architecture Musulmane D'occident, Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne -
et Sicile, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1954.
P. CRESSIE, « La fortification islamique au Maroc Eléments de Bibliographie», Archéologie Islamique ,n°5, 1995, P 177-178.

[5] H.BESSET et L.PROVENCAL, Op-Cit, P53

وانظر كذلك عياش،المرجع السابق،ص88،

[6] الفوهات هي: فتحات لرمي السهام ،وتتكون من شقوق راسية ضيقة ،تكون ضيقة من الخارج وواسعة من الداخل وتكون منتشرة بالأسوار والأبراج،أما المرامي فهي فتحات بأعلى الأسوار والمداخل ،تستخدم لرمى المقذوفات من حجارة ومواد حارقة وسهام على الأعداء عند محاولتهم اقتحام أسوار وأبواب المدينة أو الحصن.مرفت عثمان،المرجع السابق،ص110، 111.

[7] الناصري،المرجع السابق،22.

[8] ابن زرع،القرطاس،ص385.

الرئيسية كانت هناك أبواب داخل المدينة تفصل بين الحي والأخر، تقفل في الليل، مما يجعل صعوبة المسير ليلا داخل المدينة، فهذا من المرجح كان لدواعي آمنيه مثل الاضطرابات الداخلية[1]، إضافة إلى حفظ أحياء المدينة من الخطر الخارجي الذي قد يتسلل إلى المدينة أو إلى حي من إحيائها.

شاع عند المرينيين إطلاق تسميات على مداخل منشآتهم، وذلك تماشيا مع ما كان موجودا في بلاد المغرب والأندلس؛ حيث يطلق على المدخل اسم قد يكون اسم المدينة أو المنطقة المفتوحة عليها[2]، فمثلا مدينة فاس الجديدة لمداخلها بالسور الداخلي أسماء مختلفة منها: باب عيون صنهاجة[3]، أو باب السمَّارين ـ كما كان يسمى في عصر ابن الخطيب ـ [4]، ومازالت تطلق عليه التسمية إلى وقتنا الحاضر انظر الصورة (6)، ومن أبوابها كذلك باب الوادي الذي كان يطلق عليه باب القنطرة؛ وذلك بناء على ما أورده صاحب روض النسرين عند ذكره لأعمال السلطان يعقوب بن عبدالحق في سنة 674 هـ\1275م بقوله: "ولما تم سورها ـ يقصد فاس الجديدة ـ بني بها قصره والجامع الأعظم، والسوق الذي حده من باب القنطرة التي يقال لها الآن باب الوادي المصاقبة لباب السبع إلى باب عيون صنهاجة"[5]. أما مداخل السور الخارجي تحمل تحمل تسميات مثل: باب الجياف أو الجياد وهو يقع شرق باب السمَّارين.وباب السبع، ويعرف حاليا بباب المكينة انظر الصورة (5)، وكان مدخل فاس الجديدة من جهة فاس العتيقة[6]، وباب الأمر انظر الصورة (7) الذي سمى بذلك لقربه من الثكنة العسكرية[7]. ومن المدن المرينية الأخرى التي حملت أبوابها أسماء مدينة المنصورة بتلمسان، فلقد ذكر لنا صاحب المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا الحسن[8]، أسماء ثلاث أبواب وهي باب الحجاز (الباب الشرقي)، وباب فاس (الباب الغربي)، وباب هنين (الباب الشمالي).ولم يذكر الباب الجنوبي ربما لعدم وجود شيء مهم يقابله سوى هضبة لالاستي[9] انظر صورة (8)، ونلاحظ تسمية الأبواب توافق ما يقابلها، أما بخصوص تسمية بابا دار صناعة سلا يقول الناصري: "ولم يبق من آثار دار الصناعة هذه مشاهدا بالعيان اليوم، سوى البابين الكبيرين الشاهقين ... ويعرفان في زمننا هذا ببابي المريسى"[10] انظر صور (6).ولاندرى هل كان يطلق عليهما نفس التسمية أيام المرينيين أما لا، أما عن مدينة سلا فكان لها من الأبواب ثلاث تسمى الباب الأثري الكبير انظر الصورة (4)، وباب عين أجنة، وباب البساتين، فبالنسبة للباب الأول فهو يفتح بالجهة

---

[1] لوتورنو،المرجع السابق،ص37 ،39،47.

[2] G.DEVERDUN et C .ALLAIN, Les portes anciennes de Marrakech, Hesperis, T XLIV ,1957 ,P 87,88 -

H. TERRASSE, « Une Porte Mérinide Fes Jdid », Annales de l'Institut d'Etudes - Orientales, T VI, 1947. 62.

سامح: كمال الدين،العمارة في صدر الإسلام،مطبعة جامعة القاهرة،1971م،ص58.

[3] ابن الأحمر، النسرين،ص29.

[4] ابن الخطيب،الإحاطة ،ج4،ص25.

[5] ابن الأحمر،المصدر السابق،ص29.

[6] المنوني،المرجع السابق،ص46.

[7] عياش،المرجع السابق،ص 60

[8] المصدر السابق،ص403.

[9] عياش،المرجع السابق،ص87.

[10] الناصري،المرجع السابق،ج2،ص21.

انظر كذلك H . TERRASSE, Ebid, p 358-357

الغربية لسور سلا مقابلا لباب زعير المفتوح في الأسوار الموحدية والمرابطية، وبني زمن السلطان أبا الحسن، ولقد أنهى بنائه سنة 739هـ\1339م[1]، أما الباب الثاني عين أجنة يقال انه انه سمى بذلك نسبة للجنة، غير انه من المرجح أن عين أجنة المعروفة بسلا والتي تسقى منها أجنتها هي سبب التسمية، والباب الأخير المسمى بالبساتين، فهو كان مفتوحا في الواجهة الغربية الشرقية من القسم السفلى من السور[2].

حرص المرينيون على إظهار مداخل مدنهم بمظهر جمالي؛ وذلك من عن طريق زخرفتها، وبالطبع هذا لم يكن نابع من الذوق الجمالي فحسب بل كذلك كان مبني على إستراتيجية حربية، فلاشك أن كل من يقف أمام المداخل المرينية، يصاب بحالة من الذهول والرهبة، لحسن تصميمها ودقة زخرفها، وما تحمله من آيات قرآنية، وكأنها تحذيرا لمن لايعرف بئسهم أثناء القتال، ولدينا أمثلة على هذا الاهتمام في مداخل مدينة فاس وسلا، ففي فاس اتسمت أشهر أبوابها وهو (باب السمَّارين، وباب السبع، وباب أجدال، وباب الأمر) بوجود عقدين متراكبين على الواجهة، الأول منهما منكسر، والثاني له فصوص مزدوجة دائرية الشكل ومتناوبة، والعقد الأخير يطلق عليه العقد الرخوي، وتعلو العقد مجموعة زخارف لمعينات متشابكة، وبعض المداخل تكون تحتوى على مجموعات زخارف على هيئة مثلثات متشابكة، تعلوها مجموعة زخارف[3] نباتية، كما أن أبواب دار صناعة سلا في احدهما ما يسر العين ويبهر الخاطر، ويوحي بالرهبة والعظمة من الزخارف بديعة الصنع والتدقيق، فالمدخل عبارة عن قوس تحيط به مجموعة عصابة مزخرفة ومزينة بالكتابة الكوفية ويملأ زواياه عن اليمين والشمال زخارف ونقوش تشبه أوراق الشجر، كما كتبت عليه من واجهته الشرقية في حاشيته العلوية عبارة الشهادة (لا اله إلا الله محمد رسول الله) وفي مركز قوسه من فوق اسم الجلالة (الله)، ولزيادة زخرفة كتبت عليه آيات قرآنية ينصب مضمونها في التحريض على الجهاد[4] وهي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.بسم الله الرحمن الرحيم،وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ اليمٍ ﴿10﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَبِأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿11﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿12﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿13﴾))[5]. كما أن أبواب سلا نفسها، لم تخل من الزخرف ويقول الناصري عن احدها: احدها: "هو آية في الفن وجمال المنظر، يمثل الشكل المعماري للأبواب المرينية، وبأعلاه عصابة نقش عليها الخط الكوفي الجميل[6]

المحارس والمناظر:

تعتبر من الاستحكامات الدفاعية، وتكون على مكان مرتفع مثل، قمم الجبال، أو المباني المرتفعة كالأبراج، والحصون بالمناطق الثغورية، حيث تمتد من أقصى ثغر إلى أدنى ثغر على

[1] H . TERRASSE, Ebid, p64.85.

[2] الناصري،المرجع السابق،ج2،ص121.
[3] عياش،المرجع السابق،ص62.
[4] الناصري،المرجع السابق،ج2،ص22.
[5] سورة الصَّف.الايات 13،10،11،12.
[6] الناصري،المرجع السابق،ج2،ص119.

حدود الدولة، وتُرفع عليها النار بالليل، والدخان بالنهار لتبليغ عن الخطر،ومن يقوم بمهمة المراقبة والترصد على المناور يسمى النظّار ـ ويبدوا أنها مشتقه من النظرـ ،ومهمتهم "لرؤية ما وراءهم وإيراء ما أمامهم"، وهذه المحارس، والمناظر قد تتشعب إلى المناطق الداخلية[1]

لم يغفل المرينيون هذه المنشآت، وفي هذا الشأن يقول ابن مرزوق أن السلطان أبا الحسن المريني: "أنشأ من المحارس، والمناظر ما لم يعهد بمثله في عصر من الإعصار، وحسبك أن من مدينة آسفي وهي آخر المعمور إلى بلاد الجزائر... محارس ومناظر إذا وقعت النيران في أعلاها تتصل في الليلة الواحدة أو في بعض ليلة، وذلك في مسافة تسير فيها القوافل نحوا من شهرين، وفي كل محرس منها رجال مرتبون نظار وطلاع يكشفون البحر فلا تظهر في البحر قطعة تقصد بلاد المسلمين إلا والتنبير يبدأ في المحارس يتحذر أهل كل ساحل من السواحل ساحلهم، فأمنت السواحل في أيامه السعيدة، ما كان يستمر فيها أسر أهل البوادى وتصبحهم، بالاستيلاء على كثير من أهل العهود الذين يأوون إلى البلاد الشطية والسواحل"[2].

فقد قاموا بإنشاء العديد من بالمحارس، والمناظر على المنطقة الممتدة بين طنجة وسبتة؛ وذلك لرصد خطر النصارى[3]، كما أنهم زودوا طنجة بعدة محارس منها تلك الموجودة بجبل المنارة، وأخرى بمرسى باب اليم[4]. أما بالنسبة لسبتة فلقد تميزت بكثرة محارسها "وعدد المحارس ثمانية عشر محرسا من المدينة إلى اثني عشر ميلا من خارجها من ناحيتي البحرين ـ يقصد البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي ـ ،وما وراء ذلك إلى بلاد الريف وإلى طنجة لم يدخل تحت هذا العدد منها الطالع الكبير الفد النظير:طالع سبتة الذي بأعلى جبل مينائها المعروف عند الناس بالناظور ...وبه قَلْهُرَّة [5] كبيرة، وبداخل القلهرة مسجد،... وهذا الطالع من أعجب الطلائع لكونه يكشف البرين ويشرف على العدوتين إلى بادس من بر الريف، وإلى طرف القسيس شرقا ومن مالقة، وإلى ما وراء طريف غربا إلى طرف شنيل من بر الأندلس،فلا يخفى عليه من الزقاق شيء ولكونه تحت أسوار وأبواب داخل المدينة وفي حكم أهلها إذا تقع فتنة أو يحصل حصار"[6]. كما استكثر المرينيون من المحارس، والمناظر بجبل الفتح وهذا ما نفهمه من ابن مرزوق عند قوله: "وقد أتخذ فيه ـ يقصد سور جبل الفتح ـ محارس ومساكن من البحر إلى البحر تأييد من الله ومعرفة منه". كما أقام محارس، ومناظر داخل البحر، ووضع بها عددا من النظار[7]. وفي بجاية أهتم السلطان أبا عنان بما كان بها من محارس ومنارات وخصوصا تلك المنارة والمحرس ببرج اللؤلؤة، وكان ذلك سنة 758هـ\1357م، وفي ذلك يقول النميري: "ولم يثن مولانا أبو عنان العنان حتى صعد برج اللؤلؤة الذي هو المنار المهتدى بنوره، ورباط الجهاد الذي كسر سورة الأعداء بسوره. ومقر المثاغرين الذين هجروا المهاد، ولازموا السهاد، وباتت أعينهم تكلا في سبيل الله، وانتظروا

---

[1] العمري،المصدر السابق،ج4،ص 261،260،259.
[2] ابن مرزوق،المصدر السابق،ص272.
[3] البارودي،المرجع السابق،ص318.
[4] البكري،المصدر السابق،ص105.
[5] قَلْهُرَّة وجمعها قَلْهُرَّات (بالأسبانية Calahorra) وهي الحصن أو قلعة أو برجهما.دوزي،المرجع السابق،ج8،ص373.كما أنها استخدمت كمخزن للمؤن،لتفادى الحصار والمجاعة،السبتي،المصدر السابق،ص32.
[6] السبتي،المصدر السابق،ص33،32.
[7] ابن مرزوق،المصدر السابق،ص266.

قدوم أجفان الكفار لاقتضاء حرب تؤذن بتقلص الشفاه، وعصب الأفواه، وخرور الأذمار للأيدي والجباه"[1].

المرامي أو الجلسات:

منها ما يخصص لتعلم الرماية ومنها ما يخصص للدفاع عن المدن، فمدينة سبتة مثلا كثرت بها هذه المرامي والجلسات، ووزعت على عدة أماكن مثل الميناء وبه تسع مرامي، ومنارة المدينة بها اثنا عشر مرمى، وستة عشر مرمى تلي هذه المنارة، وبقصبة المدينة عند رحبة الزجاج مرمى واحد وبالربض البرانى مرمي واحد، وبخندق القمل عند الباب الأحمر جلستان، وبداخل مدينة أفراك(التي تعتبر من نواحي سبتة) جلسة واحدة، وخارجها عند باب فاس جلستان، وكانت تلك المرامي والجلسات، تختلف بحسب القسي التي يرما بها فيها، ولكل مرمى مسافة معلومة هم اعلم بها، واغلب القسي التي استخدمت في هذه المرامي القوس العربية، وقوس العقار أو اللولب[2].

***

[1] المصدر السابق،ص267.
[2] السبتي،المصدر السابق،ص48،47.

ثالثا: مواد البناء وطرق استخدامها:

استخدم المرينيون العديد من مواد البناء والتحصين في بناء استحكامات منشآتهم؛ وذلك لإكسابها القوة والصلابة أمام الأسلحة القاذفة للعدو، كما حرصوا على أن يستخدموا مواد بناء تضفى على منشآتهم طابع جمالي، لذا استوجب الأمر دراسة هذه المواد، وطريقة استخدامها في البناء فيما يلي:

الطابية:

هي مادة بنائية شديدة الصلابة، تتحمل قذائف المجانيق، عرف البناء بها منذ أيام الدولة الفاطمية، حيث تيقنوا لمزاياها الدفاعية، فلقد أشار ابن حماد إلى بناء مدينة المنصورية بالطوابي زمن أبو العباس إسماعيل بن أبي القاسم الملقب بالمنصور، وكان ذلك في سنة 334هـ\945م تقريبا[1]، وكذلك عرف المرينيون مميزاتها واستخدموها في بناء منشآتهم الدفاعية مثل أسوار فاس الجديدة، وفي هذا يقول العمري: "والجديدة ـ يقصد فاس الجديدة ـ بسورين من الطين المفرغ بالقالب من التراب والرمل والكلس المضروب وهو أشد من الحجر، ولاتعمل فيه المجانيق ولاتؤثر فيه"،كما استخدموها في بناء مدينة المنصورة.

تتكون الطابية من مجموعة عناصر وهي الماء، والتراب (الطين)، والكلس ويضيف العمري عنصر أخر وهو الرمل[2]،حيث يتم خلط تلك العناصر مع بعضها البعض، ثم تُدَك جيدا بأداة تسمى المَرَاكِزِ حتى تزيد ليونتها وتتداخل أجزائها[3]، ويتم التحكم في قوة وصلابة الطابية بخلط العناصر السابقة بمقادير معينة، فمثلا خلط 50% من الطين (الحمرى)[4] و 25% من الكلس و 25% من الرمل يعطى مادة بنائية مركزة وقوية، وهي التي تستخدم في بناء الأجزاء العليا للسور؛ وذلك لان هذه الأجزاء أكثر تعرضا لقذائف المجانيق، وأما إذا نقصت النسب المذكورة للعناصر لكان الناتج مادة بنائية أقل جودة من الأولى، وهذه تستخدم في الغالب في بناء الطبقة السفلى للسور[5]؛ لأنها أقل عرضة لقذائف المجانيق المدمرة.

تسمى طريقة البناء بالطابية، بطريقة الطين المفروغ بالقالب[6]، أو طريقة البناء بالتراب، والمقصود من كلاهما واحد، وتتم طريقة البناء بأن يقوم الطوَّابَ ـ صاحب هذه المهنة ـ بجلب خليط الطابية، ويجلب لوحان ذا طول وعرض معين[87]، ويتم ربط اللوحان بأذرع خشب وحبال، لكي تتحمل الركز أو الدك دون أن تنفتح وتتسرب منها الطابية، ومن بعد يتم سد

---

[1] أبي عبدالله محمد بن علي بن حماد، أخبار ملوك بن عبيد وسيرتهم، تحقيق تهامب النقرة وعبدالحليم عويسي، دارالصحوة، ،القاهرة، 1401هـ، ص61.

[2] العمري،المصدر السابق،ج4،ص112.

[3] ابن خلدون،ج1،ص511.

[4] سمي بذلك ربما لأن لونه أحمر لتركيبة عناصره الخاصة.

[5] فنان: عبدالقادر،أسوار فاس حاجز أم أصالة،مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة سيدي محمد بن عبدالله، فاس،ع 1985،1م،ص98 ،99.

[6] العمري،المصدر السابق،ج4،ص112.

[7] قد يصل الطول من 5 متر إلى 7 متر كما كان يستخدم عند بناء أسوار مدينة فاس الجديدة ،أما العرض ففي الغالب متوافقا مع عرض الأساس،ففي مدينة فاس وصل ما يقارب المترين،أما مدينة المنصورة بتلمسان فيتراوح بين 1.50 متر إلى 1.60متر وتدريجيا كلما ارتفعنا إلى أعلى السور تتناقص المسافةعياش،المرجع السابق،ص 94.

[8] ابن خلدون،العبر،ج1،ص511. 512.

الجهتين للوحين عن اليمين والشمال بلوحين يتناسبا مع الفتحتين، ثم توضع اللوحتان على أساس السور، وبالتدريج توضع في كل مرة كمية من خلطة الطابية بين الألواح، وتدك حتى تلين وتتداخل أجزائها هذه الخطوة تساهم كثيرا في ظهور السور أكثر صلابة وتماسك، وعندما يمتلئ الفراغ بين اللوحتين تسحب الألواح، فيتكون سطر متماسك، وتكرر نفس الخطوات حتى يكتمل بناء، وبإنجاز كمية كبيرة من السطور من الطابية يكتمل السور، ويتكون حائط سميك وقوي[1].

الحجر:

ينقسم من حيث التركيب إلى نوعين هما: كتل صخرية نارية تنتج عن البراكين، وكتل صخرية رسوبية تنتج عن ترسب الحجارة الرسوبية والرملية مع بعضها، وكلا النوعين معروف بصلابته، فهي موجودة في الطبيعة على شكل كتل، ولكي يتم البناء بها يتم تقطعيها إلى قطع صغيرة بآلات خاصة[2].

كما انه يمكن تقسيم الحجارة من حيث الشكل إلى نوعين، النوع الأول ذكره لنا أبن خلدون عند تناوله لصنعة البناو[3]هي الحجارة المُذَجَدَةِ، أي المُزينة[4]، ونعتقد المقصود هنا بالزينة هو هو تلك الحجارة التي تقطع وتنحت حتى يهذب شكلها، بحيث يصنع منها قوالب تساعد في البناء، ومن هنا يمكن أن نخرج بنوع ثاني وهي الحجارة غير المُذَجَدَةِ، أي غير المهذبة، وبالتالي نرجح أن النوع الأول اقل استعمالا حربيا في تحصين أسوار المدن لما يأخذه نحته وتزيينه من وقت؛ ومع هذا استخدمه المرينيون في منشآتهم الحربية وذلك في بعض الأبراج، وأرضيات بعض المباني استنادا لقول ابن الوزان عند حديثه عن فاس الجديدة: "والدور مبنية بالآجر والحجر المنحوت بدقة"[5]. أما النوع غير المنجد أو غير المنحوت فهو ما شاع استعماله في بناء المنشآت المرينية[6]. وعلى العموم فإن البناء بالحجارة هو الشائع في الفترة المرينية وخاصة في باقي المنشآت المعمارية غير الأسوار، وهذا ما يقوله العمري عند حديثه عن مدينة فاس العتيقة "وجميع أبنيتها من الحجر"[7].

أما بالنسبة لطريقة البناء به فعند حديثه عن صنعة البناء يقول ابن خلدون: "ويؤسس جدرانها بالحجارة ويلحم بينها بالكلس"، وفي موضع أخر "البناء بالحجارة المنجدة ... يقام بها الجدران ملصقا بعضها إلى بعض بالطين والكلس الذي يعقد معها ويلتحم كأنها جسم واحد"[8]، ونفهم من ذلك أن الحجارة تراصاف مع بعضها، وتلحم بالطين والكلس، ويكون ذلك طولا وارتفاعا.ولنا أن نتخيل طريقة بناء سور مدينة فاس العتيقة الذي قال العمري إنه بني بالحجارة[9]، فبعد حفر

---

[1] ابن خلدون،العبر،ج1،ص511. 512.
[2] عاصم محمد رزق،معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية،القاهرة،مكتبة مذبولي،2000م،ص74.
[3] ابن خلدون،العبر،ج1،ص511.
[4] لسان العرب،مادة نجد.
[5] الوزان،المصدر السابق،ج2،ص 222.وانظر كذلك عياش،المصدر السابق،ورقة 96.
[6] حركات،(العمران)،المرجع السابق ،ص41.
[7] العمري،المصدر السابق،ج4،ص112.
[8] ابن خلدون،العبر،ج1،ص510. 511.
[9] العمري،المصدر السابق،ج4،ص112.

الأساس، يتم ردمه بالحجارة، والتي لانعتقد أن يكون هناك اهتمام بشكلها؛لأنها ستكون تحت الأرض، ومن بعد يتم وضع طبقة من المادة اللاحمة (الطين والكلس)، وترصف الحجارة التي قُطعت إلى قطع صغيرة عليها بعرض الأساس، وبطول تتحكم فيه كثرة وسرعة البنائيين،وتستمر هذا الخطوات حتى يتم الارتفاع بالسور بهذه الطبقات، ونلاحظ هنا أن السور يصبح يتناقص في سمكه كلما ارتفع إلى أعلى. وهكذا يتم انجاز السور ومن المرجح أن سور فاس العتيقة بني بهذه الطريقة.

الآجر[1]:

مصطلح فارسي معرب يعنى الطين المستحجر[2]، ولقد ذكر ابن خلدون أن الآجر من ضمن المواد المستخدمة في بناء الجدران، مثله مثل الطابية والحجر[3]. ولقد استخدم منذ القدم في البناء البناء ابتداء من حضارة بلاد الرافدين، والرومان ،ثم انتقلت إلى المسلمون،حيث نجد الأمويون بنو به جدران أبنيتهم، والعباسيون استخدموه في بناء مساجدهم، واستمر استخدام الأجر في عهد الدولة والطولونية، والفاطمية، والأيوبيين، والمماليك ثم انتقل إلى المغرب، والأندلس في مدن الأغالبة، وقلعة بني حماد، والجامع الكبير بتلمسان، ومئذنة جامع اشبيلية، ومساجد المرابطين والموحدين[4]، واستمر ذلك إلى العهد المريني حيث بنيت أغلب منشآت فاس العتيقة به.

يتم صنع الآجر بأن يؤخذ الطين ـ الذي تتوفر فيه عناصر من الأكاسيد كالكلسيوم، والمغنزيوم[5] ـ من الطبيعة، ويطبخ في إناء وعلى موقد مخصص لذلك[6]، وأثناء طبخ الطين يضاف إليه كمية من الرمل الذي يضفى عليه خاصية الصلابة، والمقاومة، واللمعان، وبعد طبخ هذه المواد تترك لتبرد؛ ومن بعد تخلط بالأرجل جيدا، وتبدأ عملية تشكيلها في قوالب خاصة بذلك، تختلف في أحجامها من مكان إلى أخر، ومن فترة إلى أخره، ثم تترك هذه القوالب في الهواء لتجف،والخطوة الأخير تكون بوضع القوالب في الفرن لحرقها ـ لإضافة خصائص بنائية أخر عليها ــ ، وهكذا تصبح جاهزة لاستخدامها في البناء، وتشكل منها صفوف البناء، ولقد لقيت هذه الصناعة اهتماما وذلك بغرض تطويرها، فلقد كانت توضع شروط ومواصفات لضمان جودة الآجر، كما انه اشترط أن تكون مصانعه خارج المدن، للسلامة من ضرر الدخان والأبخرة المتطايرة من صنعتها[7].

---

[1] يطلق البعض على الآجر أسم اللبن،(انظر عياش،ص97،وعلى ما يبدوا انه هناك خلط،ودليلنا على ذلك قول ابن المطرز عند تعريفه للرهص:" والرهص بالكسر العرق الأسفل من الحائط وقيل الطين الذي يجعل بعضه على بعض وهو المراد في قوله من اللبن والأجر"،فبهذا هو فرق بين التسميتين، أبو الفتح ناصر الدين بن عبدالسيد بن على ،المغرب في ترتيب المعرب،تحقيق:محمود فاخوري وعبدالحميد مختار،ط1،مكتبة أسامة بن زيد ،حلب،،ج1،ص355.

[2] ابن المطرز،المصدر السابق،ص30،25،.

[3] ابن خلدون،العبر،ج1،ص510.

[4] عياش،المرجع السابق،ورقة 98.

[5] من المرجح انه يتم معرفة احتواء الطين على هذه العناصر من عدمه من خلال ألونه،فمن المؤكد أن الطين المحتوى على هذه العناصر له لون خاص يعرف به.

[6] ابن المطرز،المصدر السابق،ص30،25،.

[7] عياش،المرجع السابق،ص 97.

أما بالنسبة لطريقة البناء بالآجر فهي تشبه تماما البناء بالحجارة حيث يعمل منه صفوف متراصة، وتلحم قطعه بمادة لاحمة من الطين والكلس[1]، غير أن الشكل المنتظم للآجر يجعل من السهل أن يبنا به جدران بطرق مختلفة، وذلك حسب البناء المعماري المراد بنائه، ولقد كانت مدينة فاس خير دليل على ذلك، فلقد استخدم في بنائها عدة طرق للبناء بالآجر ومنها: طريقة الصفوف المنتظمة انظر الشكل (7)، حيث يتم تشكيل صفوف أفقية من الآجر ويوضع فوقها المادة اللاحمة من الطين والكلس، وهكذا تعاد الخطوة السابقة حتى يكتمل الجدار،ولقد استخدم هذا النوع في بناء الأعمدة والمداخل، وبعض أجزاء السور، وهناك كذلك طريقة الصفوف المتناوبة انظر الشكل (8) وفيها يستخدم أكثر من مادة بنائية، حيث يتم عمل صف أفقي من الحجارة يربط بمادة لاحمة، ثم يوضع فوقه صف أفقي من الآجر ويربط كذلك بمادة لاحمة، ثم يعمل صفا من الطابية، وهكذا حتى يكتمل السور، ولقد استخدمت هذه الطريقة في بناء أجزاء من السور الشرقي لفاس، وبعض الأبراج، ثم نجد طريقة الصفوف المائلة (السنبلية) انظر الشكل(9)، وهي تتطلب مهارة عالية في بنائها، وهي تقوم على أساس أن يشكل من الآجر صفوف مائلة إلى اليمين واليسار، بميول تقريبا من 45- 50 درجة، ولقد بنيت أجزاء من سور فاس الجديد بهذه الطريقة. وأخيرا طريقة الصفوف المائلة، وهي تستخدم في بناء القباب مثل تلك الموجودة بقباب الأبراج بفاس بالمنصورة بتلمسان وسلا، كما استخدمت في بناء العقود على المداخل، مثل مداخل فاس الجديدة عند مدخل باب السمَّارين والسبع والأمر، ومن ولانستبعد أن بنائها يتطلب مهارة كبيرة[2]. انظر الشكل(10) والشكل (11) والشكل (12).

الزلَّيج:

بتشديد اللام، مأخوذة من Azulejo اللفظة الأسبانية، وهى مركبة من Azul، وهي تحريف للكلمة العربية الفارسية (لازورد)، وتعنى زليج[3]، ويقول عنه العمري انه الزليخ وهو: "نوع من من الآجر كالقاشاني". يستخدم ككساء للجدران، وبلاط للأرضيات، ويعتبر النوع المزهري من أكثر الأنواع استخداما في تبليط الأرضيات[4]. ويصنع تقريبا من نفس المواد التي يصنع منها الآجر، كما أن طريقة تشكيله فهي كذلك تتم في قوالب خاصة، اصغر حجما من تلك المخصص للآجر، كما انه يمر بعد تشكيله إلى عملية التجفيف في الهواء، ومن بعد الحرق، ومن بعد يدخل في مرحلة التلوين بألوان خاصة والتي خصوصيتها تأتى من تحملها للعوامل التي قد تتلفها أو تزيلها. ولقد تنوع الزلَّيج من حيث الحجم فنجد منه الصغير والكبير بحسب المكان الذي سيتم تزيينه به، كما انه تنوع من حيث الألوان فنجد المزخرف، ونجد ما يحتوى على لون واحد، وكلاهما استخدم في تزيين المداخل، وعقودها، ويعد باب الأمر بفاس شاهدا على ذلك.وأهم الألوان التي استخدمها المرينيون في صناعة الزلَّيج الأخضر، والأبيض، والبني المائل للسواد، والأصفر المائل للحمرة، والأزرق القاتم منه والفاتح ونلاحظ ذلك في أبواب فاس الجديدة[5].

---

[1] ابن خلدون،ج1،ص510.
[2] عياش،المرجع السابق،ص100،99.
[3] دوزي،المرجع السابق،ج5،ص345 ،346
[4] العمري،المصدر نفسه،ج4،ص113.
[5] العمري،المصدر السابق،ج4،ص113.عياش،المرجع السابق،ص101.

الملاط:

وهو المادة اللاحمة التي تستخدم لتجعل الحجارة تتماسك في البناء[1]، وتتمثل في الطين والكلس، يقول ابن خلدون: "ويؤسس جدرانها بالحجارة ويلحم بينها بالكلس"، وفي موضع أخر"فمنها البناء بالحجارة المنجدة أو بالآجر يقام بها الجدران ملصقا بعضها إلى بعض بالطين والكلس"[2]. وهناك من الملاط كذلك ما هو خليط من الجبس والجير اللذان يستخرجان من الطبيعة على شكل كتل حجرية، ومنه ما يكون خليط من الخشب (ربما المقصود نشارة الخشب) والرمل البحري أو النهري[3]. ولقد استخدم المرينيون أنواع الملاط السابقة في تحصين منشآتهم.

الجَصّ أو الجَصّ:

لفظة معربة تعنى ما يطلا به الحائط[4]، وهو يتكون من الماء والكلس، والأخير يجلب من مقالع له في الطبيعة ويوجد بها على هيئة كتل. يتم تفتيت الكلس، ثم يحرق ويطحن، ويغربل ليتم صناعة الطلاء منه[5]، وابن خلدون في مقدمته يبين طريقة صناعته بقوله: "ومن صنائع البناء أيضا أن تجلل الحيطان بالكلس بعد أن يحل بالماء ويخمر أسبوعا أو أسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه"واستخدم الجَصّ في عدة أغراض منها طلاء الجدران، والتزيين،وذلك بأن تحدد الزخارف والأشكال المجسمة المراد صنعها عن طريق قالب يوضع على الحائط، ثم يبدأ الفنان بحفر المساحات الخارجية عن إطار الزخرفة أو المجسم بواسطة مثقاب حديد، واستخدم كذلك في السقف بأن يوضع فوق خشب السقف لسد الفجوات[6].

استخدم المرينيون الجَصّ في عدة مواضع من منشآتهم بغرض تغطية الفجوات بين الحجارة في السور، إضافة إلى التزيين والزخرف، وكان ذلك واضحا في الباب القبلي لدار صناعة سلا.

الخشب:

يجلب الخشب من الغابات بعد قطعها،ثم يتم تجفيفها في مخازن خاصة، ثم يقطع إلى قطع حسب الغرض الذي سيستخدم فيه[7]. ولقد كثرت مصادر الأخشاب ببلاد المغرب مثل غابة المعمورة بالقرب من سلا[8]، وجبل درن، وجبل نكّور، وجبال فازار، وبادس، وأودية وجبال بجاية، وبنى يازغة وهي السلسلة التي تبعد تقريبا ثلاثين ميلا عن مدينة فاس، وجبل بني بهلول

[1] دوزي،المرجع السابق،ج10،ص108.
[2] ابن خلدون،ج1،ص511،510.
[3] عياش،المرجع السابق،ورقة 102
[4] لسان العرب،مادة جصص.
[5] عياش،المرجع السابق،ص103.
[6] ابن خلدون،العبر،ج1،ص112،512.
[7] عاصم،المرجع السابق،ص129.
[8] النميري،المصدر السابق،ص201.

جنوب فاس. أما أشهر أنواع الأخشاب المتوفرة هي الصنوبر والأرز والبلوط،والتي عرفت بأنه تعمر لفترة طويلة لو لم تتعرض للماء[1]،وهي تكثر بغابات بلاد المغرب انظر الصورة (9).

استخدم المرينيون الخشب في العديد من الصناعات، منها صناعة الأسقف، والقباب، والأعمدة والمساند، والأبواب، والشبابيك ومازال باب السمَّارين بفاس شاهدا على ذلك[2].

الحديد:

استخدم المرينيون الحديد في منشآتهم بشكل ملحوظ، حيث دخل في صناعة الأبواب والمغالق كما انه صنعت منه المسامير، اللازمة لربط ألوح الأبواب الخشبية، كم صنعت منه أدوات نحت الحجارة، وزخرفة الجَصّ.

ولقد كانت هناك طرق متعددة لصنع الأدوات البنائية من الحديد، ويكون ذلك بعد صهره وتنقيته من الشوائب وصبه في قوالب من الخشب أو الرمل أو المعدن، ومن بعد يتم طرقه بأدوات مخصصة لذلك، وتشكيله، كما انه كانت هناك أدوات لزخرفته[3].

لقد أسهم كل ذلك في تعدد الصناع وانتشار محالهم في المدن المرينية، مثل مدينة فاس، فلقد ذكر لنا ابن الوزان أن صناعة المسامير وحدها كانت لها صناع متخصصين لايقومون إلا بها، كما أن لبرد الأدوات الحديدية حرفيين متخصصين.[4].

***

[1] الحميري، المصدر السابق،ص435،577،576،235. الإدريسي، المصدر السابق، مج1،ص260.الوزان، المرجع السابق، ج1، ص326، ابن منكلى، المصدر السابق، ورقة37.الجزنائى، المصدر السابق، ص35.
[2] عياش،المرجع السابق،ص 106.
[3] نفس المرجع،ص 107،106.
[4] الوزان،المصدر السابق،ج1،ص244.

الخاتمة

حاول الباحث من خلال هذا البحث دراسة النظم الحربية للدولة المرينية، ولقد تبين له من الدراسة عدة نقاط أبرزها:

1. أن حروب المرينيين ضد الدول المجاورة والجبهات المعارضة ساهمت في بناء وتطورها النظم الحربية للدولة المرينية.والذي كان بدايته زرع روح المثابرة في نفوس سلاطين الدولة المرينية وتحفيزهم على ذلك، إضافة إلى اكتساب عناصر مقاتلة، وتطور التكتيكات الحربية،وفن الحصار، والحصول على العديد من القواعد البحرية ودور الصناعة.
2. استفادت المرينيون من الفنون الحربية للعديد من العناصر المقاتلة كالقبائل المغربية والقبائل العربية التي عرفت بإجادتها ركوب الخيل والرماية بالرمح والقوس،ومعرفتها لأسلوب الكر والفر في ميادين القتال.والعناصر النصرانية التي ساهمت في استخدام المرينيون لأسلوب القتال القائم على الثبات في القتال عند الزحف.
3. قيام المرينيون بإدخال العديد من العناصر ذات مهام غير القتالية داخل جيوشهم مثل الفعَّلة المتخصصين في نقل الأسلحة والآلات الثقيلة وتمهيد الطرق، وزرع المثلثات.كما استحدث المرينيون وظيفة الأمناء داخل جيوشهم،والتي لا نكاد نجد لها ذكر عند سابقيهم من المرابطين والموحدين.
4. الاهتمام بقيادة الجيش،وتصنيفها إلى عدة أقسام حسب المهام.
5. أن الساقة أو المؤخرة داخل الجيش زمن المرينيين لم يعرف لها شكل معين ،فلقد تميزت باختلاف حجمها من سلطان إلى أخر.
6. تعدد الميادين المستخدمة لتدريب وعرض الجيش بأغلب نواحي المدن المرينية،والتي تعكس الاهتمام المريني بالجانب الحربي.
7. إبداع المرينيون في مجال التكتيكات الحربية كتنوع الخطط الحربية.وتطوير خطط الكمائن التي جاءت مصاحبة لدخولهم للأندلس؛ حتى تتماشى مع طبيعة الأرض الجديدة ومقاتليها.
8. تأسيس المرينيون لعدة نظم إدارية داخل الجيش كإنشاء ديوان الجيش الذي كان مسئول عن رواتب الجند وعطائهم،والتكفل بالصرف على اسر الجند المحتاجة.
9. تنوع الأسلحة المرينية وتعدد مصادر الحصول عليها.
10. استخدام المرينيون لقوس الزيار التي لم تستخدم في بلاد المغرب قبل عهد المرينيين، ومدافع كرات الحديد التي تعد من أهم ما جادت به العقلية الحربية المرينية في صناعة الأسلحة الثقيلة، والتي يمكن اعتبارها البداية لظهور الأسلحة النارية ببلاد المغرب.
11. تنوع زى الجند المريني،والذي كان خليط من أشياء مغربية،وأخرى تم اقتباسها من جيرانهم كالمماليك والأندلسيين.
12. بنائهم للعديد من القواعد البحرية ودور الصناعة كدار صناعة سلا ورباط الفتح.
13. تطويرهم للعديد من دور الصناعة بحيث أصبح يصنع فيها العديد من القطع البحرية التي كان يتم استيرادها كالغراب والشيطى والشيلر.
14. تنوع السفن المرينية بحيث كانت ملائمة لمختلف الأغراض الحربية
15. تنوع الأسلحة والعدة البحرية للاسطول المريني كاللجام أو الفأس،والكلاليب، والحبال والمجاديف والأشرعة.

16. قيادة الأسطول المريني كان يتم اختيارها وفق معايير الكفاءة والخبرة، حيث تبين أن اغلب من تولوا هذا المنصب كانوا من اسر تجيد فن ركوب البحر.
17. الاهتمام بفن القتال البحري.
18. ترميم وبناء المنشآت الحربية في مختلف أنحاء دولتهم سواء على السواحل أو المناطق الداخلية.
19. تنوع الوظائف الحربية للمدن المرينية،فمنها ما اشتمل على محطة حربية لاستراحة الجند وتموينها بما يلزم،والبعض تم تأسيسها من اجل مراقبة المدن التي قد تظهر بها ثورات،والبعض الأخر تم بنائها لاحتوائها على مواقع مهمة مثل دور الصناعة،وهناك مدن أنشئت بمناطق ثغورية أو حدودية استخدمت لشن الغارات على الدول المجاورة،وأخري أنشئها المرينيون بهدف حصار مدن الأعداء أو من اجل مراقبة سواحل الدولة للحيلولة دون رسوا سفن الأعداء بها.
20. الاهتمام ببناء العديد من التحصينات أو الاستحكامات على مدنهم وباقي منشآتهم من اجل حمايتها مثل الأسوار والأبراج والمداخل.
21. بنائهم للأبراج العائمة فوق الماء.
22. حرصهم على الرقى بالجانب الجمالي للمنشآت الدفاعية واستحكاماتها.

وفي النهاية يمكن الإشارة لبعض القضايا التي ربما تكون مستقبلا موضوع دراسة منها موقع الدولة المرينية وأثرها في قوتهم الحربية، والأوضاع الاقتصادية ومدى تأثيرها في الجانب الحربي للدولة المرينية.

خريطة توضح القواعد البحرية ودور الصناعة والمنشآت الحربية المرينية

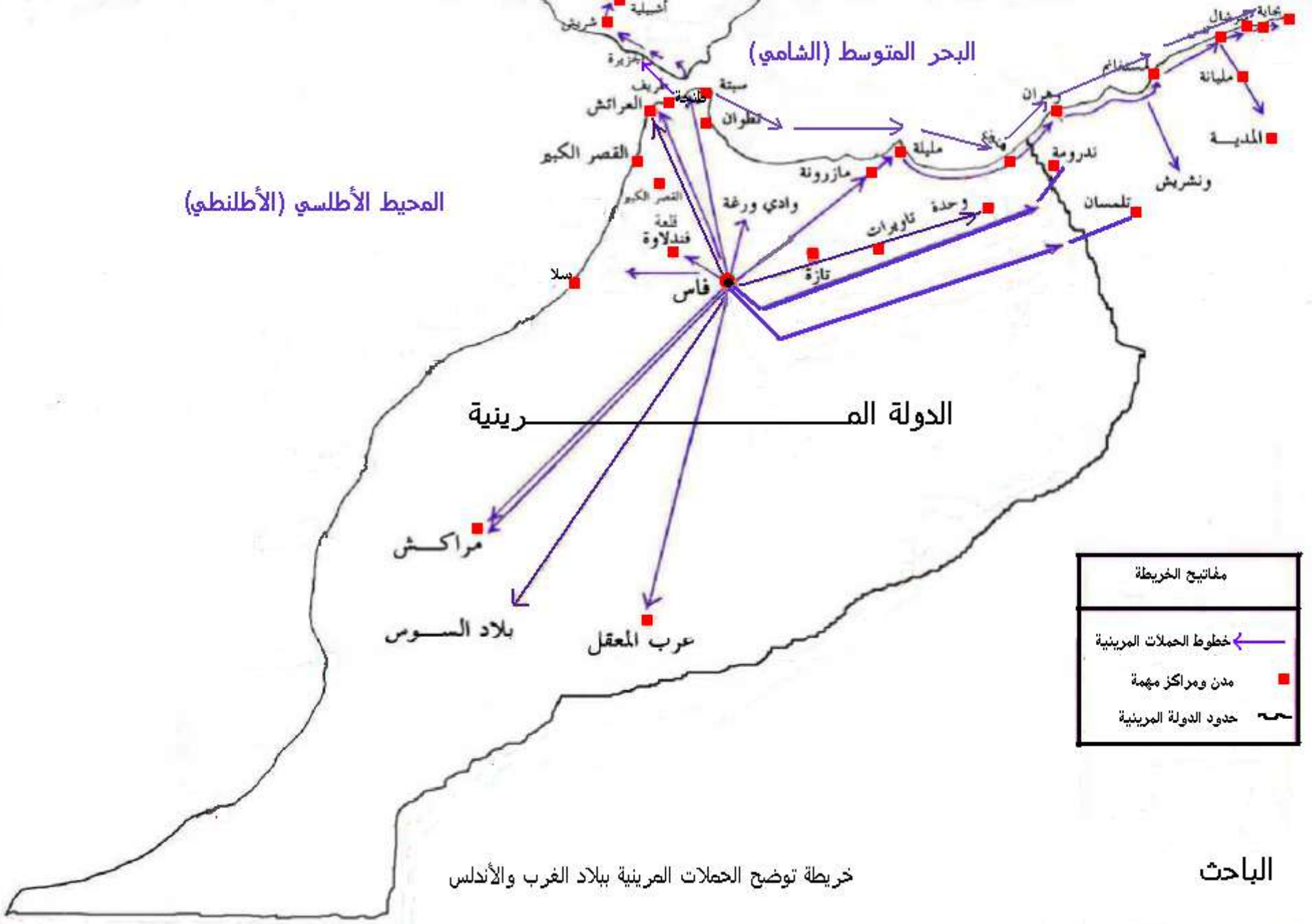

خريطة توضح الحملات المرينية ببلاد الغرب والأندلس

الباحث

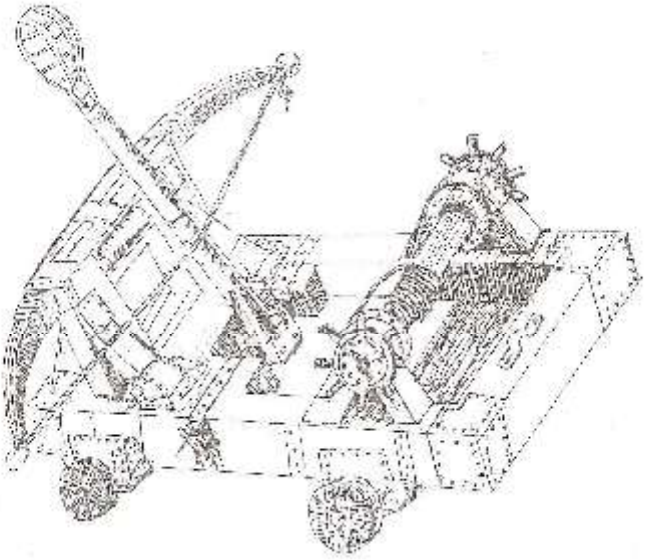

الشكل 6 تصور لقوس الزيار نقلا عن الأعرج

جدول سلاطين الدولة المرينية

عبدالحق بن محيو بن حمامة المريني	592 614هـ\1195 1217م
أبو سعيد عثمان بن عبدالحق بن محيو	614 637هـ\1217 1240م
محمد الأول بن عبدالحق بن محيو	637 642هـ\1240 1245م
أبو يحيى أبوبكر بن عبدالحق	642 656هـ\1245 1258م
أبو حفص عمر بن أبي يحيى بن عبد الحق	656هـ\1258م
يعقوب بن عبدالحق المريني	656 685هـ\1258 1286م
يوسف بن يعقوب بن عبدالحق	685 706هـ\1286 1306م
أبو ثابت عامر بن عبدالله بن يوسف	706 708هـ\1306 1308م
أبو ربيع سليمان بن عبدالله بن يوسف	708 710هـ\1308 1310م
عثمان بن يعقوب بن عبدالحق	710 731هـ\1310 1331م
أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبدالحق	731 749هـ\1331 1348م
أبو عنان فارس بن أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب	749 759هـ\1348 1358م
أبو زيان محمد بن أبي عنان بن أبي الحسن	759هـ\1358م
السعيد بن أبي عنان بن أبي الحسن	759 760هـ\1358 1359م
أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن علي	760 762هـ\1359 1361م
تاشفين (الموسوس) بن أبي الحسن علي بن عثمان	762 763هـ\1361 1362م
أبو زيان محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن	763 767هـ\1362 1365م
عبد العزيز بن أبي الحسن علي بن عثمان	767 774هـ\1365 1372م
محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن علي	774 776هـ\1372 1374م
أبو العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن 1	776- 786هـ\1374 1384م

موسى بن أبي عنان بن أبي الحسن	786 788هـ\1384 1386م
محمد بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم	788هـ\1386م
الواثق بالله محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن	788 789هـ\1386 1387م
أبو العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن 2	789 796هـ\1387 1397م
المستنصر بالله عبد العزيز بن أحمد بن أبي سالم	796 799هـ\1394 1397م
المستنصر بالله عبد الله بن احمد بن أبي سالم	799 800هـ\1397 1398م
أبا سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم	800 823هـ\1398 1420م
عبد الحق بن أبي سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد	823 869هـ\1420 1465م

جدول ملوك مملكة غرناطة زمن الدولة المرينية

محمد بن يوسف بن محمد بن الأحمر	629 671هـ\1232 1272م
محمد الثاني (الفقيه) بن محمد بن يوسف بن الأحمر	671 701هـ\1272 1301م
محمد الثالث (المخلوع) بن محمد بن الأحمر	701 708هـ\1301 1308م
أبو الجيوش نصر بن محمد بن الأحمر	708 713هـ\1308 1313م
أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري	713 725هـ\1313 1324م
محمد (الرابع) بن إسماعيل بن فرج النصري	725 733هـ\1324 1333م
أبو الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل	733 755هـ\1333 1354م
الغني بالله محمد بن يوسف بن الأحمر	755 760هـ\1354 1359م
أبو الحجاج يوسف (الثاني) بن الغني بالله محمد	793 795هـ\1391 1393م
الغني بالله محمد بن يوسف الثاني	795 810هـ\1393 1408م
يوسف الثالث بن يوسف الثاني بن محمد	810 820هـ\1408 1417م
أبو عبد الله محمد بن يوسف الثالث الملقب بالأسير	820 858هـ\1417 1454م
سعد بن إسماعيل النصري	858 868هـ\1454 1464م
أبو الحسن علي بن سعيد بن إسماعيل	868 887هـ\1464 1482م

جدول ملوك مملكة قشتالة زمن الدولة المرينية

فرناندو الثالث	1230- 1252م
ألفونسو العاشر	1252- 1284م
سانشو	1284- 1296م
فرناندو الرابع	1296- 1312م
ألفونسو الحادي عشر	1312- 1350م
بيدرو الأول	1350- 1368م
الكونت هنري	1368- 1379م
خوان الأول	1379- 1406م
خوان الثاني	1406- 1454م
هنري الرابع	1454- 1474م

جدول ملوك مملكة أراجون زمن الدولة المرينية

بيدرو الثاني	1196 -1224م
خايمي (يعقوب)	1224 -1274م
بيدرو الثالث	1274 -1285م
ألفونسو الثالث	1285 -1291م
خايمي الثاني	1291 -1327م
ألفونسو الرابع	1327 -1336م
بيدرو الرابع	1336 -1387م
خوان الأول	1387 -1395م
مرتين الأول	1395 -1410م
مجلس الكورتيس (البرلمان) الراجوني	1410 -1412م
فرناندو الأول	1412 -1416م
ألفونسو الخامس	1416 -1458
خوان الثاني	1458 -1479م

الشكل (1) المثلثات أو حمص الأمير ذات الشكل المثلث :نقلا عن الطرسوسي،نفسه،ص259.

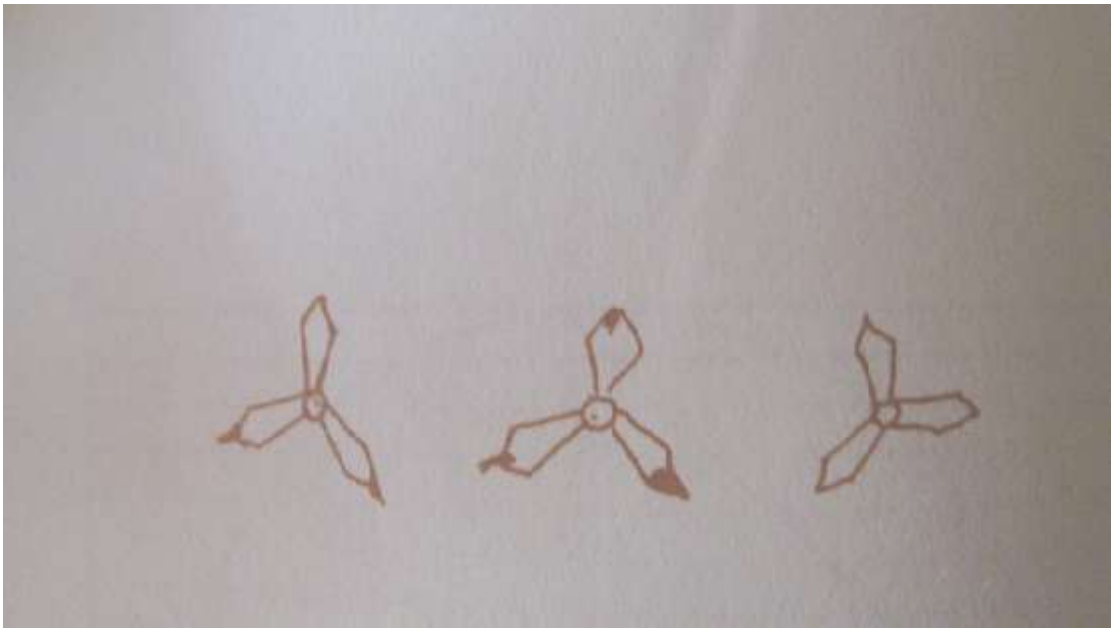

الشكل (2) المثلثات أو حمص الأمير ذات الشكل السداسي :نقلا عن الطرسوسي،نفسه،ص259.

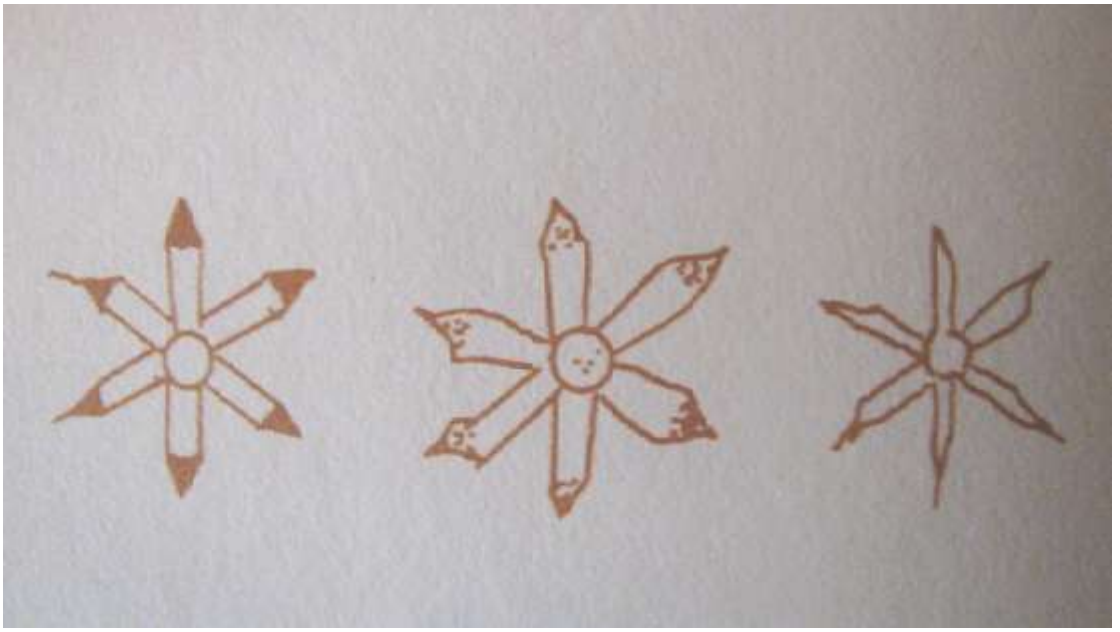

الدبابة الشكل (3) انور الرفاعى،الاسلام في حضارته ونظمه،دار الفكر،دمشق،1973م،ص196

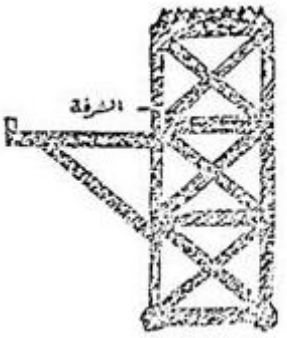

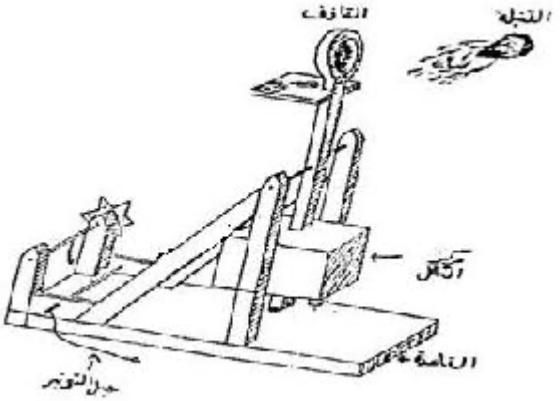

الكبش الشكل (4) نقلا عن زيدان ،تاريخ التمدن ،ج1،ص190.

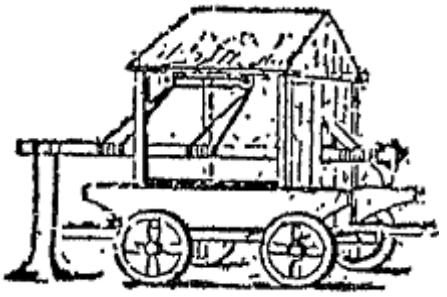

نماذج من المجانيق الإسلامية الشكل (5) الرفاعي،نفسه،ص189، 190، 195.

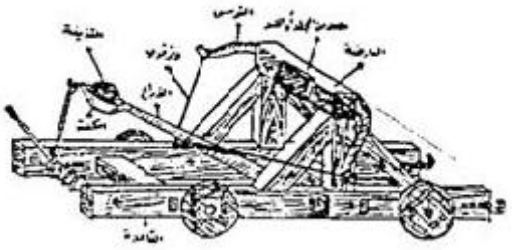

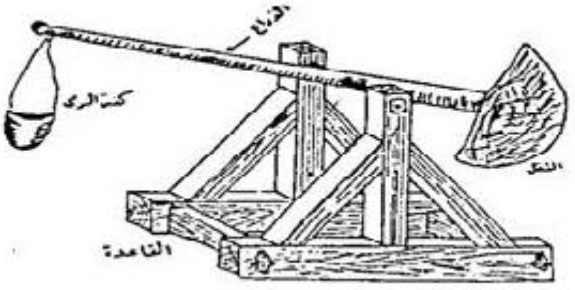

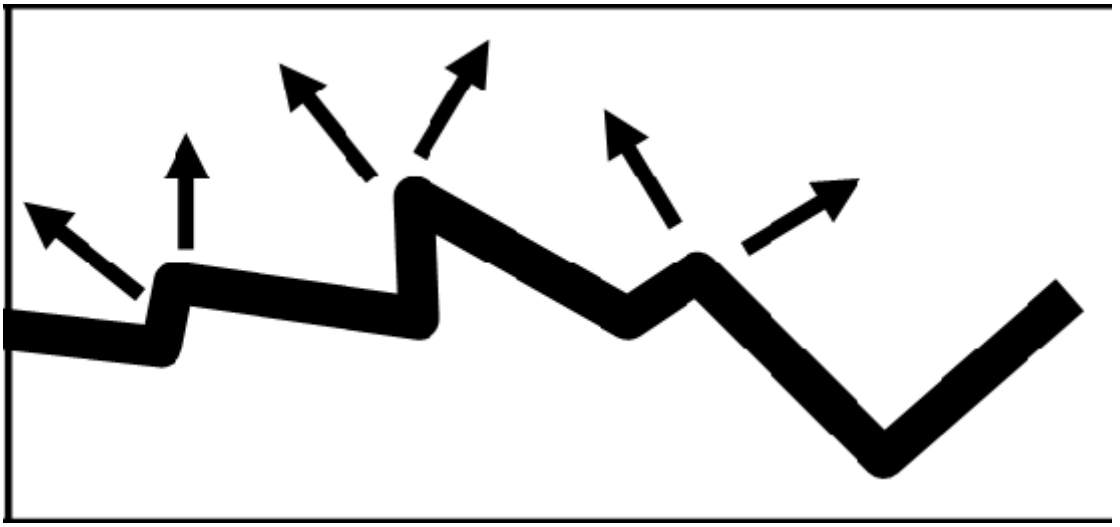

شكل (1) توزيع الزوايا والأبراج على السور نقلا عن عياش.

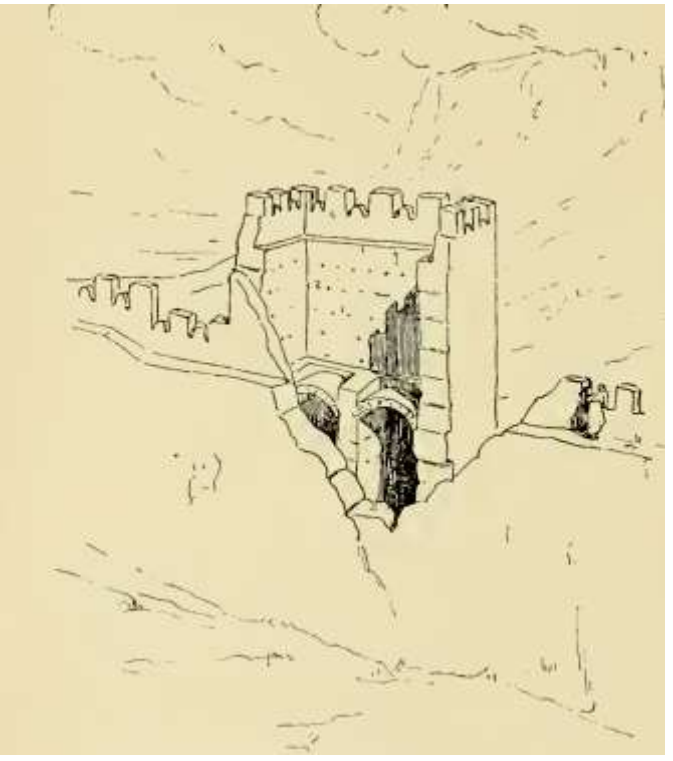

شكل (أ. 2) قبوات نصف كروية تغطى الغرف بالأبراج _ المنصورة بتلمسان ـ نقلا عن G et W.

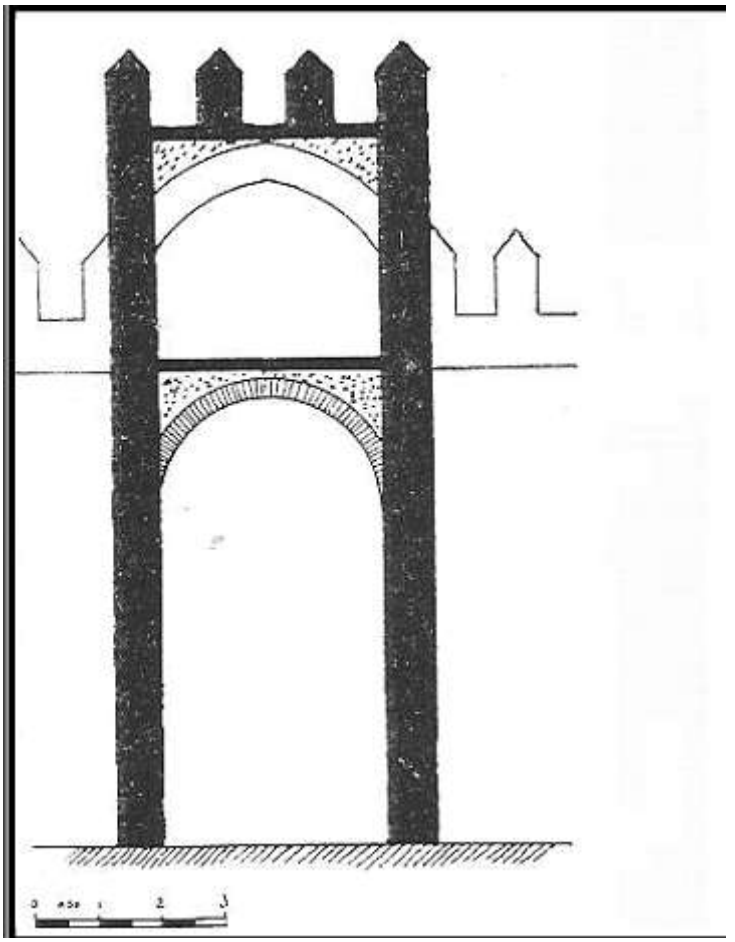

الشكل (ب. 2) شكل القباب داخل الأبراج .نقلا عن G .H. BASSET et L. PROVENÇAL**.**

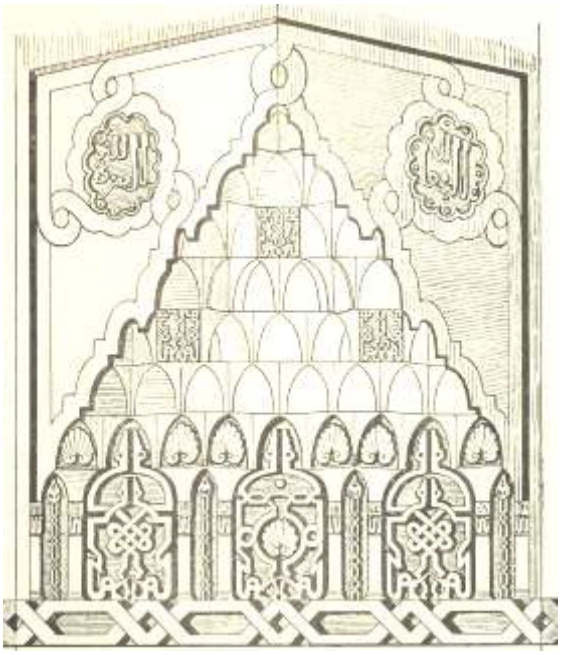

شكل(3) الزخارف على برجا مدخل سلا نقلا عن G .H. BASSET et L. PROVENÇAL**.**

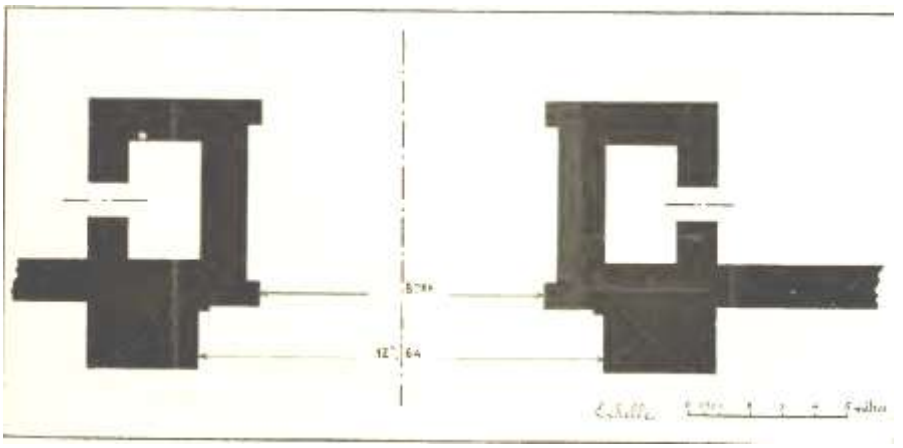

شكل (4) بابا البرجين وهما يفتحان داخل المدينة ـ دار صناعة سلا ـ نقلا عن H . TERRASSE.

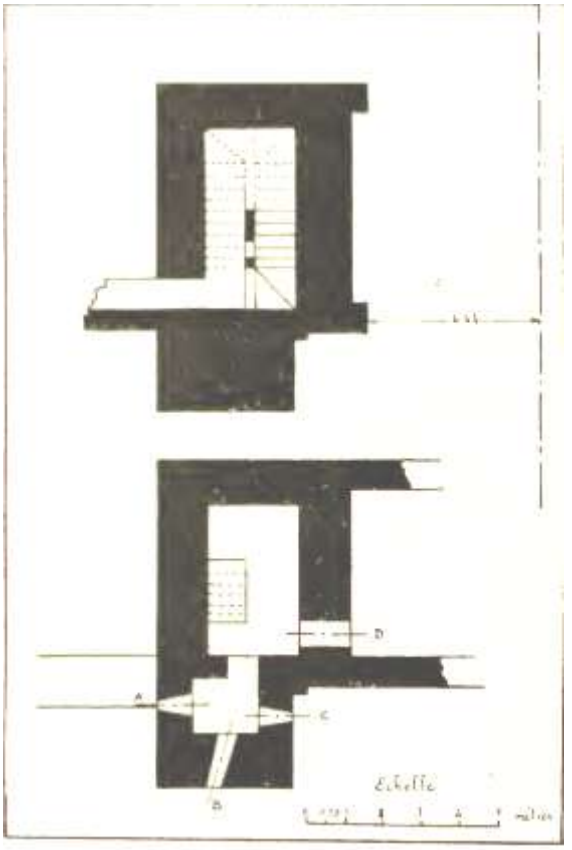

الشكل (5) الحجرات فوق الأبراج ـ المدخل القبلي لدار صناعة سلا ـ نقلا عن H . TERRASSE.

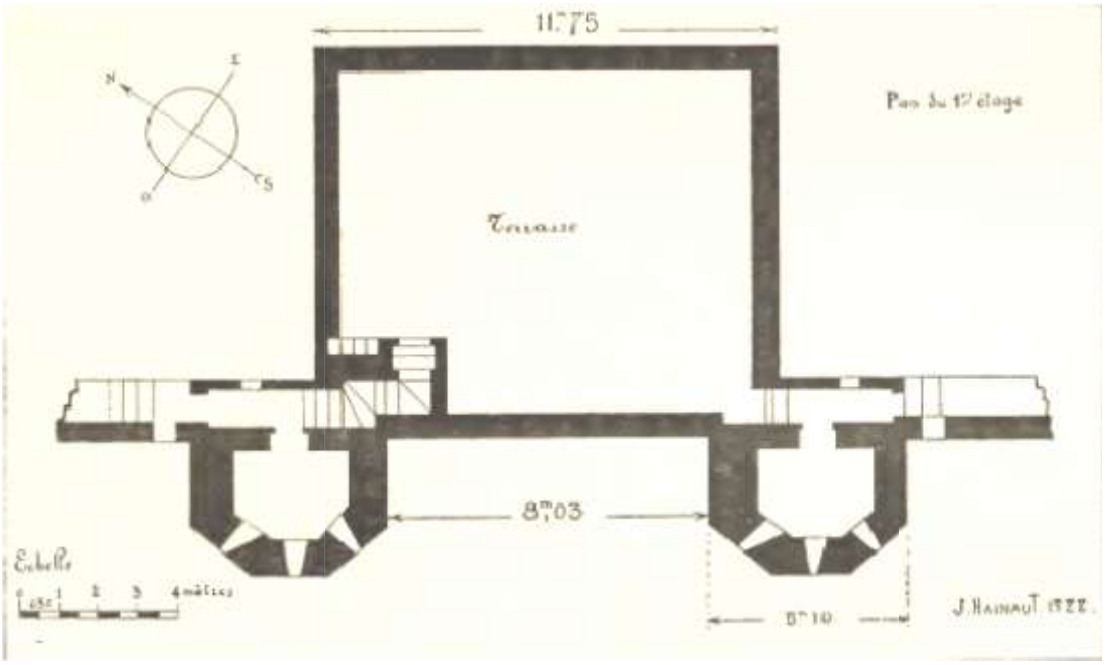

الشكل (6) البرجان المظلعان لمدخل سلا. نقلا عن G .H. BASSET et L. PROVENÇAL**.**

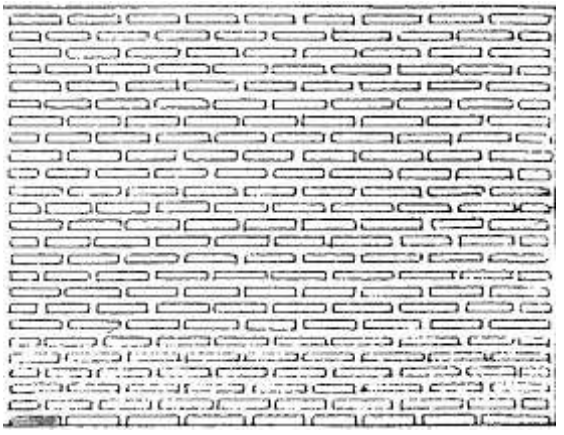

الشكل(7) طريقة البناء بالصفوف المنتظمة.نقلا عن عياش.

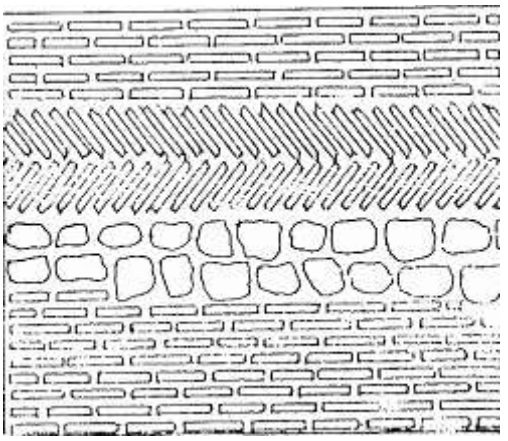

الشكل(8) طريقة بناء الصفوف المتناوبة.نقلا عن عياش.

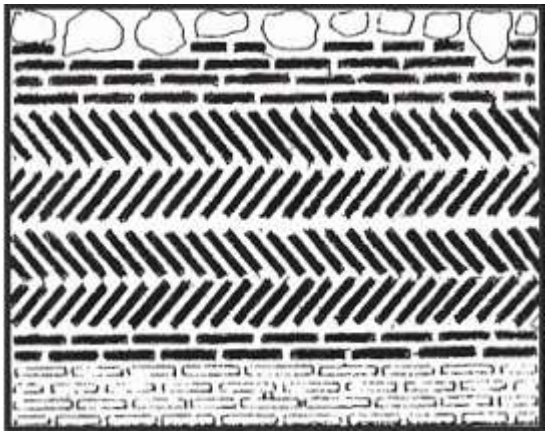

الشكل (9) طريقة البناء الصفوف السنبلية.نقلا عن عياش.

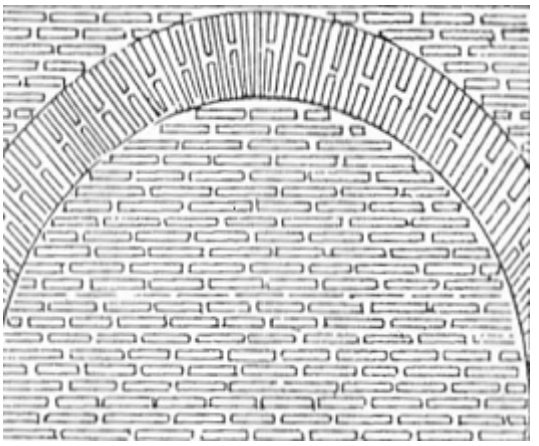

الشكل (10) طريقة بناء الصفوف المائلة (لبناء القباب).نقلا عن عياش.

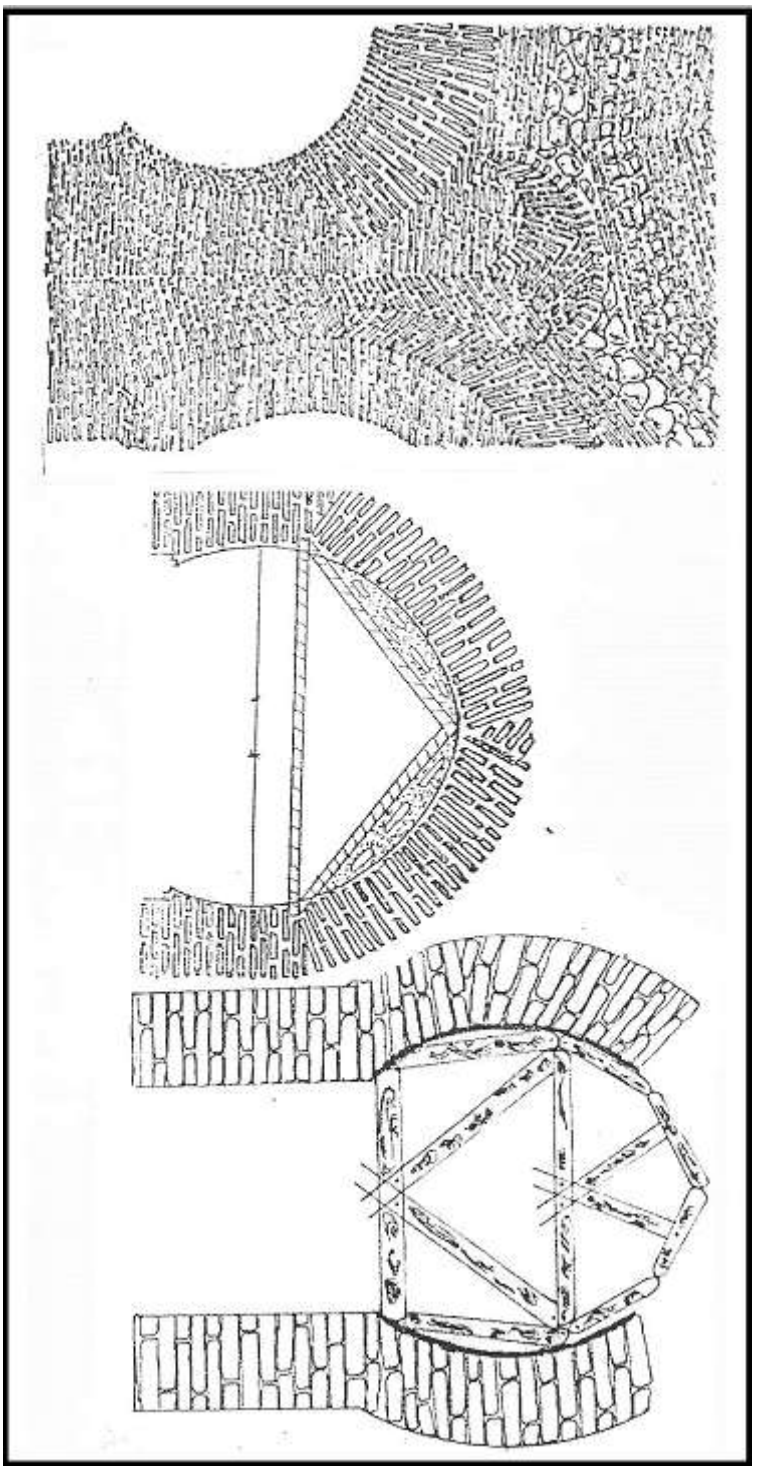

الشكل (11) طريقة بناء القباب.نقلا عن عياش.

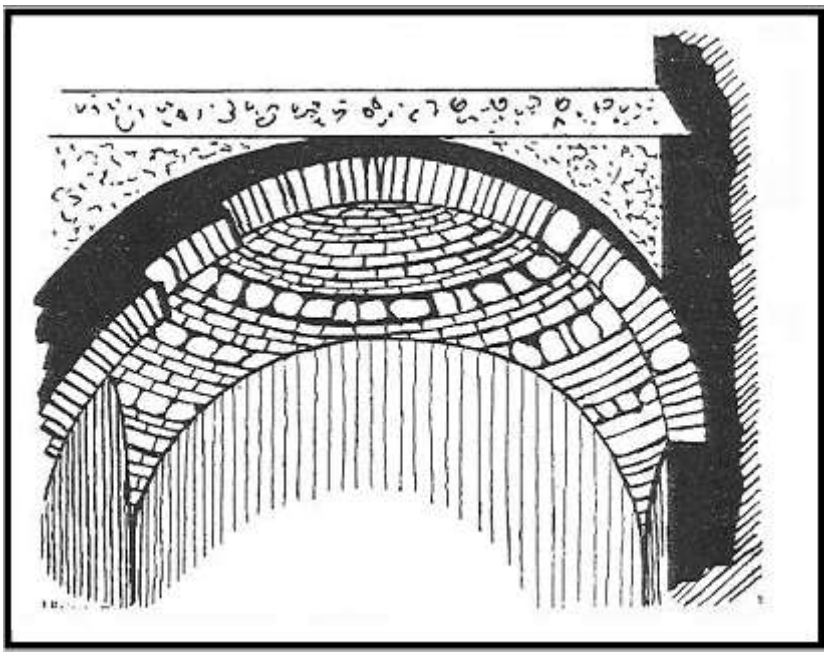

الشكل (12) تقنية بناء القباب بالأبراج.نقلا عن G .H. BASSET et L. PROVENÇAL.

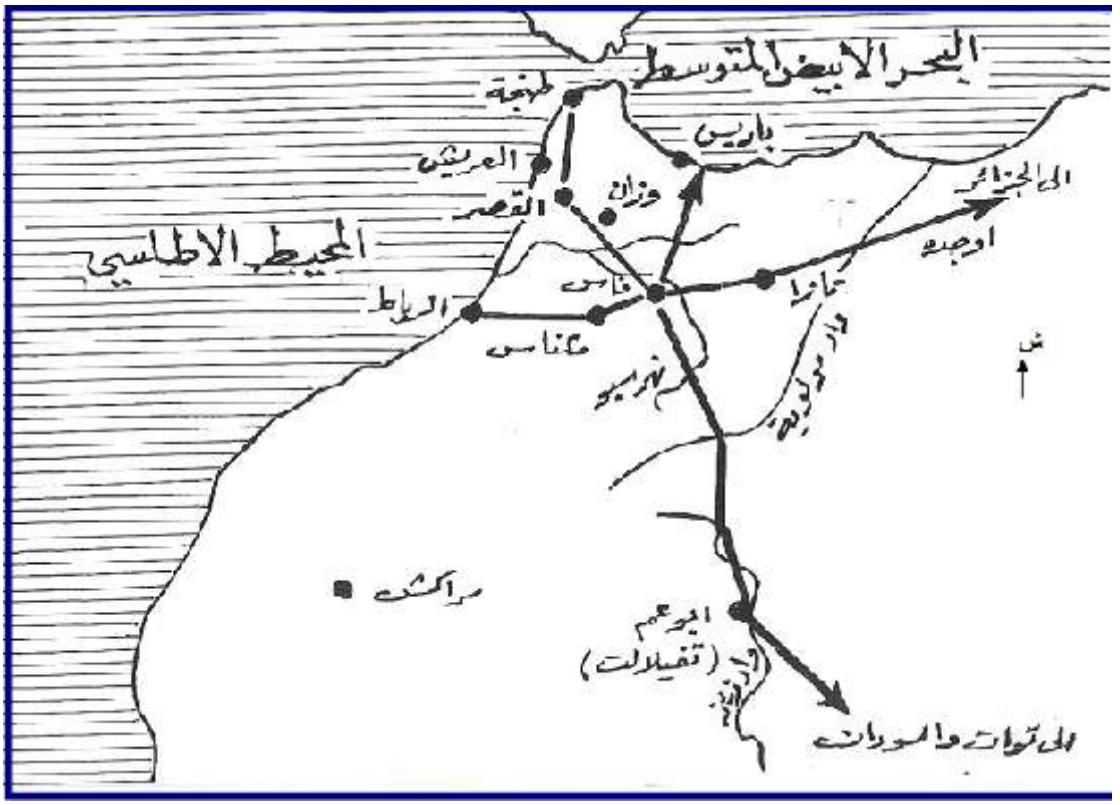

خريطة (1) فاس ملتقى الطرق نقلا عن روجيه لوتورنو.

الصورة (1) القصبة بمدينة المنصورة بتلمسان نقلا

الصورة (2) أسوار وأبراج سلا نقلا عن G .H. BASSET et L. PROVENÇAL**.**

الصورة (3) أسوار وأبراج المنصورة بتلمسان نقلا عن عياش.

الصورة (4) برجا مدخل الباب الأثري الكبير بسلا المضلعين نقلا عن G .H. BASSET et L. PROVENÇAL**.**

الصورة (5) مدخل باب السبع وبرجاه ـ مدينة فاس ـ نقلا عن عياش.

الصورة (6) المدخل القبلي وبرجاه ـ دار صناعة سلا ـ نقلا عن H . TERRASSE.

الصورة (6) مدخل باب عيون صنهاجة (السمارين) ـ مدينة فاس ـ نقلا عن عياش.

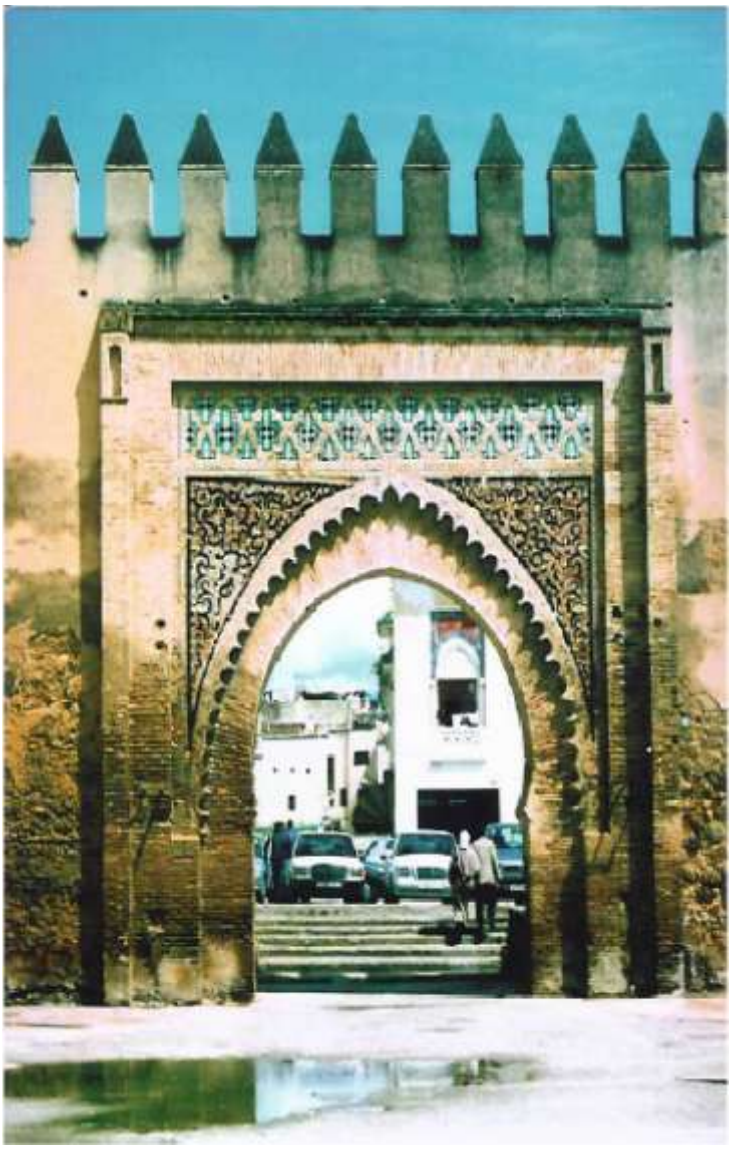

الصورة (7) مدخل باب الأمر ـ فاس الجديدة ـ نقلا عن عياش.

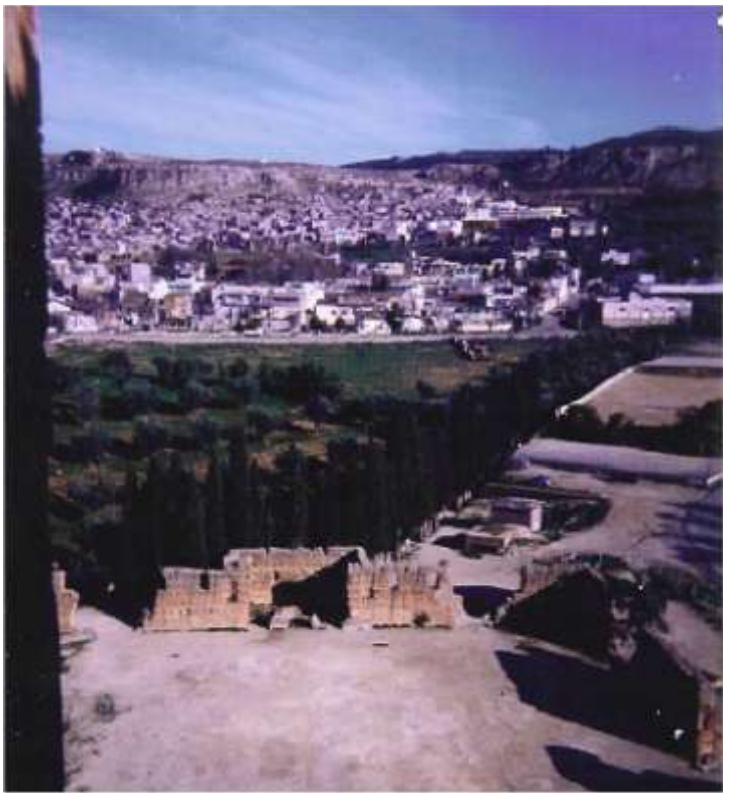

الصورة(8) هضبة لالاستى .نقلا عن عياش.

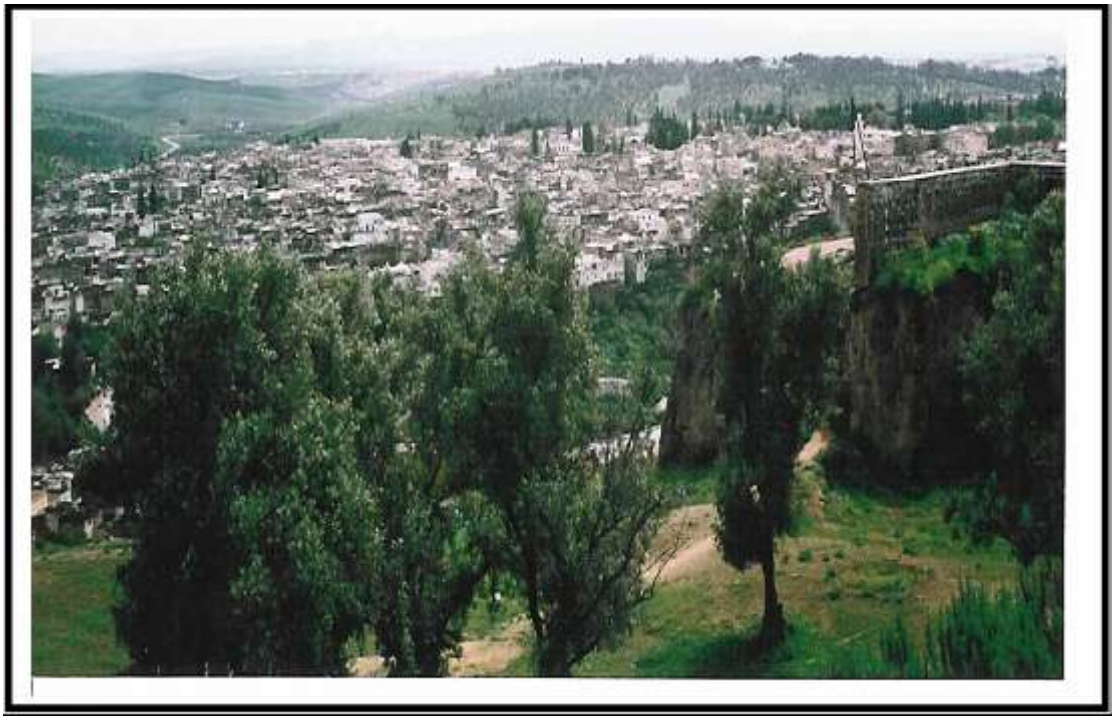

الصورة (9) منظر للغابات ببلاد المغرب.نقلا عن عياش.

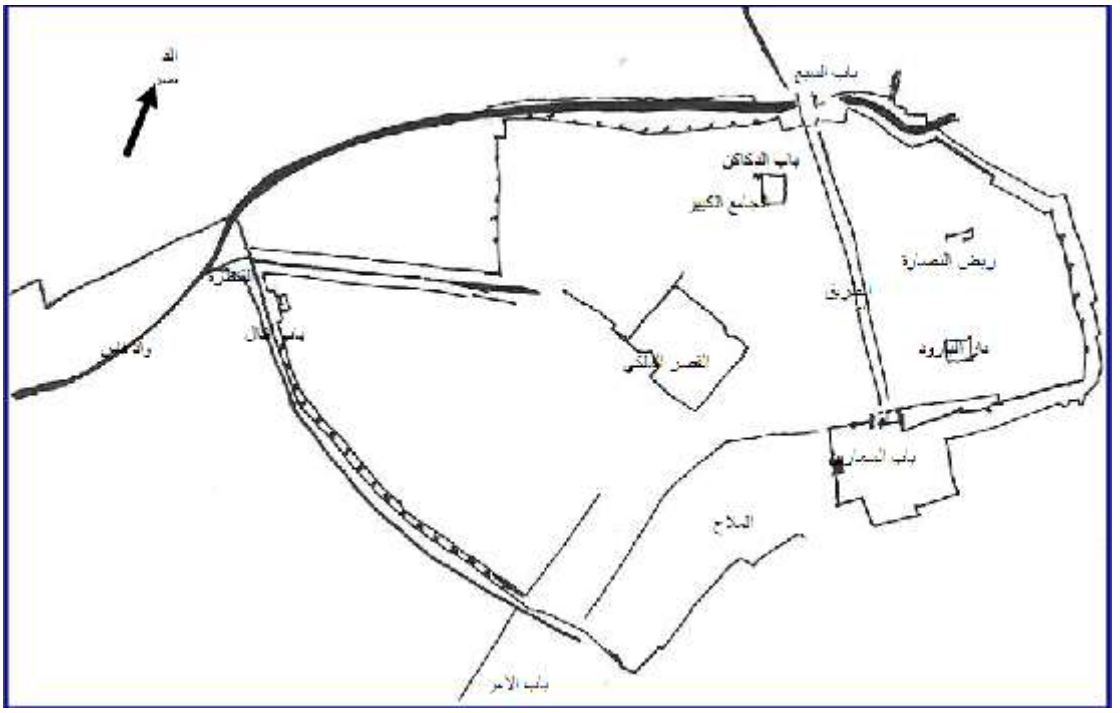

مخطط (1) مخطط تقريبي لفاس الجديدة زمن المرينيين نقلا عن عياش.

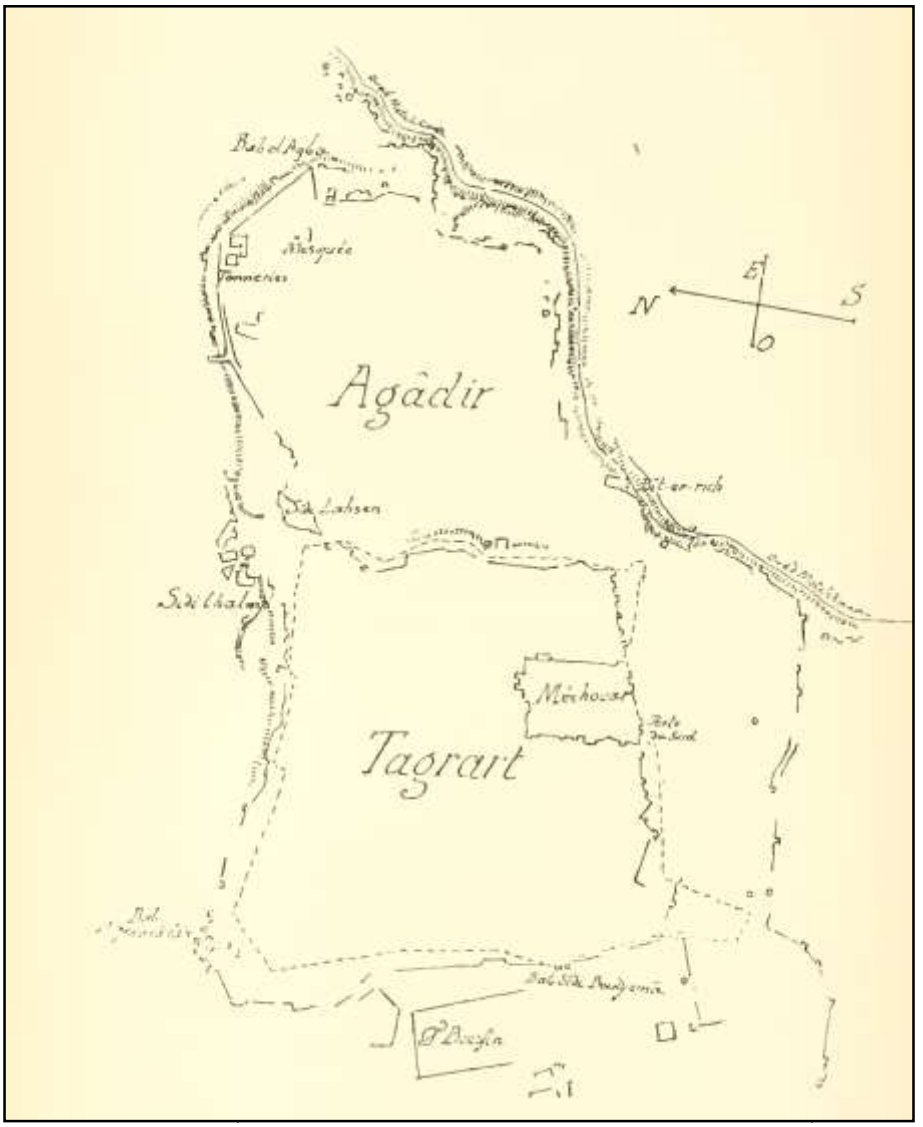

مخطط (2) مخطط عام للمنصورة وتلمسان نقلا عن G et W

مخطط (3) مخطط لمدينة المنصورة بتلمسان نقلا عن عياش.

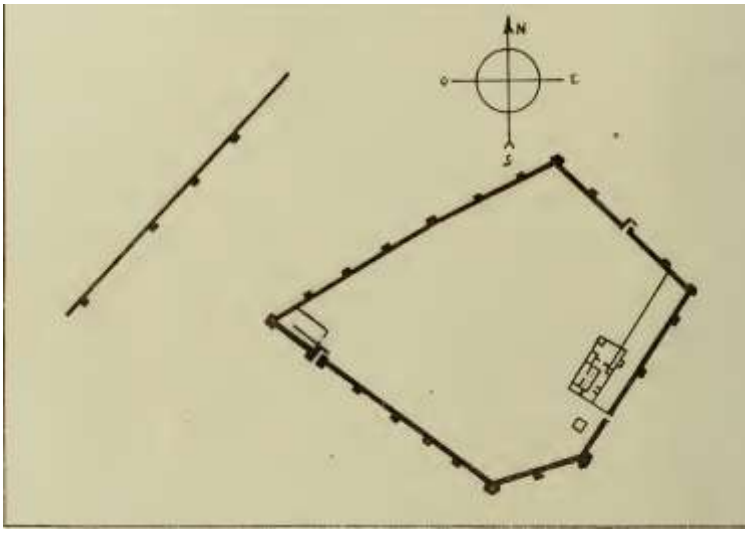

مخطط (4) المخطط العام للمدن في المغرب والأندلس.

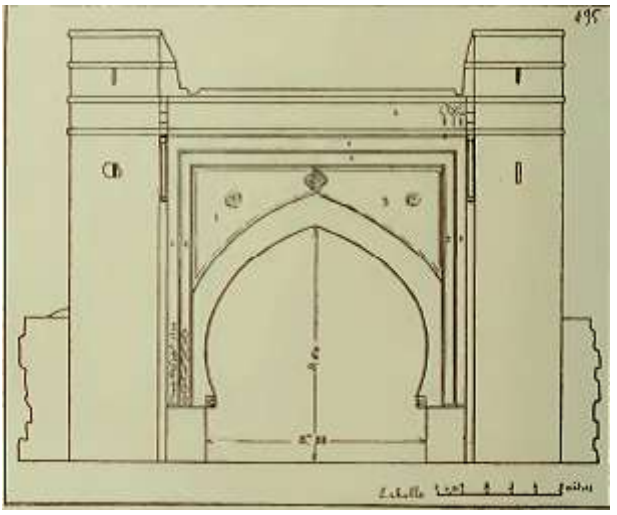

المخطط (5) مخطط الجزء المتبقي من مدخل باب دار صناعة سلا .نقلا عن H . TERRASSE.

قائمة المصادر والمراجع

أولا:القرآن الكريم:

ثانيا:المخطوطات:

1. ابن حجلة التلمساني(ت776هـ\1374م)،منطق الطير، مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 1910.
2. الحسن بن عبدالله بن محمد العباسى،أثار الأول في ترتيب الدول،مخطوط (ميكرو فيلم 1551)،القاهرة،دار الكتب والوثائق القومية،باب الخلق.
3. طيبوغا الأشرفى البطلمشى اليونانى،شرح بغية المرامى في أصول معانى الرمى بالنشاب وفروعه،مخطوط (ميكروفيلم 23205)،دار الكتب والوثائق القومية،باب الخلق،القاهرة.
4. عبدالكريم بن إبراهيم، رسالة في فضيلة الرمي،مخطوط،مكتبة جامعة الملك سعود،رقم 7388ف.
5. ابن منكلى:محمد الناصري(من رجال القرن 9هـ)،الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر، مخطوط(ميكروفيلم)، دار الكتب الوثائق القومية، رقم 10463، باب الخلق،القاهرة.

ثانيا:المصادر:

1. ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل بن يوسف(ت 810هـ\1407م)، نثير فوائد الجمان في نظم فحول الزمان،تحقيق:محمد رضوان الداية،بيروت،1967م.

ـــــ بيوتات فاس الكبري، تحقيق ونشر:دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

ـــــ روض النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، ط2، الرباط،المطبعة الملكية،1411هـ\1991م.

ـــــ تاريخ الدولة الزيانية، تحقيق هانى سلامة،ط1،القاهرة،مكتبة الثقافة الدينية، 1421هـ\2001م.

2. الأصمعي: سعيد عبدالملك بن قُريب، الخيل،تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ط2، 2009م.

3. الباجي: عبدالله الشيخ محمد،الخلاصة النقية في أمراء افريقية،ط2،تونس،مطبعة بيكار وشركائه،1323هـ.

4. البكري: أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

5. البلاذري: العباس احمد بن يحيى،فتوح البلدان،تحقيق وتعليقعبدالله انيس الطباع وعمر انيس الطباع،بيروت،مؤسسة المعاف،1407هـ\1987م.

6. البيذق: أبوبكر على الصنهاجى(555هـ\1160م)،أخبار المهدي بن تومرت،تقديم وتحقيق وتعليق عبدالحميد حاجيات،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م.

7. الجزنائى: أبو الحسن علي(766-\1374م)، جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، 1411هـ\1991م، الرباط.

8. الجوزي: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي، مناقب بغداد، نسخ وتصحيح وتعليق محمد بهجة الأثري، مطبعة دار السلام، بغداد، 1342هـ .

9. ابن حماد: محمد بن عبدالله، أخبار ملوك بن عبيد وسيرتهم، تحقيق تهامب النقرة وعبدالحليم عويسي، دار الصحوة، القاهرة،1401هـ.

10. ابن الخطيب: لسان الدين أبو عبدالله محمد السلماني(ت776هـ\1374م)،مشاهدات لسان الدين الخطيب.

ـــــ الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عنان، ج2، ط2، مكتبة الخانجى، 1394هـ\1974م.

ـــــ الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عنان،مكتبة الخانجى، ج1،ط2، 1973م.

ـــــ اللمحة البدرية في الدولة النصرية،صححه ووضع فهارسه :محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية،1347هـ .

ـــــ كناسة الدكان بعد انتقال السكان،تحقيقمحمد كمال شبانه،ط1،القاهرة،مكتبة الثقافة الدينية،2003م.

ـــــ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام،تحقيقمختار العبادى،محمد ابراهيم الكتاني،القسم 3،الدار البيضاء،دار الكتاب،1964م.

ـــــ ديوان الصيب والجهام.

ـــــ معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار،تحقيقمحمد كمال شبانة،مكتبة الثقافة الدينية،2002م.

ـــــ نفاضة الجراب،موقع المصطفى.

11. ابن خلدون: عبد الرحمن(ت808هـ\1406م)،العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج7، ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحادة، راجعه سهيل زكار، دار الفكر، بيروت لبنان،1421هـ\2000م.

12. ابن خلدون: يحيى أبو زكريا(ت780هـ\1378م)، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبدالواد،ج1،مطبعة بيير فونطانا الشرفية،الجزائر،1321هـ\1903م.
13. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(681هـ\1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، ج4، دار صادر، بيروت.
14. ابن أبي زرع: أبو الحسن علي بن عبدالله الفاسى(ت741هـ\1340م) ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،تحقيق ونشردار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط،1972م.
ـــــ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،مراجعة عبدالوهاب بن منصور، ط2، الرباط، المطبعة الملكية، 1999م.
15. الزركشي: عبدالله محمد بن إبراهيم(894هـ\1488م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط2، تونس، المكتبة العتيقة، 1966م.
16. الزركلي: خير الدين، الأعلام، ط15، بيروت، دار العلم للملايين، أيار\مايو 2002م.
17. السبتي: عبدالله محمد بن القاسم الأنصاري(كان على قيد الحياة في سنة 825هـ\1421م)،اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار،تحقيق عبدالوهاب بن منصور،الرباط،ط1983،2م.
18. سلام: أبي عبيد بن القاسم،السلاح،تحقيق حاتم صالح الضامن،مؤسسة الرسالة،ط2، 1985م.
19. السلاوي: أبو العباس أحمد الناصري(ت1315هـ\1897م)،الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصي،تحقيق وتعليق احمد السلاوي،ج4،وزارة الثقافة والاتصال،2001م.
20. السيوطي،جر الذيل في علم الخيل،تحقيق حاتم صالح الضامن،دار البشائر، دمشق، ط2، 2009م.
21. ابن صاحب الصلاة:عبدالملك(ت590\1198م)،تحقيق:عبدالهادي التازي، لبنان،دار الغرب الإسلامي، 3ط،1987م.
22. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير تاريخ الأمم والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج9،دار المعارف القاهرة 1967م.
23. الطرسوسي: مرضي بن علي بن مرضي،تبصرة أرباب الألباب،تحقيق كارين صادر، دار صادر،لبنان،بيروت،ط1، 1998م.
24. ابن عذارى: أبو عبدالله المراكشي(كان على قيد الحياة 712هـ\1312م)، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب،تحقيق محمد إبراهيم الكتانى وأخرون،قسم الموحدين،دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،ط1، 1985م.

ـــــ البيان المغرب في الأندلس والمغرب،علق عليها احسان عباس، ج3،دار الثقافة،بيروت،1967م.

25. العمري: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن فضل الله(ت749هـ\1348م)، التعريف بالمصطلح الشريف،تحقيق محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية،لبنان،بيروت، ط1، 1988م.

26. الفتح ناصر الدين بن عبدالسيد بن على، المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، ج1، مكتبة اسامة بن زيد،حلب،ط1.

27. القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي(821هـ\1418م)، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، ج5، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1333هـ\1915م.

28. ابن قنفذ: العباس أحمد بن الحسين بن علي بن الخطيب، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبدالمجيد التركي، تونس، الدار التونسية للنشر، 1968م.

29. ابن قيم الجوزية، الفروسية، تعليق سمير حسين حلبي، دار الصحابة بطنطا، ط1، 1991م.

30. مؤلف مجهول(أندلسي من أهل القرن 8هـ)، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار عبدالقادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399 هـ\ 1979م.

31. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، ج1، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1983م.

32. مؤلف مجهول، ذكر مشاهير أعيان فاس في القديم، تحقيق عبدالقادر زمامه، مجلة البحث العلمي، الرباط،العدد3، 1964م.

33. الماوردى: علي بن محمد بن الحبيب البصري البغدادي(450هـ\1058م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق محمد أمبارك اليغدادي، ط1، 1409هـ\1989م، دار أبن قتيبة،الكويت.

34. المراكشي: محيى الدين أبي محمد عبدالواحد بن علي التميمي(625هـ\1227م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ليدن،مطبعة بريل،1881م.

35. ابن مرزوق: محمد بن أحمد(ت781هـ\1379م)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيقماريا خيسوس بيغيرا،الجزائر،المكتبة الوطنية الجزائرية،الشركة الوطنية الجزائرية،1401هـ\1981م.

36. المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد(1041هـ\1631م)،أزهار الرياض في أخبار عياض،تحقيق مصطفي السقا وآخرون،ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة،القاهرة،1939م.
ـــــ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق احمد بكير محمود،ج3، دار مكتبة الحياة،بيروت،1965م.
37. المقريزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي(854هـ\1451م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأخبار،المعروف بالخطط المقريزية،ج1،مكتبة الثقافة الدينية.
38. ابن النحاس: زكريا احمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي،مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام،تحقيق إدريس محمد علي وآخرون،دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان،ط3، 2002م.
39. النميري: إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم(كان على قيد الحياة 768هـ\1366م)،فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب،دراسة وإعداد د. محمد بن شقرون،ط1،بيروت،دار الغرب الإسلامي، 1990م
40. النويري الإسكندراني: محمد بن قاسم بن محمد،الاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في وقعة الإسكندرية،تحقيق عزيز سوريال عطية،حيدر آباد،دائرة المعارف العثمانية،1390هـ\1970م
41. النويري: أحمد بن عبدالوهاب(ت732هـ\1332م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق عبدالمجيد ترحيني، ج24، بيروت، دار الكتب العلمية.
42. ابن هذيل: علي بن عبدالرحمن العزاوي الغرناطي(عاش في القرن 8هـ)، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تحقيق عبد الإله احمد نبهان محمد فاتح صالح زغل، ط1، مركز زايد للتراث، 2004م.

ثالثا:الرحلات الجغرافية:

1. الإدريسي: أبي عبيدالله،محمد بن محمد بن عبدالله(560هـ\1067م)،نزهة المشتاق في اختراق الافاق،مج1،القاهرة،مكتبة الثقافة الدينية.
2. الأنصاري: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر،مطبعة الأكاديمية الأمبراطورية،بطربورغ،1865م.
3. ابن بطوطة: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت779هـ\1377م)،تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،اعتنى به وراجعهدرويش الجويدي،ج2،بيروت،المكتبة

العصرية، 1430هـ\2009م.،وكذلك طبعة تحقيق عبدالهادي التازي،ج4،مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية،1417هـ\1997م.

4. البغدادي: صفى الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق(739هـ\1338م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، ج2، دار الجيل بيروت، ط1 ، 1992م.

5. البكري:.أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز(ت487هـ\1094م)، المسالك والممالك، جزء المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

6. الحموي:شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (626هـ\1228م)،معجم البلدان،مج 5،بيروت،دار صادر،1977م.طبعة أخري منمعجم البلدان،ج3، دار صادر،بيروت.

7. الحميري: أبو عبدالله محمد بن عبدالمنعم الصنهاجى(ت710هـ\1310م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق:إحسان عباس، ط2، بيروت، مكتبة لبنان، 1984م.

8. الزهري: أبي عبدالله محمد بن أبي بكر(توفي في أواسط القرن السادس الهجري)، كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

9. العمري، مسالك الأبصار، (الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وأفريقيا)، تحقيق محمد عبدالقادر خريسات آخرون، ج4، مركز زايد للتراث،2001م.

10. مؤلف مجهول (كان حياً في القرن 8هـ)، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.أفاق عربية. وكذلك طبعة أخري الأستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، طبعة خاصة بالمشرق العربي،1986م.

11. الوزان: الحسن بن محمد(ت944هـ\1537م)،وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي محمد الأخضر،ج1،ط2،بيروت،1983م.

رابعا:المراجع:

1. أحمد: احمد رمضان ،تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط (العصر الوسيط)، 35هـ \ 655هـ .978م\1571م.

2. إسماعيل: محمد محمد احمد ،ثورات العرب والبربر واليهود،مكتبة الثقافة الدينية،ط1، 2008م.

3. الأعرج: عبد العزيز محمود ، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان دراسة تاريخية أثرية في عمرانها وعمارتها وفنونها، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط2006،1م.

4. الالوسي: السيد محمد شكري،بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب،عنى به محمد بهجة الاثري،ج2، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان.

5. الباشا: حسن ،الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار الإسلامية، ج2، القاهرة،1965م
6. البرقوقي: عبدالرحمن، حضارة العرب في الأندلس، المكتبة التجارية، مصر، 1341هـ\ 1923م.
7. الحريري: محمد عيسى ،المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني،دار القلم، ط2، 1987م.
8. الحموي: ياسين ،تاريخ الأسطول العربي،دمشق،1945م.
9. العبادي: المختار،دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،الإسكندرية،مؤسسة شباب الجامعة.
10. العدوي: إبراهيم أحمد،قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط،مكتبة مصر.
11. الغسال: الحسن بن محمد،إيضاح البرهان والحجة في تفضيل ثغر طنجة،مطبعة سليمن بن حيون،ثغر طنجة المحمية،1325هـ\1907م.
12. ألفارو سولر دل كامبو،أبن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط امبراطوريات (الاسلحة المحمولة والاسلحة النارية في الاندلس في القرن الرابع عشر)،ترجمة اسحاق عبيد،الاسكندرية،مكتبة الإسكندرية،مصر،2007م.
13. القره غولي: جهادية: العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي 132هـ- 232هـ،دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1986م.
14. المجالي: سحر عبدالمجيد مناور،تطور الجيش العربي في الأندلس،ط1، المكتبة الوطنية،1996م.
15. المنوني: محمد وآخرون، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص،شركة النشر والتوزيع الدارس،ط1، الدار البيضاء،1991م.
16. الموسوي: مصطفى عباس،العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية والإسلامية.
17. الميلي: مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب.
18. الناصري: جعفر بن أحمد،الخطيب بسلا،منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا المغرب،1987م.
ـــــــــــ: سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية،تحقيق، احمد بن جعفر الناصري،ج2، 2006م،1427هـ، مطبعة المعارف الجديدة الرباط.
19. النخيلى: درويش،السفن الإسلامية على حروف المعجم،الإسكندرية،1974م.

20. اليوسف: عبدالقادر أحمد، العصور الوسطى الأوروبية، صيد، المكتبة العصرية، 1976م.

21. جارثيما جومز، مع شعراء الأندلس والمتنبي، ترجمة الطاهر احمد مكي، القاهرة، 1974م.

22. حتاملة: محمد عبده، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ط1، عمان، المكتبة الوطنية، 1996 م.

23. حركات: إبراهيم،المغرب عبر التاريخ،ج2، 2000م.

24. حناوي: محمد، النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف،دار أبي قراق، ط1، 2003م.

25. دييكودي طوريس، تاريخ الشرفاء، ترجمة إلى العربية: محمد حجي، محمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1980م.

26. روجيه لوتورنو،فاس في عصر بني مرين،ترجمة نيقولا زياده،مكتبة لبنان، بيروت ،1967م.وكذلك روجي لوتورنو، فاس قبل الحماية،ج1،ترجمة محمد حجى محمد الأخضر.

27. زغروت: فتحي ، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتى المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، 2005م.

28. زكى: عبد الرحمن، السلاح في الإسلام، الجمعية التاريخية، دار المعارف، مصر.

29. زيدان: جورجي ،تاريخ التمدن الإسلامي،ج1، ط2، دار مكتبة الحياة،بيروت،لبنان.

30. سامح: كمال الدين، العمارة في صدر الإسلام، مطبعة جامعة القاهرة،1971م.

31. أبو ضيف: مصطفى، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،1983م.

32. عاشور: عبدالفتاح سعيد، أوربا في العصور الوسطي، التاريخ السياسي، ج1، ط6، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975م.

33. عباده: عبدالفتاح،سفن الأسطول الإسلامي،1913م.

34. عبدالمنعم: حمدي عبدالمنعم،مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري،مؤسسة شباب الجامعة،1993م.

35. عثمان: مرفت ،التحصينات القتالية وأدوات القتال في العصر الأيوبى بمصر والشام زمن الحروب الصليبية،دار العالم العربي،ط1، 2010م.

36. عنان: محمد عنان، دولة الإسلام في الأندلس، نهاية الأندلس ونهاية العرب المتنصرين، ع4، القاهرة، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط4، 1997م.

37. عون: عبدالرؤوف ،الفن الحربي في صدر الاسلام.
38. ليوبولدو طريس بالباس، التاريخ الحضري للغرب الإسلامي(الحواضر الأندلسية)، ترجمة محمد يعلى، ج1،ط1، 2007م، دار أبي الرقراق، الرباط.
39. ماركوس يوزفهُلر، مفاخرة سلا ومالقة لأبن الخطيب، الجغرافيا الإسلامية، مج151، نصوص ودراسات حول جغرافية وطبوغرافية الأندلس،القسم الأول، جمع وإعادة طبع فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، ألمانيا، 1993م.
40. مقر: محمد ،اللباس المغربي، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية،الرباط ،2006م.
41. هندي: إحسان، الحياة العسكرية عند العرب، دمشق، 1964م.

خامسا:الموسوعات والدوريات العلمية والندوات:

1. ألفريد بل:زيان،دائرة المعارف الإسلامية،ج10.
2. ألمانى(خوسى)،الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة،ترجمة احمد مدينة،دعوة الحق،ماي 1978م.
3. أمين: الخولي: الجندية والسلم، واقع ومثال ج8، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992م.
4. البستاني: بطرس ،دائرة المعارف،مادة حبل.
5. بطاينة: محمد ضيف الله،الأسطول الإسلامي نشأته وتطوره،دورية الدارة،السنة الحادية عشر،ع الثالث،ربيع الأخر\ديسمبر،1406هـ\1985م.
6. حركات: إبراهيم، الحياة الدينية في عهد بني مرين، دعوة الحق، السنة 7، العدد 2، جمادى الثاني\نوفمبر 1383 هـ\1963م.
7. خضيرى: حسن ،العلاقات السياسية بين فاس وغرناطة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري\ الرابع الميلادي، دورية كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد الأول، 1997\ 1998م.
8. الدباغ: محمد عبدالعزيز،بنو مرين من خلال رحلة أبن بطوطة، دعوة الحق،ع7، أبريل،1962م.
9. دندش: الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطي،(ندوة) الارتزاق المسيحي في الدولة المرينية،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،1995م.

ـــــــــــ: عصمت،العمران وفن البناء في عهد المرينيين،دعوة الحق،السنة 7،العدد 6، ذو القعدة\مارس،1383 هـ\1964م

10.الرفاعى،محمود: مساهمة المغرب في حركة الجهاد البحري بعد طرد الموريسكوس من الأندلس، دعوة الحق،العدد 6،7،(يونيو)،(1979م) .

ـــــــــــــ:الأسلحة الخفيفة في التراث العربي الإسلامي،أفاق الثقافة والتراث،السنة 2،العدد7،رجب \ديسمبر- 1415 هـ\1994م.

11. سالم: السيد عبدالعزيز، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، عالم الفكر، العدد الأول، مج8، ابريل – مايو- يونيو\1977م.

12. العربي: الصديق ،طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب،مجلة تطوان،ع1، 1965م.

13. غالب: عبدالرحيم،موسوعة العمارة الإسلامية، بيروت، 1988م.

14. الغنيمي: عبدالفتاح مقلد،موسوعة المغرب العربي،ج3، 1994م.

15. فنان: عبدالقادر، أسوار فاس حاجز أم أصالة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، فاس،ع1، 1985م.

16. المجلة الإلكترونية الجندي المسلم في الجيوش الإسلامية الأولي، سلاح المهندسين، العدد106، 1- 3 2002م، الموقع على الويب:www.jmuslim.naseej.com

17. المنوني: محمد، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب ،الرباط، ط3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000م.

ـــــــــــــ:نظم الدولة المرينية،مجلة البحث العلمي،السنة الأولى،العدد الثاني، مايو أغسطس 1964م.

سادسا:الرسائل العلمية:

1. الأعرج: محمود عبدالعزيز ،المباني المرينية في أمارة تلمسان الزيانية (دراسة فنية وأثرية ومعمارية)،رسالة دكتوراه في الآثار،معهد الآثار،جامعة الجزائر،1990- 1991م.

2. الأعظمي: محمد طه محمد ، الأسوار والتحصينات الدفاعية في العمارة العراقية القديمة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 1992م.

3. البارودي: رضوان محمد ،رسالة دكتوراه الحياة الحربية في عصر الدولة المرينية ،أطروحة دكتوراه، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب،1979م.

4. شقدان: بسام كامل عبدالرزاق، تلمسان في العهد الزياني 633هـ- 962هـ\1235م – 1555م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، سنة1422هـ\2002م.

5. عبدالستار: عثمان محمد، الإعلان بأحكام البنيان لأبن رامي، دراسة أثرية معمارية، الإسكندرية، 1988م.

6. العفاري: مجهول مسنسل، مداخل الدور والقصور في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد 1987.
7. علي: فاروق محمد،الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن والعمارة الإسلامية في العراق حتى نهاية العصر العباسي،رسالة دكتوراة غير منشورة،جامعة بغداد،2006م.
8. عياش: محمد، الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد، والمنصورة بتلمسان (دراسة تاريخية أثرية)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، الجزائر،2005-2006م.
9. غومة: سالم، تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين، جامعة الفاتح، 2005م.
10. المهايني: رفيق، الأسطول العربي منذ فجر الإسلام حتى أواخر عهد المماليك، رسالة قُدمت لنيل شهادة أستاذ في العلوم، جامعة الأمريكية، كلية الآداب والعلوم،6 آذار 1942م، بيروت.

سابعا:المعاجم:

1. دوزي،تكملة المعاجم العربية،ترجمة، محمد سليم النعيمي،ج5منشورات وزارة الثقافة والاعلام،1982م.
2. الزبيدي، تاج العروس،ج8.
3. عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م.
4. الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد(817هـ\1414م)، قاموس المحيط .
5. لويس معلوف، المنجد في اللغة، بيروت، 1976م.
6. محمد أحمد دهمان،معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي،دمشق،سوريا،ط1، 1990م.
7. مصطفي عبدالكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط1 ،1996م.

ثامنا:المراجع الأجنبية:

1. A.Huici Miranda :Las Grandes batallas de la recon-quista durante las invasions africanas, Madrid.1956.
2. Delafosse, Les relations du Maroc avec le Soudan, Héspéries 1924.

3. MARÇAIS (G ET W.), Les monuments Arabes de Tlemcen, Fontemoingk,Paris.1903.

4. H . Terrasse, Les Portes DE L Arsenal DE Sale, Hespéris, 1-2 série, 1922.

5. G et w.Marcais. Les monuments.

6. G .H. Basset et L. PROVENÇAL, Chella, une nécropole

7. mérinide, Hespéris, 1-2 série, 1922.

8. G.deverdun et C .Allain, Les portes anciennes de Marrakech, Hesperis, T XLIV ,1957

9. Roland Oliver: The Cambridge History Of Africa,.(Vol.3, Cambridge: Cambridge, University Press, 1977.

11- Angeles Masia de Ros.La Carona de Aragon Y Los estados del norte de Africa,Barcelona 1951.

12- Andres Gimenez Soler.La Corona de Aragon Y Granada.Barcelona 1980.

13- Alarcon Y Linares:Las Documentas Arabes diplomstices del Archivo de la corona de Aragon.Madrid-Granada 1946.

14- Zurita (Jeronimo).Los anales de La Corona de Aragon.Zaragoza 1688 Tomo 2.

15- Lopez de Ayala:jronicas de los Reyes de oastilla ed .Cayetano Rosell, Madrid, 1953,tomo,1.

16- Gaspar Ramiro:Correspondencia diplomatic entre Granada Y Fez en el Siglo XIV,Revista del centro de studios historicos de Granada Y su reina,ano 1914,Num,1,Vol 4.

17- Jaime Oliver Asin, Historia del nombre <<Madrid>>,op.cit.,

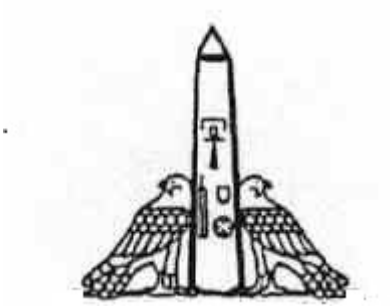

Ain Shams University

Faculty of Arts

History Department

Thesis Summary

Military Institutions in Bani Merinide State

(668-869 H \ 1269-1465 M)

By:

SALEM ABOLGHSM MOHAMED GHOMA

For Obtaining Doctor Degree in Islamic History

Under Supervision

Of

Prof.Dr.fathy Abou Seif

Professor of Islamic History

.

Prof. Dr: BASHIR Ramadan Tellisi

Professor of Islamic History.

Tripoli University- Libya.

Cairo 2011-2012

Thesis Summary

All praise is to Allah, Lord of the worlds, and all blessings and peace to our Master Muhammad, his family, and companions.

This research is a study on Military Institutions in Bani Merinide State (668-869 A.H/ 1269- 1465 A.D), which contains an introduction, an introductory chapter, three main chapters, conclusion, and annexes.

The introduction tackles the description of thesis chapters, a review of the most important sources and references. While the introductory chapter, entitled an outline of the military relationship between Bani Merinide State and Maghreb countries, Andalusia, and the Spanish kingdoms. The preamble includes a preface and three parts

The introductory chapter , an outline of the military relationship between Bani Merinide State and Maghreb countries, Andalusia, and the Spanish kingdoms, includes three parts. They are:

The first part entitled the establishment and foundation of the Marinids state. It tackles the origin of tribes of Marinids and their homeland, living conditions and first appearance on the scene of action with the Maghreb states, and their first conflict with Al Mohad Dynasty and the reasons for such conflict, as well as the most important battles between both parties, and their consequences. It also addresses the period when the Marinids began building their state, and the most important procedures in this regard.

While the second part involves an outline of the military relationship between the Marinids and Maghreb countries, as well as Andalusia; three elements are tackled:

I- An outline of the military relationship between the Marinids and the dynasty of Bani Abd el Wad), where the roots of the dispute between both states are tackled, its stages, development at both states. It also shows the hidden role for the Al Mohad Dynasty in escalating such dispute and how it made use of the situation in order to keep its dominance in the Maghreb countries. It addresses the closure of such

dispute which ended with the Marinids putting the capital of Bani Abd el Wad under siege and its downfall in 737 A.H/ 1336 A.D.

II- An outline of the military relationship between the Marinids and the Hafsids. It addresses the relationship between both states, characterized by cooperation relations . It also clarifies how both countries made use of such cooperation for their own interest. It also highlighted the factors which helped in forming a strong alliance between both states. Furthermore, it addresses the mutual assistance in the military field, and the most important periods of struggle. Such periods were the main reason for their interference in each others' affairs, which led to many revolutions, especially against the Marinids .

III- an outline of the military relationship between the Marinids and Bani Al Ahmar at Granada. It tackles the importance of Bani Al Ahmar dynasty as a Muslim land in Andalusia, and the role of the Marinids as an Islamic power in providing military assistance in confronting the Christians.

On the other hand, the third part discusses the military relationship between the Marinids with the Nasrids' kingdoms in Spain. It addresses the Marinids relationship with Castile and Aragon Dynasties as well as the kingdom of Portugal as follows:

I- Castile, it talks about its role in supporting the Reconquista, in addition to the most notable military events between both. It also shows the most significant reasons for conflict with the Marinids .

II- Aragon, it addresses its relation with the Marinids , which was characterized, at the beginning, by the cooperation between one another, then it was turned into hostility, as Aragon entered into alliance with the Narsids.

III- The Kingdom of Portugal: it was one of the introvert kingdoms which has never had a struggle with the Marinids until Castile called for its help. Its ambitions in the Marinids were clear when the Marinids became weak in all aspect. Indeed, it such ambition has come to an end with Portugal's control on many Marinids navy bases at the beginning of 818 A.H/ 1415 A.D.

The second chapter, under the name of the military institutions of the Marinid army, is divided into three parts. First and foremost, the Marinids army barracks and units as well its military leadership. It tackles in detail the fighting

and non- fighting units. While the second part studies the army mobilization and administration systems. In other words, what is related to the army system inside and outside the battlefield. While the third part addresses the army armament, weapons, uniforms, drums, trumpets, flags, and banderoles.

The second chapter, under the name of “the military institutions for the Marinids ’ fleet”. consists of three parts. First, the naval bases, and shipyards. It discusses the most important centers, as well as the natural resources which contributed in building the armada. As for the second part , it addresses the fleet ships, equipment, the material used in its construction. Finally, the third part addresses how to lead an armada and its martial arts. It focuses on fleet’s leadership, the most famous leaders, and it also addresses the fleet’s martial arts.

The third chapter, under the name of the military institutions of the Marinids establishments, it is divided three part. The first one talks about the Marinids military establishments. It addresses the most important cities, citadels, fortresses, which were built or repaired, in addition to their military role. While the second part addresses the preventive measures for such institutions, such as fences and high walls, towers, entrances, .etc. The third part addresses the manner by which such structures are built and the materials used in construction.

In conclusion, the thesis ends with a conclusion regarding the study’s most important findings.

All Praise to Allah with whose grace all the good deeds are done.